المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٨) العدد (٥) جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ - مايو ٢٠٠٩م - الثمن ١٥٠ قرشاً

مع العدد هدية
مجلة الفردوس (الطفل المسلم)

القدس حاضرة الأديان في رحاب الإسلام

ظاهرة الزواج العرفي

علم البصريات في الإسلام

قضية الخلق في القرآن الكريم

الإسلام و تعدد الزوجات

تجديد الفكر الإسلامي في واقع المسلمين

فى هذا العدد

اهتمامات التحرير

■ حديث الشهر: ظاهرة الزواج العرفى
أ.د. محمود حمدى زقزوق ٢

■ إسلام لكل العصور: تجديد الفكر الإسلامى فى واقع المسلمين
أ.د. محمد الشحات الجندى ٤

■ على مائدة القرآن الكريم

- نظرات فى كتاب الله تعالى.. تفسير سورة «العاديات»
فضيلة الدكتور: محمد سيد طنطاوى
- قضية «الخلق» فى القرآن الكريم — أ.د. زغلول راغب محمد النجار
- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية — أ.د. طه مصطفى أبو كريشة
- من مظاهر الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم — أ. خليل محمد خليل
- بين «الشمس والقمر» و «الليل والنهار» فى الآيات القرآنية — د. كريم حسنين إسماعيل
- الوصايا العشر فى القرآن الكريم — فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف

■ الفكر الإسلامى

- أوهام المستشرقين.. خطأ فى البديهات — أ.د. محمد رجب البيومى
- العقل والدين والمعجزة — فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان
- بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية — د. محمد عمارة
- علاقة الإسلام بالآخر (١) — أ.د. محمد عبد الغنى شامة
- الموروث الثقافى فى ميزان الإسلام (١) — د. بكر زكى عوض

■ الأسرة والتشريع الإسلامى

- الإسلام وتعدد الزوجات — د. سالم عبد الجليل
- الإسلام صنع قممًا نسائية صاحبن رسول الله ﷺ — د. سامية منيسى

القدس حاضرة الأديان
فى رحاب الإسلام ص ٩٧

أنباء وأخبار ص ١٠٦

استراحة المنبر ص ١٢٣

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة
الدكتور: محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير
الدكتور: محمد الشحات الجندى
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير
الدكتور: أحمد كمال أبو المجد
الدكتور: أحمد محمد الطيب
الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارًا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية وإستراليا واليابان.
العنوان البريدى: ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.
رقم الهاتف: ٢٧٩٥٢٤٩٤ - ٢٧٩٥١٢٣٨ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس: ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

■ الدعـــــوة والخطاب الدينى

● حق المساواة فى الإسلام
أ . د . أحمد عمر هاشم — ٦٨

وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة
فضيلة الشيخ/ شوقى عبد اللطيف أيوب — ٧١

● فضيلة الحياء فى الإسلام
فضيلة الشيخ/ خالد الجندى — ٧٨

● الغيبة والنميمة من الأمراض الخبيثة
فضيلة الشيخ/ أحمد عبد اللطيف الكلحى — ٨٥

● دور الشعر فى المسيرة الإسلامية
المستشار: محمد التهامى — ٨٨

■ الديـن والحـيــــــــاة

● أمراض الصداع بين الطب والدين
أ . د . عبد المعبود عمارة — ٩٢

● علم البصريات فى الإسلام
د . أحمد عوف محمد عبد الرحمن — ٩٤

■ حوارات وتحـقيـقات صحـفـيـة

● حوار مع أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى
محمد كامل شاهين — ١١٢

● النابهون فى يوم التفوق العلمى
مصطفى إبراهيم خيان — ١١٨

هدية منبر الإسلام

«الطفل المسلم»

«مجلة الفردوس»

٣٢ صفحة بالألوان

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

تحـيـة الإسلام خـالصـة إليك، دعـوتنـــا إلـيـك أن نرتفـع معًا بالإسـلام إلى مكانة الإسـلام الرفـيـعـة عند الله تعـالى، ولدى المؤمـنـين بـه والمخـلـصين لـه - ونحـسـبـك منهم - كى تعـيـد للإسلام الإيمان الحق بالله تعالى والثقة فيه والاعتماد عليه، وأن نتخلق بتعاليمه فى يسره وسـمـاحـتـه وحبِ الناس، وأداء واجباتنا فى العمل وتجاه الناس، وأن يعم الصـدق والأمـانـة فى معاملة بعضنا البعض، فبذلك تصفـو لنا الحياة، ويشيع الأمان فى مجتمعنا، وصـدق الله تعـالى:

﴿الـذيـن آمـنـوا ولـم يلبسـوا إيمانهم بظلم أولـئـك لـهـم الأمـن وهـم مهتدون﴾

رئيس التحرير

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org
www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com

Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E.
Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

■ يسألونك فى الدين والحياة — ١٢٦
فضيلة الدكتور: على جمعة محمد

■ نافـذة عـلى القـراء — ١٣٢

الاشتراكات

لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
قيمة الاشتراك السنوية (١٢ عددًا)
أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).
ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وافريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارًا أمريكيًا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارًا أمريكيًا)، أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولارًا أمريكيًا).

حديث الشهر

ظاهرة الزواج العـــرفى

د. محمود حمدى زقزوق

لقد انتشرت فى السنوات الأخيرة ظاهرة انتشار الزواج العرفى بشكل لافت للنظر، وتغلغلت هذه الظاهرة فى أوساط كثيرة فى المجتمع ووصلت إلى دور العلم المختلفة، وقد ترتب على ذلك العديد من المشكلات والكثير من المآسى. والضحية فى جميع الأحوال هن الفتيات اللاتى يتم التغرير بهن بوعود كاذبة. وقد تركز اهتمام الكثير من الفقهاء - للأسف الشديد - بشكل العقد فى هذا الزواج، وأفاضوا فى الحديث عن قضية اكتمال أركان العقد فيه أو عدم اكتماله، وأباح الكثيرون منهم هذا اللون من الزواج دون نظر إلى الآثار المدمرة المترتبة عليه، ودون مراعاة لمصلحة الأفراد بصفة خاصة ومصلحة المجتمع بصفة عامة.

ومن المعـــروف لكل دارس للشريعة الإسلامية أنها تضع المصلحة المشروعة - مصلحة الأفراد والمجتمع - فوق كل اعتبار. فحيثما توجد المصلحة فثم شرع الله، كما كان يقول الإمام نجم الدين الطوفى الذى كان يعتبر المصلحة مصدرًا مستقلاً للتشريع.

وإذا كان من القواعد المقررة فى الفقه الإسلامى أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأنه إذا تعارضت مفسدة ومصلحة فإن دفع المفسدة يقدم على جلب المصلحة، وأنه إذا عم البلاء - والزواج العرفى أصبح بلاء لا يجوز تجاهله - فإن من حق الحاكم أو رئيس الدولة شرعًا تقييد المباح أو حتى تحريمه؛ درءًا للمفاسد وصيانة للمجتمع.

لقد كان العرف السائد قديمًا هو عدم توثيق عقود الزواج، فلم يكن التوثيق معروفًا ولا معمولاً به، وكان يكفى تحقق أركان العقد مع العلانية،

تسبب الزواج العرفى فى ضياع حقوق كثير من الفتيات اللاتى لا يملكن دليلاً قانونيًا يحمى حقوقهن ويصون كرامتهن

ولم تكن هناك مشاكل تذكر. ومع تطور الزمن وتعقد الأمور وضياع الحقوق تغيرت الأوضاع الاجتماعية، ودعت الحاجة إلى ضرورة التوثيق لعقود الزواج والطلاق، واستقر الأمر على ذلك منذ عشرات السنين. وأصبح التوثيق عرفًا متبعًا لا خلاف عليه. وحل هذا العرف الجديد محل العرف القديم الذى كان سائدًا وهو عدم التوثيق.

والعرف له اعتباره فى الشريعة الإسلامية. فالمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، كما هى القاعدة الفقهية. ومن الأمور المقررة لدى فقهاء الأمة الثقات ضرورة مراعاة الأعراف السائدة فى كل بلد عند التصدى لإصدار فتاوى شرعية تؤثر فى حياة الناس وسلوكهم. وفى ذلك يقول الإمام القرافى: «**ينبغى للمفتى إذا ورد عليه مستفت لا يعلم أنه من أهل البلد الذى منه المفتى وموضع الفتيا ألا يفتيه بما عادته أن يفتى به حتى يسأله عن بلده، وهل حدث لهم عرف فى ذلك البلد فى هذا اللفظ اللغوى أم لا؟**».

ومن المعروف أن الإمام الشافعى عندما قدم إلى مصر واستقر به المقام فيها بدأ يعيد النظر فى الآراء والفتاوى التى قال بها قبل ذلك فى بغداد، نظرًا لما وجده من اختلاف فى الأعراف والتقاليد فى كلا القطرين.

وإذا كان من القواعد المقررة أنه «**لا ضرر ولا ضرار**» كما جاء فى الحديث النبوى الشريف[1]، وإذا كان من المعروف أن الزواج العرفى كان سببًا فى ضياع حقوق أعداد كبيرة من الفتيات اللاتى يجدن أنفسهن بعد المرور بهذه التجربة المريرة لا يملكن أى دليل أو سند قانونى يحمى حقوقهن ويصون لهن كرامتهن. فإن السكوت على ذلك يعد إثمًا دينيًا واجتماعيًا وإنسانيًا.

أباح كثير من الفقهاء هذا اللون من الزواج دون نظر إلى الآثار المدمرة المترتبة عليه ودون مراعاة لمصلحة الأفراد والمجتمع

ومن هنا فإن الضرورة تحتم وضع حد لهذه الممارسات غير الشرعية وغير القانونية، وحماية المجتمع من الأضرار الماحقة لهذا اللون من الزواج الذى هو فى جوهره ليس زواجًا حقيقيًا، وإنما هو بمثابة فخ منصوب للفتيات اللاتى يرتضين الدخول فى هذه التجربة. وليس من قبيل المبالغة أن نقول: إنه يعد نشرًا للفاحشة تحت غطاء دينى.

والذى أراه أن الوقت قد حان لوضع حد لهذا الزواج العرفى بأشكاله المختلفة، وذلك بإصدار تشريع بتحريم هذا الزواج، وإلزام كل من يريد الدخول فى علاقة زوجية بتوثيق عقد الزواج صيانة للحقوق وحماية لمصلحة الأفراد ومصلحة المجتمع.

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه، باب الأحكام.

إسلام لكل العصور

تجديد الفكر الإسلامى في واقع المسلمين

د./ محمد الشحات الجندى

أقام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمرين حول موضوع التجديد فى الإسلام، بحسبان أن هذه القضية من الشواغل الأساسية التى تهتم وزارة الأوقاف والمؤسسة الدينية بها، وتحتل مكانة رفيعة فى سلم الأولويات التى توليها العناية الجديدة بها، من منطلق حسها الإسلامى العميق بقضية جوهرية على المستوى القومى والعربى والإسلامى، فقد بات ضروريًا وحتميًا فى نطاق هذه الدوائر مجتمعه، أن تحتشد الجهود الفكرية والمجتمعية والرسمية للعالم الإسلامى نحو تحقيق هذا الهدف، وإفهام الناس بحقيقة رسالة الإسلام الحضارية فى كل العصور، ورسم السبل والآليات الكفيلة بترجمته إلى حقائق ملموسة وواقع حى فى دنيا المسلمين، إذا أرادوا أن يستعيد الإسلام ريادته، وأن تنهض أمة الإسلام لتتبوأ المكانة التى تستحقها بين الأمم فى عالم يموج بالصراعات ويعتمد على المنافسة الشرسة التى لا تعرف هوادة.

وأن يكشف العقل المسلم عن الوجه الناصع للإسلام فى كل نواحى الحياة، وأن يواجه المسلمون مخططات القوى الغربية ودوائر صناعة القرار فى توظيف كل قواها بغرض هيمنة أيدلوجيتها ونظمها على الإسلام، وإزاحته عن معترك الحياة، وإقصائه حتى بين أتباعه المسلمين فى ظل التشويش المستمر لمسخه وإخضاعه وحصار منظومته، وإضعاف تأثيره فى عقر داره وبين أبنائه، عن يقين راسخ لدى هذه الدوائر أن التخلص من الإسلام وعزله عن حياة وواقع المسلمين هو السبيل الفعال لإخضاع العالم الإسلامى، وتركيع الأمة أفرادًا وشعوبًا، باعتبار أن الإسلام هو المصد الذى يقى الأمة من الاختراق والانكسار، ويحفظ لها قوتها وكيانها، ويجعلها فى مصاف الأمم الغالبة والسباقة إلى صناعة المجد والفخار، وهذا ما نبه إليه القرآن منذ نزوله إلى المسلمين فى كشف المساعى المحمومة التى توجه سهامها إلى الإسلام وأتباعه، منذ مجيئه، منوهًا إلى مخاطر وغايات ودهاء القائمين على أمر هذا الصراع، واستدامته، وتنوع أساليبه وأشكاله بقوله تعالى: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** سورة البقرة الآية ٢١٧.

وهو ما حذر منه الرسول ﷺ أمته، لمجابهة هذا الاختراق والانسياق إلى التبعية الثقافية والفكرية، والافتتان بنموذج التغريب بقوله ﷺ **لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»** قالوا: أمن قلة يا رسول الله؟ قال: **«لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل».**

ومن هنا يتعين إحياء دور العلماء والمفكرين فى بعث رسالة الإسلام الحضارية والإنسانية، وتفهيم المسلمين بها، وتجلية جوانبها والتوعية بمضامينها الرحبة وآفاقها الواسعة، لغرس القناعة لدى أتباع هذا الدين أن له رسالة للإنسانية فى هذا الوجود، وأنه صاحب رؤية فى تسيير شئون الناس، وتصحيح مسارهم، ووضعهم على الطريق الصحيح الذى يعطى لكل شىء قدره، بما يعمل على تناسقها وتكاملها فى كل جوانب اهتمام الإنسان والجماعة؛ الروحية والمادية بحيث تتناغم جميعا وتنتظم فى عقد فريد، لا ينسحق فيه الإنسان لطغيان المادة وصنم المال، ولا ينعزل عن الناس وينصرف عن الحياة، ويغيب دور الإسلام، ويعطى انطباعا بسلبية المسلم وتهميش وجوده، والانسحاب من الدنيا بذريعة إنقاذ نفسه، وتحصين إيمانه، والنجاة من فكر الوثنية والإلحاد.

إن الحاجة إلى بعث الإسلام الحيوى المجدد والمصحح لحركة المسلم، وبث الثقة فى نفسه ليكون إيجابيًا وفاعلا، يقتضى أخذ زمام المبادأة فى تخليص نفسه من المثالب التى تعتريه، والسلبيات التى تشوب سلوكه وتصرفاته حتى فى أخص أموره ومنبع تميزه، تلك التى تظهر فى طريقة فهمه للإسلام وتقديم نموذجه فى عالم حقق طفرة ملموسة فى إحراز التقدم والنهوض المادى، وبات لا يغفل عن متابعة نموذج الإسلام المعاصر من خلال سلوك أفراده، وملاحظة طريقتهم فى تصريف شئونهم الخاصة وأحوالهم العامة، ودراسة شخصية المسلم وتقييم دوره فى الحياة، واستخلاص صورة الإسلام بناء على هذه السلوكيات التى تنأى عن بلوغ قيمة وقامة الإسلام، وتبعث على الأسى بسبب اختزال الإسلام فى أشكال ورسوم تقدم صورة كئيبة ومغلوطة عن الإسلام وقدرته على إنهاض المسلمين، ناهيك عن أن يقوم بدور قيادى فى الشأن العالمى.

من أجل ذلك وعى القائمون على أمر المؤتمر أن الحديث عن التجديد لا معنى له إذا ما استمر حال المسلمين بعامة والفكر الإسلامى بخاصة على هذا النحو من الركود، وأن تكريس فكر الخيرية اعتمادا فقط على السبق الإسلامى فى عصوره الزاهرة، دون بعث فكر الإحياء التجديدى، الذى يخلص العقل المسلم من جموده وغفلته عن إدراك حركة الحياة الحديثة، وأن يتجاوز حالة الدهشة من المنجزات الهائلة التى تجرى حوله فى كل صوب واتجاه، إلى حالة إعادة الوعى، وقدح زناد الفكر، ليكوّن العقل النابه المتبصر بمتطلبات الحياة؛ كى يتمكن من الإسهام له فى هذه النهضة الحديثة، إن الفكر الإسلامى مطالب بالتصدى للبحث عن حلول فاعلة للمشكلات من خلال إحياء دينه والنهوض بعالمه، وما لم يقم بذلك فسيكون جهوده ضربا من الأمانى البعيدة التى تفصل بينها وبين الواقع بونا شاسعا إذا ما استمر هذا الفهم القاصر للإسلام، واختزل فى طقوس غيبت جوهره وعزلته عن العصر وقصرت به عن المشاركة فى النهضة المعاصرة.

الاجتهاد أصبح ضرورة من ضرورات العصر ومفتاح التجديد الذى يمكن بواسطته الانتقال من مرحلة المطالبة إلى مرحلة العمل والممارسة

وهنا يتجلى أحد عناصر القصور الواضح، الذى يبدو فى أن المسلمين لا يزالون يدورون فى اجترار فكر التجديد والتباهى به على أساس أنه مقوّم حيوى من مقومات الإسلام فى كل عصر، دون أن يبرحوا مرحلة المطالبة والإمكانية إلى مرحلة التصدى والممارسة لهذا التجديد، وهى نقطة خلل تقع فيها معالجة قضية التجديد التى تحصر نفسها وتدور حول دراسات وأطروحات وصفية مكتفية بالنقل والسرد والحكاية من غير أن تتخطى هذه المرحلة إلى بلورة للمعضلات والنوازل التى تجابه الفرد والمجتمع فى الأمة الإسلامية وتبحث وتعرض الحلول الواقعية لهذه المعضلات. ونسوق فى هذا الصدد مشكلات عديدة تعم الساحة الإسلامية كالأمية؛ أمية القراءة

والكتابة، دعك من الأمية التكنولوجية والتخلف الاقتصادى والسياسى والحضارى، والتواكل الذى يعشش فى عقول البعض اعتمادا على أن الله قدر الأرزاق ، والفهم المنقوص للإسلام الذى يحبسه كثير من المسلمين داخل المسجد والسلوك العبادى دون أن يتعدى به إلى آفاق التعامل اليومى والواقع المعاش، وتردى الفوضى والعشوائية والشكلية فى الممارسات اليومية بديلا عن الانضباط والدقة والعمل الجاد القائم على التخطيط ورسم السياسات والآليات الموصلة إليه، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾** سورة الحشر الآية ١٨. وأن يتخطى المسلم الركون إلى المظهر دون الجوهر والمضمون ليكون المعيار الذى يقوم به الشخص فى معاملاته وأحواله كلها، مصداقا لحديث الرسول ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» ومن الآفات التى يجب إيجاد حلول واقعية لها، تدنى قيم العمل والإنتاج وضعف الاعتماد على الذات، والنظر إلى العمل اليدوى والبدنى نظرة دونية واحتقار، وأنه عمل الفقراء والمهمشين فى المجتمع، والعزوف عنه واعتباره من الأعمال الحقيرة التى ينبغى لصاحب الهيئة والنفوذ الترفع عنها. وهو ما يخالف نصوص الشرع فى قوله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ۝ ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾** سورة الزلزلة الآيتان ٧، ٨. وفيما روى عن الرسول ﷺ أنه قال عن يد خشنة من العمل: «**هذه يد يحبها الله ورسوله**»، وفى رواية: أنه قبل يد رجل تورمت من العمل.

وهو ما يلفت النظر إلى ضرورة أن يشيع فكر التجديد لدى الفرد والمجتمع بتعظيم المشروعات الصغيرة، والعمل على تشجيع أصحابها والنهوض بها وتقديم التمويل اللازم لها وفتح باب الاكتتاب لها أو بابتكار وسيلة مناسبة لتعميمها أو بإنشاء بنوك للفقراء وهكذا.

ومن الأمور التى ينبغى أن يوجه إليها الاهتمام فى الوقت الراهن تقديم نموذج اقتصادى ومالى إسلامى لعلاج الأزمة المالية العالمية التى ضربت الاقتصاد العالمى، وأدت إلى إفلاس العديد من البنوك والمؤسسات، وشيوع البطالة والمعاناة لدى الجماهير، وذلك اعتمادا على الصياغة الخاطئة لمفهوم الإسلام لعلاقات العمل والإنتاج والإقراض. وتخليص الاقتصاد من الربا والاحتكار والبيوع الصورية الوهمية والغرر، وغيرها مما يحفل بها الفقه الإسلامى.

> الفكر الإسلامى مطالب بالبحث عن حلول فاعلة للمشكلات من خلال إحياء دينه والنهوض بعالمه

ولن يتأتى للعقل المسلم أن يقدم حلولا تطبيقية لهذه النوازل والأزمات التى تضرب بأكنافها العالم الإسلامى بغير أن يرتاد طريق الاجتهاد بحسبانه الباب الموصل للتجديد وأداته الفاعلة، فلا شك أن الاجتهاد صار ضرورة من ضرورات العصر، ومفتاح التجديد الذى يمكن بواسطته الانتقال من مرحلة المطالبة به إلى مرحلة العمل والممارسة. وهذا يتطلب التخلى عن التقليد الحاصل والانحصار فى المتون والتعبد بآراء فقهائنا الأقدمين، لكن بحسن التخير من بين آرائهم وسلوك طريقتهم فى غير جمود على الرأى والاتباع الأعمى له، ولدينا ثمانية مذاهب فقهية تعد ذخيرة لا ينضب معينها. لكن بالتزامن مع ذلك يسلك المؤهلون والمتخصصون سبيل الاجتهاد لتقديم الحلول لمشكلات العصر، فإن الاجتهاد مطلوب ومثاب عليه صاحبه فى كل الأحوال بقول الرسول ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد**».

إن واجب العلماء والمفكرين والمؤسسات الدينية أن يتحملوا مسئوليتهم تجاه التجديد، وأن يتواصلوا فيما بينهم لجعله حقيقة واقعة، ونموذجا إسلاميًا يستعيد به العقل المسلم خصوبته وثراءه وحيويته، وأن توفر الدول الإسلامية الظروف والعوامل الكفيلة بتحقيقه، وأن يعى كل طرف مسئوليته، وأن تدرك الجماهير أهمية التجديد وقيمته فى بعث النهضة الإسلامية، وما ذلك على الله بعزيز.

على مائدة القرآن الكريم

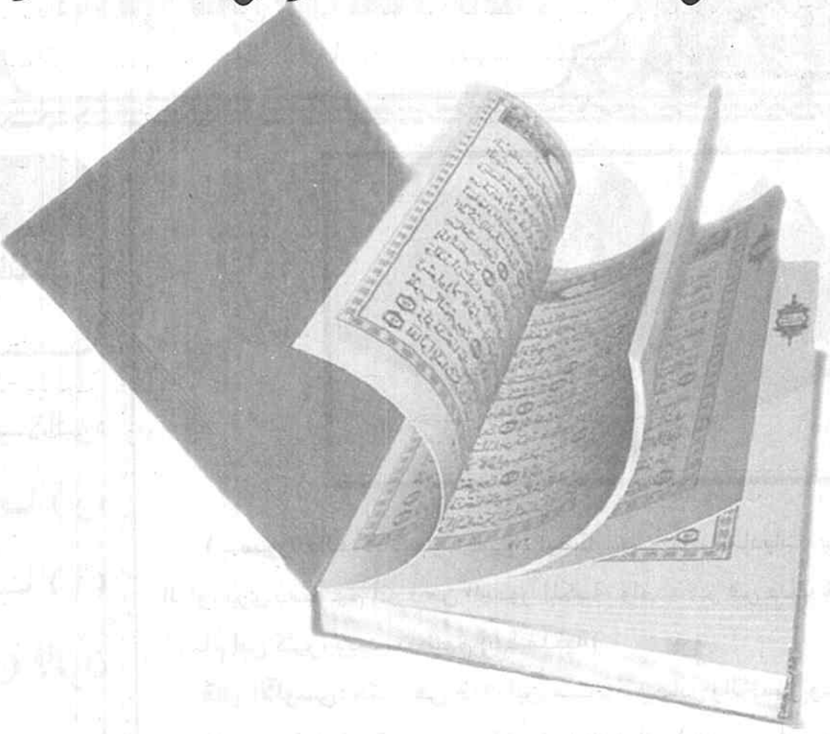

- نظرات فى كتاب الله : تفسير سورة « العاديات »
- قضية الخلق فى القرآن الكريم
- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٨)
- من مظاهر الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم
- فى التدبر الموضوعى : بين « الشمس والقمر » و « الليل والنهار » فى الآيات القرآنية الكريمة
- الوصايا العشر فى القرآن الكريم (٢)

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «العاديات»

لفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال تبارك وتعالى:

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ
بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا
(٥) إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ
(٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ
(٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ
(٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي
الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي
الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾

[العاديات: الآيات ١ - ١١]

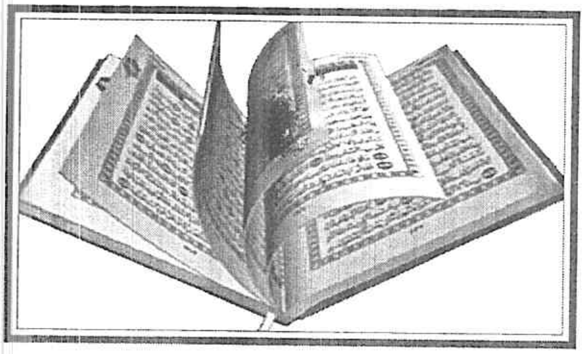

١ - **سورة «العاديات»** وتُسمى - أيضًا - سورة «والعاديات» بإثبات الواو، يرى بعضهم أنها من السور المكية، ولم يذكر فى ذلك خلافًا الإمام ابن كثير، ويرى بعضهم أنها مدنية.

قال الآلوسى: مكية فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. ومدنية فى قول أنس وقتادة وإحدى الروايتين عن ابن عباس. فقد أخرج عنه البزار، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والدارقطنى، وابن مردويه أنه قال: بعث رسول الله - ﷺ - خيلا، فاستمرت شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت هذه السورة...[1].

وهذه الرواية التى ساقها الآلوسى وغيره فى سبب نزول هذه السورة، ترجح أنها مدنية، وإن كان كثير من المفسرين يرى أنها مكية، والعلم عند الله - تعالى -.

٢ - **وعدد آياتها إحدى عشرة آية،** ومن أهم أغراضها ومقاصدها، التنويه بشأن الجهاد والمجاهدين، وبفضل الخيل التى تربط من أجل إعلاء كلمة الله - تعالى - وبيان ما جبل عليه الإنسان من حرص على منافع الدنيا، وتحريض الناس على أن يتزودوا بالعمل الصالح الذى ينفعهم يوم الحساب.

والعاديات: جمع عادية، اسم فاعل من العدو، وهو المشى السريع، وأصل الياء فى العاديات واو، فلما وقعت متطرفة بعد كسرة قلبت ياء، مثل الغازيات من الغزو.

والضَّبْح: اضطراب النَّفَس المتردد فى الحنجرة دون أن يخرج من الفم، والمراد به هنا: صوت أنفاس الخيل عند جريها بسرعة، وقيل: الضبح نوع من السير والعدو، يقال: ضَبَحَتْ الخيل، إذا عدَتْ بشدة. وهو مصدر منصوب بفعله المقدر، أى: يضبحن ضبحا، والجملة حال من «العاديات».

والموريات: جمع مُورِيَة، اسم فاعل من الإيراء، وهو إخراج النار، تقول: أوْرَى فلان، إذا أخرج النار بزند ونحوه.

والقَدْح: ضَرْب شىء بشىء لكى يخرج من بينهما شرر النار.

والمراد به هنا: النار التى تخرج من أثر احتكاك حوافر الخيل بالحجارة خلال عدوها بسرعة. و ﴿قَدْحًا﴾ منصوب بفعل محذوف، أى: تقدحن قدحا.

و ﴿الْمُغِيرَاتِ﴾ جمع مغيرة. وفعله أغار، تقول: أغار فلان على فلان، إذا باغته بفعل يؤذيه. و ﴿صُبْحًا﴾ منصوب على الظرفية. وقوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ أى: هيجن وأثرن «النقع» أى: الغبار من شدة الجرى. تقول: أثرت الغبار أثيره، إذا هيجته وحركته. والنون فى «أثرن» ضمير العاديات.

وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أى: فتوسطن فى ذلك الوقت جموع الأعداء، ففرقنها، ومزقنها، تقول: وسَطْتُ القومَ أسِطُهم وَسْطًا، إذا صرت فى وسطهم.

والمراد بالعاديات، والموريات، والمغيرات: خيل المجاهدين فى سبيل الله، والكلام على حذف الموصوف. والمعنى: وحق الخيل التى يعتلى صهواتها المجاهدون من أجل إعلاء كلمة الله ـ تعالى ـ والتى تجرى بهم فى ساحات القتال، فيسمع صوت أنفاسها، والتى تظهر شرر النار من أثر صك حوافرها بالحجارة وما يشبهها والتى تغير على العدو فى وقت الصباح، فتثير الغبار، وتمزق جموع الأعداء.

وحق هذه الخيل الموصوفة بتلك الصفات.. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

وقد أقسم ـ سبحانه ـ بالخيل المستعملة للجهاد فى سبيله، للتنبيه على فضلها، وفضل ربطها، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية، ولما يترتب على استعمالها فى تلك الأغراض من أجر وغنيمة، ومن ترويع لجموع المشركين، وتمزيق لصفوفهم.

وأسند ـ سبحانه ـ الإغارة إليها ـ مع أنها فى الحقيقة لراكبيها ـ، لأن الخيول هى عدة الإغارة، وهى على رأس الوسائل لبلوغ النصر على الأعداء.

وقيل: المراد بالعاديات: الإبل، إلا أن الأوصاف المذكورة فى الآيات الكريمة من الضبح والإغارة.. تؤيد أن المراد بها الخيل.

قال صاحب الكشاف: أقسم ـ سبحانه ـ بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون.

فإن قلت: علام عطف «فأثرن»؟ قلت: على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه، وهو قوله ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ وذلك لصحة عطف الفعل على الاسم الذى يشبه الفعل كاسم الفاعل ـ لأن المعنى: واللائى عدون، فأورين، فأغرن. فأثرن الغبار[٢].

والتعبير بالفاء فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَأَثَرْنَ﴾ ﴿فَوَسَطْنَ﴾. وبالفعل الماضى، للإشارة إلى أن إثارة الغبار، وتمزيق صفوف الأعداء، قد تحقق بسرعة، وأن الظفر المطلوب قد تم على أحسن الوجوه.

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ جواب القسم. والكنود: الجحود، يقال: فلان كند النعمة ـ من باب دخل ـ، إذا جحدها ولم يشكر الله عليها. وكند الحبل: أى قطعه، وأصل الكنود: الأرض التى لا تنبت شيئًا، فشبه بها الإنسان الذى يمنع الحق والخير، ويجحد ما عليه من حقوق وواجبات.

أى: إن فى طبع الإنسان ـ إلا من عصمه الله ـ تعالى ـ الكنود لربه والكفران لنعمته، والنسيان لمننه وإحسانه، والغفلة عن المواظبة على شكره ـ تعالى ـ، والتضرع إليه ـ سبحانه ـ عند الشدائد والضراء.. والتشاغل عن ذلك عند العافية والرخاء.

فالمراد بالإنسان هنا: جنسه، إذ إن هذه الصفة غالبة على طبع الإنسان بنسب متفاوتة، ولا يسلم منها إلا من عصمه الله ـ تعالى ـ.

وقيل: المراد بالإنسان هنا: الكافر، وأن المقصود به، الوليد بن المغيرة.

والأولى أن يكون المراد به الجنس، ويدخل فيه الكافر دخولا أوليا.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أى: وإن الإنسان على كنوده وجحوده لنعم ربه «لشهيد» أى: لشاهد على نفسه بذلك، لظهور أثر هذه الصفة عليه ظهورًا واضحًا، إذ هو عند لجاجه فى الطغيان يجحد الجلى من النعم، ويعبد من دون خالقه أصناما، مع أنه إذا سئل عن خالقه اعترف وأقر بأن خالقه هو الله ـ تعالى ـ كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (سورة الزخرف الآية: ٨٧).

قال الإمام الشيخ محمد عبده: قوله: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أى: وإن الإنسان لشهيد على كنوده، وكفره لنعمة ربه، لأنه يفخر بالقسوة على من دونه، وبقوة الحيلة على من فوقه، وبكثرة ما فى يده من المال مع الحذق فى تحصيله، وقلما يفتخر بالمرحمة، وبكثرة البذل ـ اللهم إلا أن يريد غشًا للسامع ـ وفى ذلك كله شهادة على نفسه بالكنود، لأن ما يفتخر به ليس من حق شكر النعمة، بل من آيات كفرها.(٣)

ومنهم من يرى أن الضمير فى قوله ـ تعالى ـ هنا ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعود على الخالق ـ سبحانه ـ أى وإن الله ـ تعالى ـ لعليم ولشهيد على ما يسلكه هذا الإنسان من جحود.. فيكون المقصود من الآية الكريمة، التهديد والوعيد.

قالوا: والأول أولى، لأنه هو الذى يتسق مع سياق الآيات، ومع اتحاد الضمائر فيها.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ أى: وإن هذا الإنسان لشديد الحب لجمع المال، ولكسبه من مختلف الوجوه بدون تفرقة ـ فى كثير من الأحيان ـ بين الحلال والحرام، ولكنزه والتكثر منه، وبالبخل به على من يستحقه.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (سورة الإسراء الآية ١٠٠)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ تهديد لهذا الإنسان الكنود.. وتحريض له على التفكر والاعتبار، وتذكير له بأهوال يوم القيامة.

أى: أيفعل ما يفعل هذا الإنسان الجحود لنعم ربه.. فلا يعلم مآله وعاقبته ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾. أى: إذا أثير وأخرج وقلب رأسا على عقب ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من أموات حيث أعاد ـ سبحانه ـ إليهم الحياة، وبعثهم للحساب والجزاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ أى: أثيرت وأخرج ما فيها. يقال: بعث فلان متاعه، إذا جعل أسفله أعلاه.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أى: وجمع مافى القلوب من خير وشر وأظهر ما كانت تخفيه، وأبرز ما كان مستورا فيها، بحيث لا يبقى لها سبيل إلى الإخفاء أو الكتمان.

وأصل التحصيل: إخراج اللب من القشر، والمراد به هنا: إظهار وإبراز ما كانت تخفيه الصدور، والمجازاة على ذلك. ومفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ محذوف، لتذهب النفس فيه كل مذهب ويجول الفكر فى استحضاره وتقديره.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ جملة مستأنفة لزيادة التهديد والوعيد.

أى: إن رب المبعوثين للحساب والجزاء، لعليم علما تامًا بأحوالهم الظاهرة والباطنة، فى ذلك اليوم الهائل الشديد الذى يبعث فيه الناس من قبورهم، وسيجازى ـ سبحانه ـ الذين أساءوا بما عملوا. وسيجازى الذين أحسنوا بالحُسنى.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من أهل طاعته ومثوبته.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الهوامش: ـ

(١) تفسير الآلوسى جـ ٣٠ ص ٢١٤.
(٢) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٧٨٧.
(٣) تفسير جزء عم ص ١٠٩.

قضية الخلق فى القرآن الكريم

أ.د / زغلول راغب محمد النجار

يقول ربنا - تبارك وتعالى - فى مُحكم كتابه ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢)

وتنص هذه الآية الكريمة على أن كل ما في الوجود بوحيه من عالم الغيب وعالم الشهادة هو من خلق الله الذى خلقه بعلمه وحكمته وقدرته، ويرعاه برعايته ورحمته التى لو تخلت عن الوجود طرفة عين أو أقل من ذلك لانهار وانتهى.

ومن مخلوقات عالم الغيب أخبرنا القرآن الكريم عن الملائكة والجن، ومن مخلوقات عالم الشهادة أعلمنا بكل من الإنسان والحيوان والنبات (من الأحياء)، وبمختلف صور المادة والطاقة (من الجمادات)، ومن الأماكن والأزمنة وهى من أبعاد الوجود المادى.

وعملية الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان عملية غيبية، لم يشهدها الإنسان ولذلك يقول الحق (تبارك وتعالى) فى محكم كتابه: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف: ٥١).

عل الرغم من ذلك يقول ربنا (عز وجل): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وبالجمع بين هاتين الآيتين الكريمتين يتضح لنا أنه على الرغم من أن الإنسان لم يشهد عملية الخلق لأنها سابقة لوجوده، إلا أن الله (تعالى) قد ترك لنا فى صخور الأرض، وفى صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان المؤمن على الوصول إلى تصور صحيح عن كيفية الخلق.

أما غير المؤمن فيرى الشواهد الحسية ويلمسها بيديه ولكنه فى محاولة نسبة الخلق إلى غير الله فإنه يتوه فى سيل فى الفروض والنظريات التى تحيد به عن الحق، ولا توصله إلى شىء. ولذلك جاء التأكيد فى هذه الآية الكريمة، وفى العديد غيرها من الآيات القرآنية على حقيقة الخلق حتى لا يتوه المؤمنون فى متاهات الضالين من الكُفار والمشركين الذين ضلوا وأضلوا البشرية حتى فى زمن العلوم والتقنية الذى نعيشه. من هنا جاء الفعل «خلق» بمشتقاته المختلفة ٢٥٢ مرة فى القرآن الكريم، مؤكدًا أن الله (تعالى) هو خالق كل شىء.

متاهة الكافرين فى قضيتى قدم الكون وتدرج عمارة الأرض بالحياة:

فى محاولة لنفى الخلق وإنكار الخالق ادعى الكافرون منذ القدم بأزلية العالم، وجاءت الكشوف العلمية المثبتة لقدم الكون،

وقدم الحياة على الأرض، فتصور الملحدون فى ذلك دعمًا لدعواهم.

كذلك جاءت عملية اكتشاف التدرج فى الخلق ابتداء من خلق اللبنات الأولية للمادة، إلى خلق كل من الجمادات والنباتات والحيوانات حتى توجت الحياة بخلق الإنسان ذلك المخلوق المُكرَم كما وصفه الحق (تبارك وتعالى). جاءت تلك الكشوف فتخيل فيها الكافرون دعمًا لدعواهم الباطلة بعشوائية الخلق مما لا يقوم عليه دليل واحد، فربنا (سبحانه وتعالى) خلق الخلق كله على مراحل متطاولة ـ وهو القادر على أن يقول للشىء كُنْ فيكون ـ وذلك لسببين واضحين:

أولهما:

أن الله (تعالى) قد أراد بذلك أن يتيح للإنسان المُتدبر فى الكون الفرصة الكافية لفهم سُنن الله الحاكمة للوجود كله حتى يتمكن من حُسن توظيفها فى عمارة الأرض، كما يتمكن من أن يرى من خلالها شيئًا من قدرة الخالق العظيم، وعلمه، وحكمته، فيسجد له بالعبادة والطاعة، ويرى الوحدة فى بناء الكون وهى الناطقة بوحدانية الخالق العظيم، كما يرى الزوجية فى جميع المخلوقين من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان شاهدة لله الخالق بكمال الوحدانية المُطلقة فوق جميع خلقه، تلك الوحدانية التى لا ينازعه فيها منازع، ولا يشاركه شريك، فالجميع إبداع خلقه، وتمام صنعته فكيف يجرؤ أحدهم على أن يتطاول إلى مقام الألوهية؟ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة : ٧٣)

ثانيهما:

إن الزمن إذا كان حدا من حدود وجود الإنسان، ومن حدود غيره من المخلوقات، فهو من خلق الله، والمخلوق لا يحد خالقه أبدًا، فمهما يتطاول الزمن فهو بين أصبعين من أصابع الله (تعالى) يتحكم فيه كيف يشاء.

وبدلا من فهم القضية فى هذا الإطار اندفع دعاة المادية إلى الافتراض الخاطىء بنفى الخلق، وإنكار الخالق (سبحانه وتعالى) بدعوى أزلية الخلق، أو عشوائيته، وهما افتراضان يتعارضان مع جميع الملاحظات العلمية الدقيقة فى صخور الأرض، وفى صفحة السماء، ومن هنا جاءت الآية القرآنية الكريمة التى نحن بصددها، كما جاء غيرها من مئات الآيات شاهدة بأن الله (تعالى) هو خالق كل شىء، مما يتنافى مع الادعاء بأزلية الوجود أو العشوائية فى الخلق كما يتضح من الأدلة التالية :

> **من مخلوقات عالم الغيب أخبرنا القرآن الكريم عن الملائكة والجن، ومن مخلوقات عالم الشهادة أعلمنا بكل من الإنسان والحيوان والنبات**

١ ـ قدم الكون وانتفاء أزليته وأبديته يؤكدان حقيقة خلق

الأجسام الباردة، ولو كان الكون أزليًا كما يدعى المبطلون لتساوت حرارة جميع الأجسام فيه وانتهى وجوده منذ زمن بعيد، واستمرار الكون فى التواجد مع استمرار الانتقال الحرارى ينفى أزليته، كما ينفى أبديته، ويؤكد أنه مخلوق،

مُستحدث، له فى الأصل بداية يقدرها العلماء اليوم بأكثر من عشرة بلايين من السنين (إلى حوالى أربعة عشر بليونًا من السنين) ولابد وأن ستكون له فى يوم من الأيام نهاية لا يعلمها إلا الله الخالق (سبحانه وتعالى) وإن كانت السُّنن الحاكمة للكون اليوم تشير إلى حتمية وقوعها، ولا تُحدد موعدها، ومن ذلك أن الشمس تفقد من كتلتها فى كل ثانية على هيئة طاقة ما يعادل ٤,٦ مليون طن، وكما تفقد الشمس من كتلتها تفقد بقية النجوم، فكوننا حتمًا إلى زوال فى لحظة يُحددها الخالق (جلت قدرته) الذى أنزل لنا فى مُحكم كتابه قوله الحق: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف: ١٨٧).

٢ ـ الانفجار العظيم يؤكد حقيقة الخلق:

من الحقائق التى وصل إليها علماء الفلك منذ بدايات القرن العشرين حقيقة توسع الكون وقد سبق القرآن الكريم بالإشارة إليها وذلك بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (الذاريات: ٤٧). وقال علماء الفلك: إننا إذا عُدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلابد من التقاء كل مادة الكون وطاقته مع المكان والزمان فى جُرم واحد يتضاءل فى الحجم إلى حد العدم، ويتعاظم فى كم المادة والطاقة إلى حد لا يكاد العقل البشرى أن يتصوره. وأن هذا الجُرم الابتدائى انفجر فتحول إلى سحابة من الدخان خُلقت منها الأرض والسماوات، وقد سُميت هذه النظرية باسم نظرية الانفجار العظيم، ومن شواهدها تمدد الكون، ومن شواهدها أيضًا وجود درجة حرارة ثابتة (حوالى ٣ درجات مُطلقة) على جميع أطراف الجزء المُدرك من الكون، ومن شواهدها كذلك تصوير بقايا الدخان الكونى الأولى على أطراف الجزء المُدرك من الكون.

وعلى الرغم من معارضة عدد غير قليل من المتخصصين فى مجال الفلك والفيزياء الفلكية لنظرية الانفجار العظيم فإننا نحن معشر المسلمين نقبل هذه النظرية،ونرتقى بها إلى مقام الحقيقة لوجود إشارة لها فى كتاب الله من قبل أربعة عشر قرنًا يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى): ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٠)

وخلق الكون بعملية انفجار كُبرى من أعظم الدلائل على الخلق والتدبير، لأنه من المعروف أن الانفجار بطبيعته يؤدى إلى بعثرة المادة وتناثرها، مخلفًا وراءه الدمار، أما عملية الانفجار الكونى فقد أدت إلى إبداع نظام له تصميم دقيق، محكم الكُتل، والأحجام، والأبعاد، والمدارات، والسرعات، والعلاقات، وهذا النظام مبنى على نُسق واحد من أدق دقائقه إلى أعظم وحداته على الرغم من تعاظم أجرامه وأبعاده ووحداته وتجمعاته، وتعقد علاقاته.

وانفجار هذه نتيجته لا يمكن أن يكون قد تم بغير تدبير وتقدير بالغى الإحكام والإتقان والإحاطة والقدرة لا يستطيعهما إلا الخلاق الحكيم العليم.

٣ـ وجود المادة وأضدادها يؤكد على حقيقتى الخلق والتدبير وعلى وحدانية الخالق العظيم.

منذ الربع الأول للقرن العشرين، وكل من الحسابات الرياضية والاكتشافات فى صفحة السماء يؤكد حقيقة الزوجية فى الخلق فالضوء يتحرك أحيانًا على شكل موجات وأحيانًا

أخرى على شكل جسيمات (فوتونات)، وهذه الزوجية فى الخلق تتحقق أيضًا للمادة، فالجزء من المادة ليس نقطة هندسية ولكنه كيان ينتشر أيضًا فى الفضاء على هيئة موجية.

وقد أدت هذه الملاحظة إلى اكتشاف نقيض للإليكترون (أو قرينة)، وأن هذين النقيضين إذا التقيا فإن أحدهما يلغى الآخر أى يفنيه ويُنهى وجوده إلى العدم.

ومعنى ذلك أن كمية محدودة من الطاقة يمكن أن تتجسد فى جسمين، أحدهما نقيض لصاحبه فى كل صفاته، بمعنى أن صورة طبق الأصل له ولكنه معكوس الصفات، وأن هذين النقيضين إذا التقيا فإنهما يُفنيان معًا. والغريب فى الأمر أن يكتشف فى صفحة السماء المادة وأضدادها على مختلف المستويات من اللبنات الأولية للمادة إلى المادة ذاتها:

Quarks and (Ant quarks) (Neutrinos and) Antineutrinos (Electrons Negatrons) and (Positrons) (Protons and) Antiprotons (Neutrons and Antineutrons) (Matter and) Antimatter.

ويعتقد علماء الفلك والفيزياء الفلكية أن الكون قد بدأ بتركيز من المادة وأضدادها أى بدأ من العدم. والسؤال الذى يفرض نفسه هو: مَنْ الذى فصل تلك الأضداد حتى يخلق الكون؟ ولا يمكن لعاقل أن يتصور ذلك بغير تقدير الخلاق العليم.

وحتى بعد فصل الأضداد لكى يُخلق الكون يرى العلماء حتمية إفناء بعض تلك الأضداد للبعض الآخر، والسؤال الذى يفرض نفسه هو: ما هو الفاصل بين المادة وأضدادها فى صفحة السماء الآن حتى يوجد الكون؟ ومَنْ الذى وضعه؟ ولا يزال يحفظه ؟

والجواب: الذى لا مفر منه هو: وضعه الخالق العظيم الذى يقول للشىء كُن فيكون. وعلى ذلك فإن مراحل خلق الكون منذ لحظة الانفجار العظيم قد خططت لها العناية الإلهية بدقة فائقة فى ضبط درجات الحرارة ومعدلات تخلق الجسيمات الأولية للمادة، وسرعات الاتساع الكونى وغير ذلك من أمور حتى وصل الكون إلى حالته الراهنة، ولا يمكن لكل ذلك أن يتم بغير خلق وتدبير من الله الخبير العليم.

السؤال الذى يفرض نفسه هو: مَنْ الذى فصل تلك الأضداد حتى يَخلق الكون ولا يمكن لعاقل أن يتصور ذلك بغير تقدير الخلاق العليم

٤ ـ خلق العناصر فى داخل النجوم وفى صفحة السماء من أدلة الخلق والتدبير:

فى دراسة للتركيب الكيميائى للجزء المُدرك من الكون اتضح أن غالبيته غاز الإيدروجين الذى يشكل أكثر من ٧٤٪ من مادة الكون المنظور، والإيدروجين هو أخف العناصر وأقلها بناء.

ويلى غاز الإيدروجين كثرة فى مادة الكون المنظور غاز الهيليوم الذى يكون ٢٤٪ من مادة الكون المنظور (وهو العُنصر الثانى فى الجدول الدورى للعناصر). وقد دفعت هذه الملاحظة إلى الاستنتاج الصحيح أن جميع العناصر المعروفة (وهى أكثر من ١٠٥ عنصر) قد خُلِقت كلها من غاز الإيدروجين.

وبدراسة أقرب النجوم إلينا وهى الشمس اتضح أن وقودها هو غاز الإيدروجين الذى تتحد أربع من نوياته (جمع مصغر نواة) لتكون نواة عنصر الهيليوم وتنطلق الطاقة بعملية تُسمى عملية الاندماج النووى، وعلى ذلك فالنجوم

عبارة عن أفران ذرية كونية تتخلق بداخلها العناصر من نوى ذرات الإيدروجين حتى الحديد الذى لا تصله عملية الاندماج النووى إلا فى آخر مراحل حياة النجوم العملاقة فى لحظات انفجارها المعروفة باسم المستعرات العظمى، وبانفجار النجم تتناثر مكوناته من الحديد فى صفحة السماء لتدخل فى مجال جاذبية أجرام تحتاج الحديد، أو لتصطاد بعض اللبنات الأولية للمادة مكونة العناصر الأعلى فى وزنها الذرى. وهذه العملية وحدها كافية للتأكيد على حقيقة الخلق.

٥ ـ بناء الخلية الحية ينطق بحتمية الخلق والتدبير:

إذا علمنا أن عدد الأنواع الحية المعروفة لنا حتى الآن يتعدى المليون ونصف المليون نوع، وأن عدد الأنواع المندثرة، والموجود لها بقايا على هيئة أحافير فى صخور الأرض يتعدى الربع مليون نوع، وأن عدد الأنواع المتوقعة للحياة الأرضية فى ضوء الاكتشافات المعاصرة يصل إلى حوالى الخمسة ملايين نوع.

وأن متوسط المدى الزمنى للنوع الواحد من أنواع الحياة يتراوح بين نصف مليون سنة إلى خمسة ملايين من السنين، وقد يصل إلى عشرة ملايين من السنين، يمثل النوع خلالها ببلايين الأفراد.

وأن جسم الإنسان على سبيل المثال يتكون من ملايين ملايين الأنواع المختلفة من الخلايا، وأن الخلية الحية الواحدة على قدر من التعقيد فى البناء ـ على الرغم من ضآلة حجمها ـ يفوق كل ما حققه الإنسان من إنجازات تقنية فضلاً عن كل الذى فكر فى تحقيقه ولم يتمكن من ذلك بعد.

فالخلية الحية تتكون عادة من جدار حى (فى كل من الإنسان والحيوان) ملىء بالسائل الخلوى الهيولى (السيتوبلازم)، وبوسط هذا السائل توجد النواة، والسائل الخلوي معقد التركيب، وغير متجانس، ويتكون بشكل رئيسى من البروتينات والدهون، والسكريات وبعض العناصر المختلفة، وهذا السائل توجد به أعداد من الجسيمات المتخصصة (العضيات) ويعمل كوسيط تمر من خلاله المواد والمركبات والأوامر من النواة إلى أى من هذه العضيات، ومن أى منها إلى عضى آخر، أو إلى خارج الخلية.

ويفصل النواة عن السينتوبلازم غشاءان، والنواة تختزن معظم مادة الشفرة الوراثية للخلية الحية، أما الشبكة الاندوبلازمية فتربط بين الغشاء النووى والغشاء الخلوى، وهى شبكة معقدة تتصل بها حبيبات صغيرة تُدعى الريبوسومات تقوم بتصنيع أكثر من مائتى ألف نوع من البروتينات التى تحتاجها الخلية الحية، حسب التعليمات التى تتلقاها من نواة الخلية، ومن العضيات ما يحمل الإنزيمات وهى مواد بروتينية تصنعها الريبوسومات وتساعد على هضم المواد الغذائية داخل الخلية، ومن العضيات ما يقوم بتحويل المواد العضوية إلى طاقة تحتاجها الخلية الحية فى عدد من نشاطاتها المحددة.

وتختلف الخلية النباتية فى أن جدارها مكون من مواد غير حية، وأنها تحتوى على البلاستيدات الخضراء (إلى خضور) وهى مادة لازمة لإتمام عملية التمثيل الضوئى.

والشفرة الوراثية تحملها جسيمات دقيقة فى داخل نواة الخلية تُعرف باسم الصبغيات وعددها محدد لكل نوع من أنواع الحياة، والصبغيات تحمل الموروثات (الجينات) التى تحمل صفات الفرد من هذا النوع، والتى تُعطى الأوامر للخلية بالانقسام، والتمييز وتخليق الأنواع المختلفة من البروتينات، وعلى ذلك فالنواة هى مركز المعلومات للخلية.

وتُحاط النواة بغشاء يُسمى الغلاف النووى، وتحتوى على مادة حبيبية دقيقة تُسمى البلازما النووية التى تحمل كلا من الصبغيات والنوية، وقد تكون النوية واحدة أو أكثر.

وإذا علمنا أن الخلية قد أعطاها الخالق (سبحانه وتعالى) القدرة على إنتاج مائتى ألف نوع من البروتينات التى يوجد منها أكثر من مليون نوع، وأن الجزىء البروتينى يتكون من سلاسل من جزيئات الأحماض الأمينية، وأن الأحماض الأمينية المعروفة والقادرة على بناء الجزيئات البروتينية هى عشرين حمضًا أمينيًا فقط، وأن هذه الأحماض مواد جامدة غير حية بذاتها. متبلورة سهلة الذوبان فى الماء فى أغلب الأحوال، ولا تنشطر إلا فى داخل الخلية.

وأن الخمض الأمينى يتكون من ستة عناصر أساسية هى الكربون، الإيدروجين، والأوكسجين، النيتروجين، الكبريت، والفوسفور. وأن مجرد اختيار هذه العناصر الستة من بين أكثر من ١٠٥ عناصر معروفة لنا اليوم بالصدفة هو إحصائيًا أمرًا مستحيل.

وأن الأحماض الأمينية المناسبة لبناء الجزىء البروتينى لابد أن تكون من نوع خاص (ألفا) وأن تكون الذرات مرتبة فيها حول ذرة الكربون ترتيبًا يساريًا، وأن تترتب هى فى الجزىء البروتينى ترتيبًا يساريًا كذلك، وأن ترتبط برباط خاص يُعرف باسم الرباط. الببتيدى (Peptide Bond)، وأن هذه القيود تجعل من تكوين جزىء بروتينى واحد بمحض الصدفة أمرًا مستحيلا.

الخلية قد أعطاها الخالق (سبحانه وتعالى) القدرة على إنتاج مائتى ألف نوع من البروتينات التى يوجد منها أكثر من مليون نوع

وإذا علمنا أن أبسط جزىء بروتينى يتكون من خمسين جزيئًا من جزيئات الأحماض الأمينية العشرين المعروفة بكل هذه القيود السابقة، وأن بعضها مكون من آلاف الجزيئات للأحماض الأمينية المرتبة ترتيبًا محددًا، اتضح لنا بجلاء أن مجرد تكون جزىء بروتينى واحد بمحض الصدفة هو إحصائيًا من مستحيل المستحيلات، ولذلك جاءت هذه الآية الكريمة بهذا القرار الإلهى من قبل ألف وأربعمائة سنة لتريح هذه النفوس القلقة والعقول المضطربة بين العديد من النظريات التى طُرحت كبدائل للخلق وانتهت كلها بالفشل الذريع.

فسبحان القائل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢) وهو سبق علمى لكل المعارف البشرية، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى تلقى القرآن عن ربه فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عنا خير الجزاء والحمد لله أولاً وآخرًا.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٨)

د / طه مصطفى أبو كريشة

ومن النظرات البيانية فى الكلمة القرآنية اسمًا أو فعلاً أو حرفًا ما نراه فى إيثار الحرف (فى) مع الفعل (سار) فى صيغة الماضى أو المضارع أو الأمر عندما يكون مكان السير هو الأرض، مع أن السير فى دلالته الحسية إنما يكون على شىء يسار عليه، وليس داخل شىء يسار فيه .. وقد رأينا ذلك فى آيات متعددة من القرآن الكريم كان السياق فيها مقتضيا هذا الإيثار، ويتضح ذلك من خلال الشواهد الآتية التى تضاف إلى ما سبق من النظرات البيانية.

(٢٩) يقول الله تعالى فى خطابه للنبى ﷺ: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ سورة يوسف الآية ١٠٩

ومن الواضح أن فى الآية تعقيبًا على موقف من مواقف المشركين نحو النبى ﷺ، وهو موقف الإعراض عن دعوته، وصد الناس عن أتباعه، وكان فى التعقيب تسجيل لما هم فيه من غفلة جعلتهم لا يتعظون بالمصير الذى انتهى إليه الكافرون من الأمم السابقة عليهم مع أن شواهد هذا المصير ماثلة أمام عيونهم فى الأرض من حولهم.

إن الموقف الذى جاء التعقيب عليه بهذه الآية هو ما نراه فى الآيات السابقة من قول الله ـ عز وجل ـ فى خطابه للنبى ﷺ : **﴿وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين • وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين • وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون • وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون • أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾** سورة يوسف : الآيات ١٠٣ - ١٠٧ .

إن هذه الآيات تسجل أن هؤلاء القوم لم يكونوا منعزلين عمن حولهم لأنهم كانوا يرتحلون شمالاً وجنوبًا ويرون آثار من سبقهم من الأمم التى حل بها عقاب الله تعالى، ومع أنهم كانوا يرون هذه الآثار رآى العين، إلا أنهم مروا عليها والقلوب معرضة كأنها فى أكنة أو كأن عليها أقفالها : **﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾**.

إن التوبيخ والإنكار والوعيد الذى جاء فى قوله تعالى: **﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾** يثبت أن مشركى قريش لم يكونوا بمعزل عمن حولهم، وإنما كانوا فى سفر دائم إلى البلاد التى تحيط بهم ولا يكون هذا العموم الذى يشمل الزمان والمكان إلا من خلال ما يفيده الحرف (فى) من الظرفية التى تفيد الوصول إلى أبعد مكان من الأرض التى تحيط بهؤلاء المشركين، وإذن فإن عليهم ألا

يأمنوا أن ينزل بهم ما نزل بالأمم السابقة إن هم أصروا على عنادهم وكفرهم **﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾** سورة يوسف آية ١٠٧ .

(٣٠) ونرى عرضًا لمثل هذا الموقف فى قول الله عز وجل عن مشركى قريش.

﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ سورة الحج : الآية ٤٦ .

إن الاستفهام الذى دخل على النفى فى صدر هذه الآية يثبت أيضًا أن هؤلاء القوم قد ساروا فى الأرض التى حولهم إلى أبعد مكان فيها لكنهم أغلقوا قلوبهم عن التعقل والاتعاظ، كما أغلقوا آذانهم عن سماع الأخبار التى تؤكد وتشرح ما حل بالأمم فى هذه البلاد حين أعرض القوم عن أنبيائهم ولم يؤمنوا برسالاتهم.

وقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد آيات سابقة خوطب فيها النبى ﷺ وبينت له أن ما يصنعه المشركون معه هو من قبيل ما صنعه المشركون السابقون مع أنبيائهم، فإذا كان هؤلاء السابقون قد حل بهم عقاب الله تعالى، فإن مشركى قريش سوف يحل بهم ما حل بهؤلاء إذا أصروا على الكفر والعناد، وهذه الآيات هى قول الله تعالى **﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود • وقوم إبراهيم وقوم لوط • وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير • فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾** سورة الحج : الآيات ٤٢ - ٤٥ .

إن التذكير بالأمم السابقة فى هذه الآيات جاء مفصلا، وليس مشركو قريش بمنأى عن أخبار تلك الأمم فى الأرض التى تحيط بهم، والتى يسافرون إليها شتاء وصيفا، إن التغلغل فى ارتياد هذه الأراضى يفيده الحرف (فى) الذى يفيد البعد المكانى السطحى الممتد المستفاد من البعد المكانى الرأسى الذى ليس مرادًا كما هو ظاهر.

(٣١) ومع الإشارة إلى الأمم السابقة التى كانت أشد قوة من مشركى قريش وأكثر إعمارًا للأرض منهم، يأتى الإنكار على مشركى قريش أنهم لم يتعظوا بهؤلاء السابقين الذين لم تحمهم قوتهم، ولم ينفعهم إعمارهم للأرض حين حل بهم العقاب جزاء وفاقا على تكذيبهم للرسل وذلك فى قوله تعالى **﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** سورة الروم: الآية ٩ .

الغرور بالقوة وحمية الجاهلية وعدم العظة والاعتبار كان وراء كفر الكافرين وعدم إيمانهم برسالة الإسلام

والآية الكريمة تشير إلى سبب من الأسباب الذى كان وراء كفر الكافرين وعدم إيمانهم برسالة الإسلام، إنه غرور الشعور بالقوة والمجد والحمية الجاهلية، ومن هنا جاء التذكير بمن كانوا أشد منهم قوة وأعظم مجدًا وأكثر حمية، وهم أولئك الذين مشوا فى أراضيهم، ورأوا الآثار الباقية التى تدل على ما نزل بهم من عقاب، ولم يكن هذا العقاب ظلمًا لهم، وإنما كان بسبب ناشئ منهم: **﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** ومع الإشارة إلى هذا السبب الذى كان وراء عدم الإيمان والإصرار على الكفر،

فإن الآية الكريمة كانت فى الوقت نفسه تعقيبًا على توصيف سابق لعقلية هؤلاء الكافرين الذين كانوا فى غفلة ظاهرة جعلتهم يعيشون فى مظاهر الدنيا مع نسيان الآخرة، ولو أنهم أعملوا عقولهم وفكروا ما وقعوا فى هذه الغفلة .. إن البيان عن ذلك جاء فى قوله تعالى **﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ● أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾** سورة الروم : الآيتان ٧ - ٨ .

إن هذه الغفلة وما صاحبها من غرور الشعور بالقوة أدت إلى عدم العظة والاعتبار مع كون هؤلاء الكافرين ساروا فى الأرض التى حولهم إلى كل أرجائها، فكان شأنهم شأن من لم يكن منه مسير إلى أى مكان، وإن كانوا لا عذر لهم .. وتلك هى بلاغة الإتيان بالحرف (فى) الذى جاء فى قوله تعالى **﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾** .

(٣٢) ويتكرر التذكير بالأمم السابقة التى كانت أشد قوة، ومع ذلك فإن قوتها لم تكن حائلاً دون إيقاع العقاب بها، وذلك فى قول الله تعالى **﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا﴾** سورة فاطر: الآية ٤٤ .

فلماذا جاء التذكير فى هذه الآية بما عرفه الكافرون عن أحوال السابقين من خلال أسفارهم فى كل أراضيهم؟ إن السياق القرآنى قبل هذه الآية يجيبنا عن هذا التساؤل، ويبين لنا أن مشاعر الاستكبار ونوايا المكر السيىء استولت على هؤلاء الكافرين وغطت على كل منافذ الاتعاظ والاعتبار بأحوال السابقين، وذلك على النحو الذى جاء فى قوله عز وجل قبل هذه الآية الكريمة **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ● استكبارا فى الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾** سورة فاطر: الآيات ٤٢ - ٤٣ .

إن هؤلاء الكافرين سوف يجرى عليهم ما جرى للأمم السابقة إذا ظلوا على نفورهم واستكبارهم ومكرهم السيئ بالنسبة للإسلام وتلك هى سنة الله تعالى التى لا تتبدل ولا تتحول، والتى يجرى قانونها على كل من كان على مثل هذه الصفات.

ذلك هو سبب التذكير الذى جاء فى الآية الكريمة، التى جاءت وفيها الإشارة إلى ما عرفوه من أحوال الأمم السابقة، وإن كانوا لم ينتفعوا بهذه المعرفة التى اكتسبوها من كل مكان ساروا فيه من أراضى تلك الأمم، وقد جاء الحرف (فى) ليؤكد الشمول فى هذه المعرفة بما يحمله من معنى التعمق والامتداد المصاحب للسير على ظهر هذه الأراضى.

(٣٣) وفى موقف الإنكار على عبادة الكافرين للأصنام التى لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا ترى، ولاتقضى بين الناس فى الآخرة وأن هذه العبادة تعد من كبائر الذنوب التى يستحق مرتكبوها أشد العقاب عليها، جاء التذكير أيضًا بأحوال الأمم السابقة التى وقعت فى مثل هذا الانحراف فى العبادة، فنالها ما نالها من عقاب لا يبقى ولا يذر، وذلك على النحو الذى جاء فى قوله تعالى: **﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾** سورة غافر: الآية ٢١ .

إن هذا التذكير فى هذه الآية الكريمة جاء مسبوقًا ببيان السبب الذى جاء من أجله التذكير، وذلك فى قول الله عز وجل **﴿والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء إن الله هو السميع البصير﴾** سورة غافر: الآية٢٠ . وهذه الآية الكريمة تبين لنا أن الله تعالى وحده هو الذى يقضى ويحكم بالعدل بين الناس فى الآخرة فيثيب المحسنين

على إحسانهم، ويعاقب المسيئين على إساءتهم، أما تلك الأصنام فليس لها شيء من هذا القضاء، فلماذا يعبدونها؟ ولماذا يصرون على ذلك؟ إن عليهم أن يتعظوا ويعتبروا بمن سبقهم في مثل هذا الضلال، وكيف حل بهم العقاب ولم يشفع لهم ما كانوا عليه من قوة، وما أبدعته هذه القوة من شواهد عمرانية **﴿فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾** وتلك هي سنة الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول **﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب﴾** سورة غافر: الآية ٢٢ .

لكنهم لم يتعظوا على الرغم من أنهم وقفوا على أحوال الأمم السابقة من حولهم من خلال ترحالهم إلى بلادهم ورؤيتهم للدلائل والشواهد التي تدل وتشهد على ما حل ونزل بهم من عقاب، وهنا تأتي أيضًا بلاغة التعدي بالحرف (في) مع الفعل (يسير) في قوله تعالى **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾**.

(٣٤) ولم يقف اغترار الكافرين عند الشعور بالقوة، وإنما تجاوزوه إلى الاغترار بالذات وما ترتب على ذلك من الشعور بالتميز الذي أدى إلى السخرية والاستهزاء بالمؤمنين، ومن هنا جاء التذكير أيضًا بأحوال السابقين الذين وقعوا في مثل هذا الغرور فكان ما كان من إيقاع العقاب بهم على غرورهم واستهزائهم بالرسل الذين أرسلوا إليهم، وذلك في قول الله عز وجل **﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون • فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾** سورة غافر: الآيتان ٨٢ - ٨٣ .

فلماذا جاء التذكير بأحوال الأمم السابقة التي كانت على هذا القدر من الكثرة والقوة والآثار العمرانية والعلمية؟ لقد جاء التذكير بذلك لأن الكافرين كانوا يعيشون متمتعين بنعم الله تعالى في كل شئون حياتهم ومع ذلك فإنهم كفروا بمن أنعم عليهم بكل هذه النعم، ولقد كان الغرور الذاتي وراء هذا الكفران، ومن ثم فإن عليهم أن يتعظوا بمن وقعوا في مثل هذا الغرور من أصحاب الأمم السابقة التي ذهبوا إليها وعرفوا أخبارها. إن البيان عن أحوال هؤلاء الكافرين جاء في قوله تعالى **﴿الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون • ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون • ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون﴾** سورة غافر: الآيات ٧٩-٨١ .

الغفلة عن الشعور بنعمة الأمن كان وراءها الشعور الخادع بالذات؛ لذا وجب التنبيه على أحوال السابقين

إن الغفلة عن الشعور بهذه النعمة القريبة إليهم في حياتهم، والتي تعايشهم في غدوهم ورواحهم إنما يكون من ورائها الغرور الذي يمليه الشعور الخادع بالذات، ومن ثم جاء التنبيه إلى ما كان من سابقيهم الذين وقعوا في هذا الغرور فنالهم ما نالهم **﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾** ومع التنبيه جاء التسجيل عليهم بأنهم كانوا على دراية بأحوالهم، وهي دراية اكتسبوها من خلال السير في كل أراضيهم على النحو الذي أفاده الحرف (في) مع الفعل (يسير).

والحديث موصول مع كلٍّ من الحرف والفعل.

من مظاهر الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم

خليل محمد خليل

الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم فرع من الإعجاز البيانى الذى ثبت للقرآن منذ نزوله، وحلق به فى الآفاق، وأعجز به الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وسيظل عجزهم قائما إلى يوم الدين لقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

والإعجاز اللغوى يكون فى الأفعال والأسماء والحروف التى استخدمها القرآن فى تعبيره، فجاءت آية فى الإبداع ونظم الكلام على نحو لم يسبق به، ولا غرو فهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والحديث عن الإعجاز اللغوى فى عمومه لا يتسع له المقام فى هذه العجالة، وإنما نعمد إلى جزئية صغيرة من الإعجاز اللغوى ليدور حديثنا حولها، وهى بعض حروف المعانى التى استخدمها القرآن، وجاءت فى تعبيره، وأثرها على غيرها من الحروف فى سياقات معينة وما تضمنته من دلالات وما أشارت إليه من معان.

ونعنى بحروف المعانى: الحروف التى تحمل للجملة معنى إضافيًا لم يكن فى الجملة قبل وضعها فيها؛ كحروف الجر وغيرها من حروف العطف مثلا، بخلاف حروف المبانى التى تتركب منها الكلمة وهى كل حروف الهجاء.

والحروف مرتبطة فى معانيها بالأسماء والأفعال التى ترد معها فى السياق، فقد يدخل حرف من حروف الجر على اسم فى سياق لا يصح غيره فيه، وقد يتعدى الفعل إلى ما بعده بحرف فى مقام لا يأتى معه فى مقام آخر والفعل واحد، مما يدعو إلى إعمال العقل والفكر بحثا عن سر ذلك ودلالته، والأمثلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم.

فمثلا فى حديث القرآن عن قضية الهداية، جاءت كلمة «الهدى» وما اشتق منها من أسماء وأفعال فى أكثر من ثلاثمائة موضع تحمل كلها دلالات ومعانى متعددة، يحددها سياق الآية وموضوعها، ولحروف الجر التى استعملت معها النصيب الأوفى فى تحديد هذا المعنى والإشارة إلى هذه الدلالة، ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله**﴾ (الأعراف: ٤٣) جاء ذلك حكاية عن أهل الجنة وهم فى الجنة يحمدون الله تعالى على أن وفقهم لنيل هذا النعيم العظيم، ولولا هداية الله لهم فى الدنيا وتوفيقه بأن دخلوا فى الإسلام وماتوا عليه لما وصلوا إلى هذه السعادة فى الآخرة.

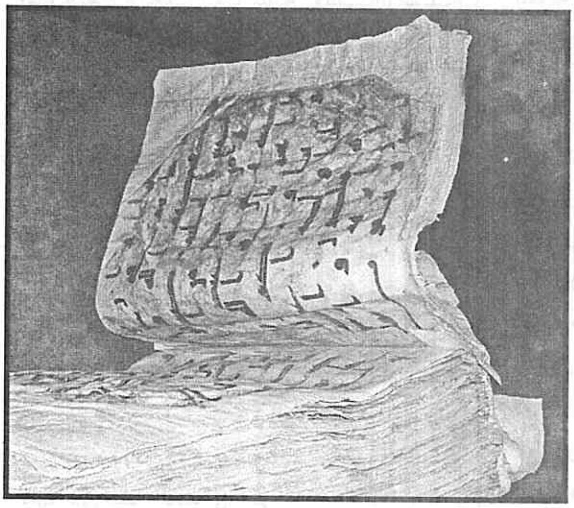

والملاحظ أن الفعل (**هدى**) تعدى لمفعوله الثانى باللام فى قوله «**لهذا**» مع أنه قد نصب مفعولين فى آيات أخرى بدون حرف الجر كما فى قوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ مما يبعث على التفكير فى سر مجيء اللام هنا، وبالنظر فيما تدل عليه لام الجر فى هذا المقام ترى أنها قد دلت على الاستحقاق والاختصاص. وهو أحد معانيها المتعددة التى تدل عليها، أى أنهم استحقوا هذا النعيم واختصهم الله به تكريما لهم وتفضلا منه سبحانه لاختيارهم الإسلام وتمسكهم به بتوفيق منه حتى ماتوا عليه.

ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفًا**﴾ (الأنعام: ١٦١). فالله تعالى يخاطب نبيه محمد ﷺ يقول له: يا محمد قل لهؤلاء المشركين المكذبين: إن ربى هدانى إلى الطريق القويم وأرشد إلى الدين الحق دين إبراهيم عليه السلام. والملاحظ هنا أن المفعول الثانى للفعل «**هدى**» وهو «صراط مستقيم» قد دخل عليه (**إلى**) الجارة مع أنه جاء منصوبا فى قوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ كما سبق، فما السبب؟ من المتفق عليه أن دخول حرف الجر (**إلى**) فى هذه الآية ليس من باب المصادفة أو تغيير فى التركيب لا هدف له، وإنما لملحظ يراد التنبيه عليه وهو يخاطب الكفار والمشركين وهو أن الله قد هدانى إلى الإسلام طريقا

ووسيلة إلى غاية هى تحقيق العبودية لله عز وجل، فالإسلام وسيلته، وهدفه عبادة ربه وطاعته، والغاية مطلقًا أحد المعانى التى يدل عليها حرف الجر «إلى» فإذا أراد التعبير عن الوسيلة جاء بـ «إلى» وإن أراد الهدف جاء التعبير بدونها كما فى ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ فالمعنى ثبتنا عليه ووفقنا للتمسك به، يقولها المسلم فى صلواته.

ومن دقة الأداء القرآنى فى استخدامه لحروف الجر ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾ (الإسراء: ٩) والمعنى: إن هذا القرآن العظيم يهدى لأقوم الطرق وأوضح السبل، ولما هو أعدل وأصوب، وهذا أمر مؤكد لا شك فيه ولا ريب، ولهذا جاءت هذه الجملة القرآنية مؤكدة بأكثر من أداة توكيد، والذى يعنينا فى موضوعنا هو دخول لام الجر على المفعول فى قوله (**للتى**) وهى لتوكيد معنى الجملة كلها فى هذا السياق، وتوكيد معنى الجملة باللام هو أحد معانيها التى تأتى للدلالة عليها كما هو معروف فى علم النحو، ولعل استخدام أكثر من أداة توكيد فى هذه الآية لتكون ردا على المكذبين بهذا القرآن المشككين فى أنه من عند الله عز وجل نزل على نبيه **محمد** ﷺ ليهدى الناس إلى أقوم الطرق وأصوبها فى هذه الحياة، ليحقق لهم سعادة الدارين معا: فى الدنيا بأن يكونوا على صواب فى مسلكهم، وفى الآخرة برضوان الله والجنة.

ومن ذلك أيضًا ما جاء على لسان الملأ من قوم نوح عليه السلام يتهمونه بالضلال ﴿**قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين ● قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين**﴾ (الأعراف: ٦٠-٦١). أى قال الأشراف والسادة من قومه: إنا لنراك يا نوح فى بعد عن الحق والصواب واضح جلى. قال أبو حيان: (ولم يجبه من قومه إلا سادتهم وأشرافهم وهم الذين يتعاصون على الرسل لانغماس عقولهم بالدنيا وطلب الرياسة)[١].

والملاحظ أنهم عندما اتهموه بالضلال جاء التعبير بحرف الجر (**فى**) ﴿**لنراك فى ضلال مبين**﴾ وعندما رد عليهم جاء التعبير بالباء ﴿**ليس بى ضلالة**﴾ والسبب فى ذلك - والله أعلم - أنهم أرادوا أنه منغمس فى الضلال إلى حد بعيد وأن الضلال محيط به من كل جانب حتى لا يعرف منه خلاصا ولا للهدى سبيلا، والذى أفاد هذا المعنى حرف الجر (**فى**) الذى يفيد الظرفية، ولهذا وصف الضلال بأنه مبين وأما فى رده عليهم بقوله ﴿**ليس بى ضلالة**﴾ ينفى عن نفسه أدنى ضلالة يمكن أن يتصف بها، جاء لفظ الضلالة بصيغة اسم المرة ليفيد بعده عن الضلال تماما ولو لمرة واحدة، ثم جاء حرف الجر (**الباء**) ﴿**ليس بى ضلالة**﴾ ليؤكد انتفاء أدنى ضلالة عنه، وهكذا يكون القرآن فى أدائه المتميز ودقته البالغة فى استخدامه حروف الجر فى مواضعها التى لا تغنى عنها غيرها قال فى صفوة التفاسير (ولم يأت التركيب: لست فى ضلال مبين) بل جاء غاية الحسن ﴿**ليس بى ضلالة**﴾ لنفى أن يلتبس أو يختلط به ضلالة ما، وهذا أبلغ من الانتفاء من الضلال إذ لم يتعلق به ولا ضلالة واحدة، أفاده صاحب البحر[٢].

ومن دقة التعبير القرآنى فى استخدام حروف الجر مع الأفعال ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ● أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين ● أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم**﴾ (النحل: ٤٦- ٤٧). والمعنى: هل أمن هؤلاء الكفار الذين مكروا برسول الله محمد ﷺ واحتالوا لقتله فى دار الندوة - أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون أو يأتيهم العذاب بغتة فى حال أمنهم واستقرارهم من حيث لا يعلمون ولا يخطر لهم ببال؟ أو يأخذهم فى أثناء أسفارهم للتجارة واشتغالهم بها أو يأخذهم حال كونهم خائفين مترقبين لنزول العذاب فإنه يكون أبلغ وأشد؟.

والملاحظ أن الفعل (**يأخذ**) قد ورد مرتين فى الآيتين الأخيرتين تعدى إلى ما بعده فى الأولى بحرف الجر (**فى**) فى قوله: ﴿**يأخذهم فى تقلبهم**﴾ وفى المرة الثانية تعدى (**بعلى**) فى قوله: ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾ فما السر فى تغير حرف الجر فى الحالتين والفعل واحد؟ يبدو لنا - والله أعلم بمراده - أن قوله: ﴿**أو يأخذهم فى تقلبهم**﴾ بإيثار (**فى**) الظرفية يدل على كمال قدرة الله ووصول انتقامه من هؤلاء المكذبين الذين يتقلبون فى النعيم صحة ومالا من تجارتهم وأسفارهم ومع هذا الذى غمرهم وأكسبهم قوة وسلطانا فإنهم لا يعجزون الله فى أن ينتقم منهم، ولذا ختمت الآية بقوله: ﴿**وما هم بمعجزين**﴾.

وأما مجىء حرف الجر (**على**) مع الفعل نفسه (**يأخذ**) فى قوله: ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾ يدل على عقابهم فى حال خوفهم وترقبهم لنزول العذاب فيزيدهم ألما على ما هم فيه ويكون أشد عليهم وأبلغ فى الانتقام منهم كما يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية فإنه يكون أبلغ وأشد فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد[٣].

ومن دقة القرآن فى استخدام حرف الجر بعد الأفعال ما جاء فى

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ (النحل: ٨٤)، ثم قال: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء..﴾ (النحل: ٨٩). ومعنى الآية الأولى: ويوم القيامة نحشر الخلائق للحساب ونبعث من كل أمة نبيها يشهد عليها بالإيمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه، ولا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بقول أو عمل.

ومعنى الآية الثانية: ويوم القيامة نبعث مع كل أمة نبيها ليشهد عليها وجئنا بك يا محمد شهيداً على أمتك..

والملاحظ أن الفعل «نبعث» قد جاء فى الآيتين معا، لكنه تعدى إلى ما بعده **فى الآية الأولى** بحرف الجر «من» وفى الآية الثانية «بفى» فقد اختلف الحرفان والفعل واحد، والمؤكد أن هذا التغيير يشير إلى دقة الأداء القرآنى فى التعبير وأن حرفى الجر فى الآيتين قد وضع كل منهما فى موضعه الذى يؤدى فيه معنى لا يؤديه غيره. والذى يظهر لنا - والله أعلم - أن الآية الأولى: تخبر عن حكم الله فى الأمم عامة فى أنه قد جعل الشاهد على كل أمة يوم القيامة رسولها الذى أرسل إليها ونبيها الذى بعث فيها هو منهم لا من غيرهم يشهد عليهم بما رآه منهم من كفر أو إيمان ومعصية أو طاعة، وهذا المعنى يناسبه حرف الجر «من» الذى يدل على البعضية، فهو واحد منهم وليس من غيرهم.

أما الآية الثانية: فتخبر عن أن هذا الرسول الذى يشهد عليهم سيبعث معهم حال قيامهم من القبور ولن يتخلف عنهم، فهو مصاحب لهم من أول لحظة حتى تزداد فرحة المؤمنين به المطيعين أمره ونهيه حين يرونه، وفى الوقت نفسه تزداد حسرة الكافرين به العاصين أمره حين يرونه كذلك، وهذا إنذار شديد ووعيد وتهديد للكفار المعاندين المكذبين الذين أشارت إليهم الاية وهى تعنيهم بقوله تعالى: ﴿**وجئنا بك شهيداً على هؤلاء**﴾، والذى دل على معنى المصاحبة فى الآية الثانية حرف الجر «**فى**» وهو أحد معانيه التى يدل عليها، فالمعنى: يوم نبعث مع كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ولن يتخلف عنهم.

وعلى نمط الآيات السابقة فى دقة الأداء القرآنى واستخدام حروف الجر ما ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفًا**﴾ (النساء: ٥)، ثم قال: ﴿**وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفًا**﴾ (النساء: ٨).

ومعنى الآية الأولى: لا تعطوا المبذرين من اليتامى أموالهم التى جعلها الله قياما للأبدان ولمعايشكم فيضيعوها، وأطعموهم فيها وأكسوهم وقولوا لهم قولا معروفًا. أما الآية الثانية فمعناها: إذا حضر القسمة التركة الفقراء والمساكين واليتامى من قرابة الميت من غير الوارثين فأعطوهم شيئًا من هذه التركة تطييبًا لخاطرهم وقولوا لهم قولا معروفًا.

ومن دقة الأداء القرآنى فى استخدام حروف الجر بعد الأفعال ما جاء فى قوله: ﴿**وارزقوهم فيها**﴾ فى الأية الأولى، ولكنه فى الآية الثانية قال: ﴿**فارزقوهم منه**﴾ فالفعل واحد ولكنه تعدى إلى ما بعده فى الأولى بحرف الجر «فى» وفى الثانية «بمن» فما السرفى ذلك.

يبدو للمتأمل أن الخطاب فى الآية الأولى للأوصياء يدعوهم الله أن يستثمروا أموال اليتامى ويتجروا فيها ويربحوا ليكون إنفاقهم على اليتامى من الأرباح لا من أصل المال حتى لا تأكله النفقة، ولذا جعل أموالهم كأنها مكانا وظرفًا لأرزاقهم، ومن ثم جاء بعد الفعل بحرف الجر «فى» الذى يدل على الظرفية، أما الآية الثانية: «ارزقوهم منها» خطاب لمن يقسمون التركة بين مستحقيها أن يعطوا من حضر من الفقراء واليتامى والمساكين من غير الوارثين شيئًا من التركة ولو قليلا جبرا لخاطرهم، ولذا جاءت «من» التبعيضية فى الآية الثانية للدلالة على هذا المعنى.

وهكذا القرآن فى دقته حين يعبر عن معنى يستخدم له من الحروف والأفعال والأسماء ما يعجز عنه غيره فى اختياره ووضعه وتقديمه أو تأخيره، وعلينا أن نعمل الفكر وندقق النظر مستعينين بالله لمعرفة ما وراء ذلك من اللطائف والحكم.

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا وأن يوفقنا دائمًا لما يحبه ويرضاه إنه ولى ذلك والقادر عليه،،

الهوامش:

١- البحر المحيط ٣٣٠/٤ - المختصر ٣٣٣/٢.

٢- صفوة التفاسير ص ٤٥٢.

٣- المختصر ٣٣٣/٢.

في التدبر الموضوعي:

بين «الشمس والقمر» و «الليل والنهار» في الآيات القرآنية الكريمة

د. كريم حسنين إسماعيل عبد المعبود

إن الفضاء الكوني مظلم بطبيعته رغم وجود الشمس والنجوم فيه، كما أن بقية الغلاف الجوى الذى يمتد من ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر إلى نهاية سقف الأرض (الشكل-١) مظلم كذلك، وذلك لأن من قوانين الطبيعة أن الضوء لا يُرى إلا إذا دخل وسطًا ماديًا شفافًا مثل الهواء الكثيف نسبيًا أو الماء، فطبقة النهار محدودة لا يزيد ارتفاعها عن حوالى ٢٠٠ كم فقط، وتحجب عنا طبقة النهار الرقيقة تلك ظلام الفضاء الذى يعم كل بدن السماء، وسبب اقتصار ضوء النهار على هذه الطبقة هو تشتت أو تناثر أشعة الشمس - خصوصًا الزرقاء - بوفرة وغزارة بجزيئات الهواء، حيث تزداد كثافة الهواء نسبيًا ويزداد عدد جزيئاته المتراكمة فى الطبقة السطحية تحت ضغط طبقات الجو التى تعلوها، وبواسطة التشتت أو التناثر هذا يقبل ضوء النهار من كافة الاتجاهات، ويمكن أن تضيء أية غرفة بفتح أية نافذة فيها ولو لم تكن تواجه الشمس أو تدخل منها أشعة الشمس المباشرة، فالذى يضيء هو أشعة الشمس المتناثرة أو المشتتة فى كافة الاتجاهات، وذلك هو ضوء النهار، وهو من نعم الله تعالى على أهل الأرض.

بسبب الانعدام النسبى للجزيئات فى الفضاء خارج غلاف الأرض ورغم توفر ضوء الشمس فإن السماء تظهر لرواد الفضاء مظلمة كليل دائم حالك السواد (الشكل-٢)، ومن المدهش أن يسبق القرآن الكريم ويجعل للسماء ليلًا دائمًا، بل ويصفه بأنه حالك السواد، قال تعالى **﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ● رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ● وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾** (النازعات ٢٧-٢٩)، فقد جعل القرآن الكريم للسماء ليلًا لأن الضمير فى قوله تعالى **(لَيْلَهَا)** يعود بالتأكيد على السماء، وإذن فالآية تتعلق بليل السماء الدائم المعبر عن الفضاء أجمعه، وليس

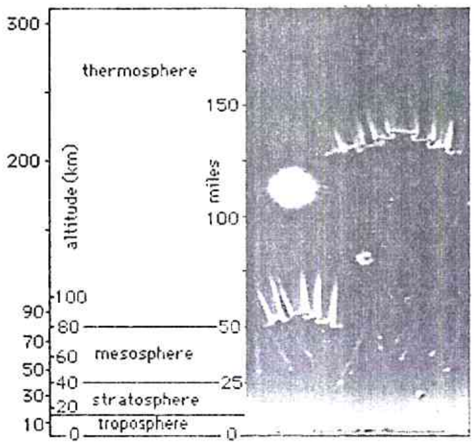

الشكل-١: الغلاف الجوى الأرضي: ويُقسم عادة إلى أربعة طبقات طبقاً للتنويعات الحرارية وهي: تروبوسفير (troposhere)، وستراتوسفير (startosphere) وميزوسفير (mesosphere)، وثرموسفير (thermosphere) ويوضح الرسم ارتفاع (altitude) وثخانة كل طبقة بالكيلومترات.

ليل الأرض الذى يعقب غروب الشمس، ونحن لا نعرف من الليل سوى الظلام، وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أى جعل ليلها مظلمًا أسودًا حالكًا، والمدهش أن تكون الشمس بازغة على الدوام فى فضاء الكون رغم سيادة الليل الشديد الظلام ليغشى كل الأجرام كلباس يكسوها من كل جانب، فتبدو كنقاط لامعة فوق خلفية سوداء قاتمة (الشكل-٣)، ولكن القرآن الكريم يسبق فى وصف الليل ذلك الليل الدائم بأنه لباس، أى يماثل الكساء الخارجى لتغطيته فى الفضاء لعموم الأجرام، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النبأ:١٠)، وفى قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا • وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا • وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (الشمس:١-٤)، والفعل ﴿يَغْشَاهَا﴾ يعنى التغطية، وتدل صيغة المضارع على الاستمرار والضمير فيه يعود حتمًا على الشمس مما يعنى أن الليل المعهود بظلمته يغطى الشمس باستمرار.

من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم بيانه للفرق بين الضياء والنور، فالأول يدل على أن الجرم السماوى مضيء بذاته، ولذلك أتى فى وصف الشمس، بينما النور ما هو إلا انعكاس للضوء المتساقط على الأجرام المعتمة، ولذلك أتى فى وصف القمر، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس آية ٥)، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان آية ٦١)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (سورة نوح آية ١٦)، فالقمر يقوم فقط بعكس ضوء الشمس إلى الأرض لينيرها أثناء الليل، بينما الشمس -كما نعلم- مصدر ضوء النهار والدفء على سطح الأرض، وتدل كلمة سراجًا فى قوله تعالى ﴿الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ على حالة التوقد بوهج يُرسل الحرارة والضوء إلى الفضاء.

لمَّا كان الفضاء الكونى مظلمًا بطبيعته رغم وجود الشمس والنجوم فيه، فإن تلك القشرة السفلية من سقف الأرض هى بمثابة طبقة رقيقة تواجه الشمس فتنسلخ عن باقى الغلاف الهوائى (أو سقف الأرض) بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس كما نسلخ جلد البعير من الجسد، فمن أروع صور الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم استخدامه كلمة "نسلخ فى قوله تعالى ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧)، فتلك القشرة السفلية من سقف الأرض هى بمثابة طبقة رقيقة تواجه الشمس فتنسلخ عن باقى الغلاف الهوائى (أو سقف الأرض) بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس كما نسلخ جلد البعير من الجسد، فالقرآن الكريم يشبه النهار بجلد الذبيحة الرقيق الذى يسلخ بسبب حركة الأرض الدائمة حول نفسها أمام الشمس فيكشف خلفه ظلمة الليل الدائم الذى يعم كل بدن السماء، والسلخ فى اللغة هو إخراج الشيء من جلده، فلفظ "نسلخ" لا يكون إلا لجلد الذبيحة الرقيق الذى يستر خلفه كامل البدن الذى يصفه القرآن الكريم بالظلام، مما دفع بعض قدامى المفسرين إلى القول بأن الأصل هو الظلمة والنور عارض طارئ عليها، وإذن فنهار الأرض ينسلخ بشكل دائم من ظلام الليل الدائم بسبب حركة الأرض فى الفضاء كما ينسلخ جلد الشاة من جسدها.

إن القبة الزرقاء التى نراها من فوق رؤوسنا أثناء النهار ما هى إلا ظاهرة ضوئية تحدث فى الجزء السفلى من الغلاف الجوى للأرض بسبب وفرة تشتت أو تناثر أشعة الشمس، وعندما يصعد رجال الفضاء يرونها من تحتهم، بينما يبدو الفضاء الكونى على حقيقته حالك الظلام، كل ذلك بينما تبدو الشمس مستعرة جنبًا إلى جنب مع سائر النجوم -والتى يزداد عددها بسبب ظهور تلك التى يحجب غلاف الأرض الجوى ضوءها

الخافت ويحول دون رصدها من على سطح الأرض- حتى يتخيل لرجل الفضاء لأول وهلة أنه قد سُحِر أو أصيب بمرض. قال تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤، ١٥). حيث قيل إن معنى **(سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا)** أى أغلقت عيوننا يعنى غشيت وغطيت أو سدت ومنعت من الإبصار، فماذا يرى من أغلقت عيناه سوى الظلام؟ والمدهش أن القرآن الكريم يجعل الشعور بتسكير الأبصار نتيجة للظلام مع العروج فى وقت النهار ليؤكد أن مشهد الظلمة هو بعد طبقة النهار، ولهذا استخدم فعل **«ظلوا»** بدلًا من "باتوا" أو "أمسوا" ليفيد بأن العروج فى المشهد التصويرى الذى يقدمه القرآن فى وقت النهار لأن الظل لا يكون إلا بالنهار، وفى اللغة: ظل فلان يفعل كذا أى فعله نهارًا.

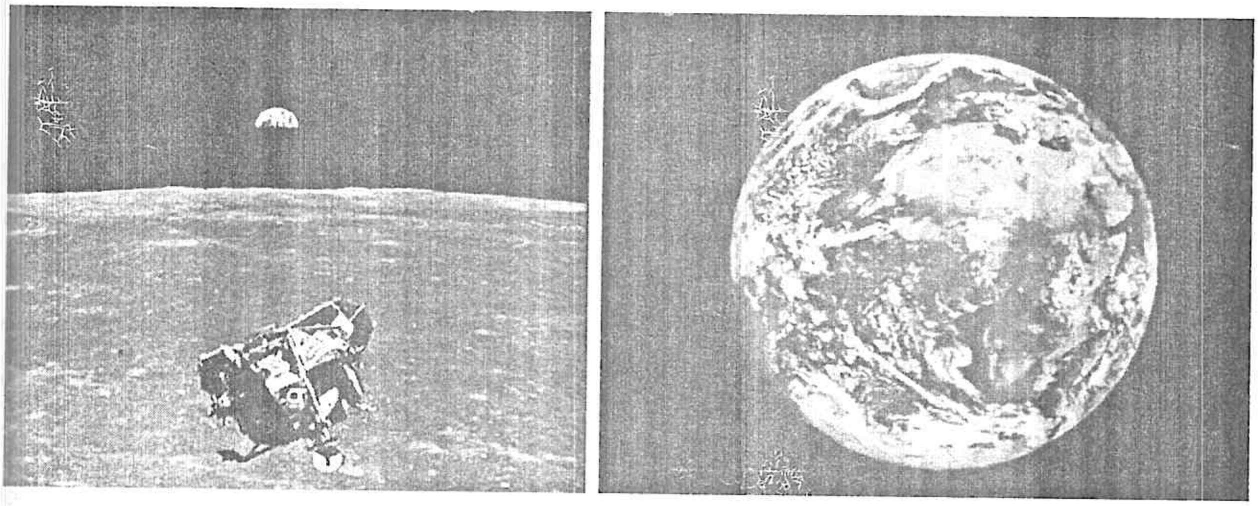

الشكل-٢: رحلة أبوللو ١١: (أ) قام رواد الفضاء باستخدام الكاميرا لتصوير الأرض، و يظهر فى الخلفية الفضاء الكونى حالك الظلام. (ب) صعود الوحدة القمرية "النسر" من على سطح القمر لترسو على وحدة القيادة "كولومبيا"، وتظهر الأرض -فوق أفق القمر- غارقة فى الظلمة الحالكة للفضاء الكونى.

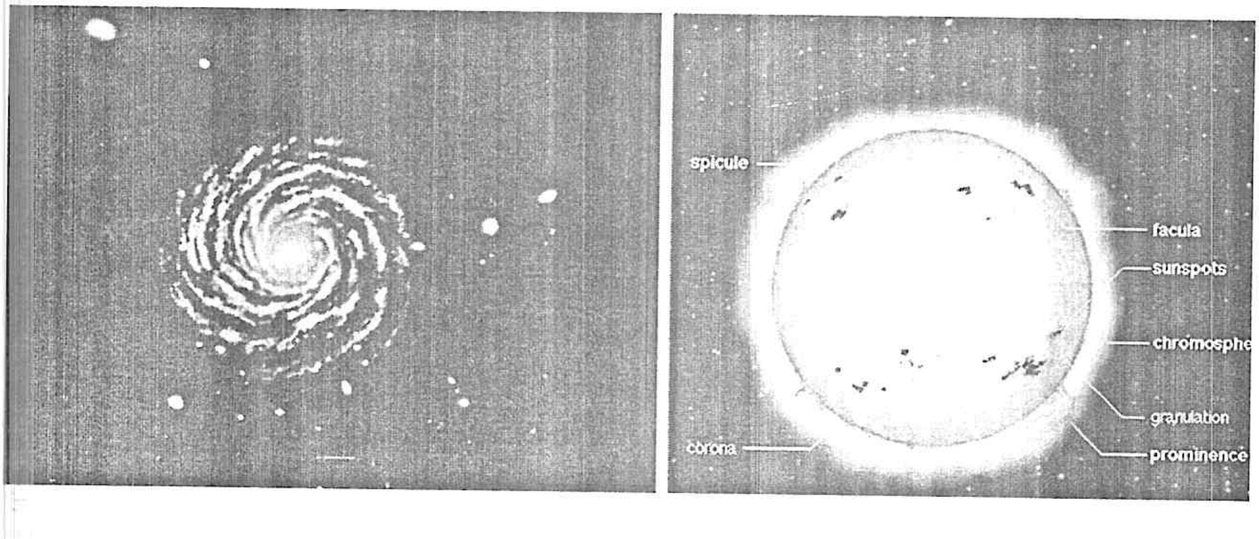

الشكل-٣: ظلمة الفضاء حالكة السواد: (أ) الشمس ويحيطها ظلام الفضاء. (ب) النجوم ومجرة درب اللبّانة التى تنتمى لها مجموعتنا الشمسية فى ظلمة الفضاء.

إعجاز التعبير القرآني:

إن الأخذ بالتدبُّر الموضوعى والنظر فى حكمة ورود الألفاظ المختلفة وترتيبها أمر أساسى للوصول إلى مَفَاتح جديدة تعين على فهم أوجه الإعجاز فى الآيات الكريمة (٧-١٣)، ويذهب الكاتب -والله تعالى أعلم- إلى أن هناك وجه جديد من عظمة التعبير القرآنى عن هذه الحقائق، وهذا الوجه لم يذكره أحد من قبل، ألا وهو القاعدة العامة التى نجدها عند تتبع ورود "الشمس" و"القمر" و"الليل" و"النهار" فى الآيات الكريمة، وتشمل ثلاثة أقسام وهى:

(القسم الأول) أينما ذُكِرَ «الليل» فإنه يأتى قبل ذكر «النهار»، ويتجلى ذلك فى ٣٢ موضعًا فى الكتاب الكريم، وهى قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (البقرة: ١٦٤)، و **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (البقرة:٢٧٤)، و**﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾** (آل عمران:٢٧)، و**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (آل عمران:١٩٠)، و**﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (الأنعام:١٣)، و**﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾** (الأنعام:٦٠)، و**﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا﴾** (يونس:٢٤)، و**﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾** (يونس:٦٧)، و**﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** (الرعد:٣)، و **﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾** (الرعد:١٠)، و **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾** (الإسراء:١٢)، و **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾** (الأنبياء:٢٠)، و **﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾** (الأنبياء:٤٢)، و **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾** (الحج:٦١)، و**﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (المؤمنون:٨٠)، و **﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** (النور:٤٤)، و **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾** (الفرقان:٤٧)، و **﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾** (النمل:٨٦)، و **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (القصص:٧١-٧٣)، و **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (الروم:٢٣)، و **﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾** (سبأ: ١٨)، و **﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (سبأ:٣٣)، و **﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾** (غافر:٦١)، و **﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** (الجاثية:٥)، و **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾** (الحديد: ٦)، و **﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾** (الحاقة:٧)، و**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾** (نوح:٥)، و**﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ • قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً • نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً • أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً • إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً • إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً • إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾** (المزمل:١ - ٧)، و **﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** (المزمل:٢٠)، و**﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا • وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾** (النبأ:١٠، ١١)، و**﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾** (النازعات:٢٩)، و **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى • وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾** (الليل: ١، ٢).

(القسم الثانى) أينما ذُكِرَت «الشمس» فإنها تأتى قبل «القمر»، ويتجلى ذلك فى خمسة مواضع فى الكتاب الكريم، وهى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (يوسف: ٤)، و ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (الحج:١٨)، و ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (العنكبوت:٦١)، و ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن:٥)، و ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٩).

(القسم الثالث) أينما ذُكِرَ «الليل» و«النهار» و«الشمس» و«القمر» فى سياق واحد فلابد من أن يسبق «الليل» ذكر «النهار» وأن تسبق «الشمس» ذكر "القمر"، ويتجلى ذلك فى ١٢ موضعًا فى الكتاب الكريم، وهى قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف:٥٤)، و﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ● إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (يونس:٥، ٦)، و ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ● وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:٢، ٣)، و﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (إبراهيم:٣٣)، و ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ (النحل: ١٢)، و ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه: ١٣٠)، و ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء:٣٣)، و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ● وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ (الفرقان:٦١، ٦٢)، و ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (لقمان:٢٩)، و ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (فاطر: ١٣)، و ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ● وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ● وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ● لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٣٧-٤٠)، و ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (الزمر:٥)، و ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ● فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت:٣٧-٣٨).

إن هذه القاعدة - ذكر «الليل» يسبق ذكر «النهار»، وذكر «الشمس» يسبق ذكر «القمر»- قد تمت مراعاتها فى ٥٠ موضعًا من الكتاب الكريم، وهو ما يتفق مع الحقائق العلمية المقررة من أن الكون ما هو إلا «ليل» دائم - فالأصل هو الظُلمة - وفيه «شمس» أى نجم مستعر لا يُرَى الضوء المنبعث منه إلا عند انعكاسه من الأجرام السماوية المعتمة لينيرها، أو نتيجة التشتت أو

التناثر فى الطبقات العليا للغلاف الجوى الأرضى لنرى ضوء النهار، ويتجلى الأمر فى الجزء الثالث حيث يلحظ المرء أن الترتيب فى الآيات الكريمة يأتى على خلاف ما يمليه الحس البشرى -بدون أى معرفة علمية- من حتمية مراعاة التناسق بمقابلة «الليل» بـ «بالقمر»، و«لنهار» بـ «الشمس» وذلك لأن الآيات الكريمة هى قول الحق جل وعلا خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

إن أهمية معرفة هذه القاعدة العامة هو التدبر فى حكمة مخالفتها فى ست آيات كريمة، وهى قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود: ١١٤)، و ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء:٧٨)، و﴿وَالضُّحَى • وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى • مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى:١-٣)، و ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦)، و ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام: ٩٦)، و ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا • وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا • وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ (الشمس: ١-٤)، وقد قيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى • وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أن الله تعالى أقسم بوقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه، وغطّى كل شيء فى الوجود ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أى ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك، ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا رد على المشركين حين قالوا: هجره ربه، وهو جواب القسم، وقال الشيخ محمد متولى الشعراوى -رحمه الله- فى تسجيلاته فى شرح هذه السورة: إن الضحى هو وقت الكد والعمل والليل هو وقت السكون والراحة، وهذا يبين علاقة القسم بالمقسوم عليه، ولعله يمكن للمرء الوقوف على دلالات جديدة إذا ما تدبر الآيات الكريمة الأخرى فى ضوء ما سبق، هذا والله تعالى أعلم.

المراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- محمد على الصابونى: صفوة التفاسير. دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣- محمد دودح: لمحات باهرة حول ظلمة الفضاء فى القرآن الكريم. مقال فى مجلة الإعجاز الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، العدد الثاني، جمادى الأولى ١٤١٧هـ - سبتمبر ١٩٩٦م، ص ٣٤ ـ ٣٩.

٤- محمد جمال الدين الفندى: الكتاب الكونى أو المعجزة الخالدة. نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م. ص. ٣٣، ٨٢ ـ ٨٦.

٥- أحمد فؤاد باشا، عميد كلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة سابقًا (الاتصال الشخصى).

٦- كريم حسنين: الآيات الكونية فى القرآن الكريم: التدبُّر والمَفَاتح. بحث فى المؤتمر الدولى الثانى عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وعنوانه «مناهج العلوم وفلسفتها من منظور إسلامى»، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٧-٩ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٦ أبريل ٢٠٠٧، بالتعاون مع كلية العلوم بجامعة القاهرة ومركز الدراسات المعرفية بالقاهرة.

٧- كريم حسنين: دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن. نهضة مصر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٨- كريم حسنين: الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية. نهضة مصر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩- كريم حسنين: "الخنازير قادمون: الهندسة الوراثية ونقل الأعضاء الحيوانية إلى الإنسان بين العلم والقرآن". نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٠- كريم حسنين: تعريب الطب ونظرة إلى الجذور (١): (العُقم) و(العُقر). مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، ١٩٩٩م، ٦(٢): ١٧ ـ ٢٦.

١١- كريم حسنين: تعريب الطب ونظرة إلى الجذور (٢): (المشيج) و(الأمشاج). مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، ٢٠٠٠م، ٧(١): ٩ ـ ١٧.

١٢- كريم حسنين: تعريب الطب ونظرة إلى الجذور (٣): (الفَرْث) و(الإنفراث). مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، ٢٠٠١م، ٨ (٢):١١ ـ ٢٤

١٣- كريم حسنين: تعريب الطب ونظرة إلى الجذور (٤): (طب المُجْتَمع) أم (طب القريَة). مجلة طب الأسرة والمجتمع السعودية، ٢٠٠٧م، ١٤(٣): ٩ ١١ ١٤.

الوصايا العشر فى القرآن الكريم (٢)

الشيخ / فوزى الزفزاف

ذكرنا فى المقال السابق أن الآيات الثلاث التى وردت فى سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الآيات ١٥١ ـ ١٥٣، قد تضمنت هذه الآيات الكريمة عشر وصايا، تحدثنا عن أربع وصايا منها، ونستكمل فى هذا المقال الحديث عن بقية الوصايا:

الوصية الخامسة:

﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ أى: ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، أى: بسبب شرعى يبيح قتلها: كالقصاص، أو أن صاحبها يحارب الله ورسوله، أو يسعى فى الأرض فسادًا... لأن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه بناء الله ـ جل شأنه ـ بناه فلا يحق لأحد أن يهدم ما بناه الله إلا بسبب شرعى أقرّه الله.

ويعتبر الإسلام أن مَنْ يعتدى على نفس واحدة فكأنما قد اعتدى على الناس جميعا **﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾** (سورة المائدة آية ٣٢)

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لَزَوال الدنيا أهْوَن على الله من قتل مؤمن بغير حق»**[١]، وزاد فى رواية: **«ولو أن أهل سماواته وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار».**

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: **«ما أطيَبك، وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك!! والذى نفس محمد بيده لحُرْمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه»**.[٢]

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول **«كُلُّ ذنْب عسى الله أن يغفره إلا الرجلَ يموتُ مشركًا، أو يقتل مؤمنًا متعمدًا»**.

وعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إذا أصبح إبليسُ بثَّ جنوده فيقول: مَنْ أخْذَل اليوم مسلمًا ألبسْتُهُ التاج، قال: فيجىء هذا فيقول: لم أزَلْ به حتى طلّق امرأته، فيقول: يُوشك أن يتزوج، ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى عَقَّ والديه، فيقول: يوشك أن يَبرّهما، ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرَك، فيقول: أنت أنت[٣]، ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى قَتَل، فيقول: أنت أنت، ويُلْبِسُه التاج»**.[٤]

الوصية السادسة:

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده﴾، لقد حرص الإسلام على رعاية اليتيم وعلى

حسن كفالته، وعلى تعليمه وتربيته، وعلى الحفاظ على ماله وتنميته واستثماره بالوجه الذى ينفعه فى الحال والمآل، ونهى عن الطمع فى شىء من ماله، لا من قِبَلْ الورثة، ولا من قِبَلْ الأوصياء، ولا من قِبَلْ غيرهم، إلى أن يصير بالغًا رشيدًا يُحسن التصرف فى الأموال فيسلم إليه ماله.

وإذا كان الولى أو الوصىّ على مال اليتيم غنيًا فعليه أن يتولى إدارة أموال اليتيم حِسْبةً لوجه الله ـ تعالى ـ، ويستعفف ويتنزه عن أخذ جزء من مال اليتيم نظير هذه الإدارة... أما إذا كان فقيرًا فله أن يأخذ من مال اليتيم على قدر حاجته الضرورية، وعلى أجر سعيه وخدمته له، فقد رُوى عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إنى فقير ليس لى شىء، ولى يتيم قال: فقال له النبى ﷺ: **«كُلْ من مال يتيمك غير مسرف ولا مباور ولا متأثل»**[5]، أى: غير مسرف

وقد حذّر الإسلام ـ بأسلوب الترهيب والتهديد ـ من أكل أموال اليتامى، فقال ـ تعالى ـ: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ⑨ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** ⑩. (سورة النساء الآيتان ٩، ١٠)

كما رغّب الإسلام فى كفالة اليتيم بالحُسنى، وفى رعايته والإحسان إليه، وفى إدخال البهجة والسرور إلى نفسه، ببيان الثواب والجزاء الذى سيناله مَنْ يفعل ذلك، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى»[6]، وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «خَيْرُ بيتٍ فى المسلمين ببت فيه يتيم يُحْسن إليه، وشر بيتٍ فى المسلمين بيتٍ فيه يتيم يُساء إليه»[7]، وعن أبى أُمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ مَسَحَ على رأس يتيم لم يَمْسَحه إلا لله كان له فى كل شَعْرة مرت عليها يده حسنات، ومَنْ أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كُنْتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين» وفرّق بين أصبعيه السبابة والوسطى».**[8]

الوصية السابعة:

«وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها»، هذه الوصية تحقق العدل فى التعامل بين الناس فى البيع والشراء، بحيث يُعْطى صاحبُ الحق حقه من غير نقصان ولا بخس، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة، أى: أتموا الكيل إذا كلتُم للناس أو اكتلتُم عليهم لأنفسكم، وأوفوا الميزان إذا وزنتُم لأنفسكم فيما تبتاعون، أو لغيركُم فيما تبيعون، فلا تنقصوا الكيل والميزان لا عند الأخذ ولا عند العطاء.

ولخطورة انتشار تطفيف الكيل والميزان فى المجتمع، لما يترتب عليه من الفساد والظُلم وضياع الحقوق، أرسل الله ـ سبحانه ـ نبيه شعيبًا عليه السلام إلى أهل مدين عندما شاعت وانتشرت فيهم هذه الظاهرة السيئة، يقول الله تعالى: **﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾** الآيات ٨٤ ـ ٨٦ سورة هود.

وقد توعد الله ـ تعالى ـ الذين يبخسون الناس فى الكيل والميزان بالعقاب الشديد فى قوله تعالى: **﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾** (سوة المطففين الآيات ١ ـ ٣)

ولأن الدقة الكاملة فى إيفاء الكيل والميزان بالعدل عند البيع والشراء ربما لا تتحقق، أعطت الآية الكريمة رخصة فيما خرج عن الطاقة من غير تعمد **﴿لا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾**، وفى ذلك رفع للحرج لو حدث شىء من الزيادة أو النقصان غير المقصود والمتعمد فى الكيل والميزان.

الوصيـة الثامنـــة :

﴿وإذا قلتُم فـاعـدلوا ولو كـان ذا قـربى﴾، أى: وإذا قلتم قـولا فـاعـدلوا فيه، ولو كان المقول له أو عليه صاحب قرابة منكم، لأن العدل هـو أساس أمن المجتمع واستقراره، وهـو الذى ينشر الطمـأنينة بين أفـراده: العـدل فى الحُكم، العـدل فى القـول، العـدل فى الفعل... فالعدل إذا توفر يساعد علي العـمل والإنتـاج، ويحـقق الرفـاهيـة والرخاء.

مـا أسـعـد أن يعيش الإنسان فى مجتمع يسوده العدل فى جميع جوانب الحياة، لذا نجد أن القرآن الكريم فى هذه الوصية يرتفع بالضمير الإنسانى البـشرى إلى مـسـتوى عـال سـام فى الحيـاة، يكلفـه بتحـرى العـدل فى كل أحواله، ولو إزاء أقرب الأقربين إليه..

وقـد أجـزل الله العطاء والثـواب للذين يقيمون العدل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قـال : قـال رسـول الله ﷺ: **«إن المُـقْـسِطين عند الله على منابر من نور: الذين يَعدِلون فى حكمهم وأهليهم ومـا وُلُّوا»**.[٩] وشـدد العـقـوبـة على الظالمين، عن أبى أُمامة إياس بن ثَعْلَبَة الحـارثىّ - رضي الله عنه - أن رسـول الله ﷺ قـال : **«مَنْ اقْـتَطع حقَّ امـرئٍ مـسـلم بيـمينه فـقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة»** فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: ﷺ **«وإن كان قضيبًا من أراك»**.[١٠]

ورسـولنا ﷺ يبين لنا أن العدل بين الناس أفضلُ العبـادات، وأن جزاءه عند الله عظيم، وثوابه جزيل، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ : **«يا أبا هريرة عَدْل ساعة أفضل عند الله - تعالى - من عبادة ستين سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وظلم ساعة أشد وأعظم عند الله - تعالى - من معاصى ستين سنة»**.

كما يبيّن لنا الرسول الكريم ﷺ أن تحقيق العدل بين الناس يكون سببًا فى استجابة الله للدعاء، وأن الظلم بين الناس يكون سببًا فى عدم استجابة الله للدعاء، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : **«لا تظْلمـوا فتَـدْعُـو فـلا يُسْتجاب لكم، وتَسْتَسْقُوا فـلا تُسْقُوا، وتَسْتَنْصِرُوا فلا تُنْصَرُوا»**.[١١]

الوصيـة التاسعـــة :

﴿وبعهد الله أوفوا﴾، أى : كونوا أوفيـاء مع الله - تعالى - فى كل ما عهد إليكم من العبادات والمعاملات، والسلوك والأخلاق، فالتزموا تنفيذ ما أمركم به، واجتنبوا ما نهاكم عنه؛ لأن الوفاء بعهد الله يحقق الخير والسعادة والصلاح للأمة، ويمنع الشر والشقاء والفساد فى المجتمع.

وتقييد العهود بالعهود التى مع الله تنفى العهود القائمة على الظُلم أو على الباطل أو على الشر، أو على الاعتداء على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم... فمثل هذه العهود غير جديرة بالاحترام والوفـاء، لأن الله - تعالى - لا يأمر إلا بالعدل والإحسان، ولا يعهد إلى خلقه إلا بكل ما فيه صلاحهم وحسن عاقبتهم فى الدنيا والآخرة.

وقد أمرنا الله بالوفاء بعهده فى أكثر من آية فى القرآن الكريم، يقول الله - تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ (آية ١ سورة المائدة) أى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بعهد الله عليكم، وبعقدكم بعضكم على بعض، قال ﷺ: **« المؤمنون عند شروطهم»**، وقال: **«كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان فيه مائة شرط»**، فبيّن أن الشرط أو العقد الذى يجب الوفاء به هو ما وافق كتاب الله، أى: دين الله، فإن ظهر ما يخالف رد، كما قال ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.[١٢]

الوصية العاشرة :

﴿وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾، أى: وأن الذى وصيتكم به من الوصايا والتكليفات والأوامر والنواهى هو الطريق المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهو الذى يوصل إلى السلامة والأمان فى الدنيا والآخرة، فيجب عليكم أن تتبعوه وتعملوا به، ولا تتبعوا الأديان الباطلة، والبدع والخرافات والضلالات والأهواء الفاسدة وإغواءات الشياطين فتُبعدكم عن صراط الله المستقيم، وهو دين الإسلام الذى ارتضاه الله لكم.

عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ضرب الله مثلا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتى الصراط سُورَان فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تَعْوَجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه.. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المُفتحة محارم الله، وذلك الداعى من فوق الصراط واعظُ الله فى قلب كل مسلم»**.(١٣)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: **«هذا سبيل الله»** ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: **«هذه سُبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﷺ ﴿وأن هذا صراطى مستقيما...﴾**.(١٤)

قال أبو حيان : ولما كانت الخمسة المذكورة فى الآية الأولى من الأمور الظاهرة الجلية مما يجب تعقلها وتفهمها خُتمت الآية بقوله: **﴿لعلكم تعقلون﴾**، ولما كانت الأربعة المذكورة فى الآية الثانية خافية غامضة، ولا بد فيها من الاجتهاد والتفكر حتى يقف الإنسان فيها على موضع الاعتدال خُتمت بقوله: **﴿لعلكم تذكرون﴾**، ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف، وأمر ـ سبحانه ـ باتباعه ونهى عن اتباع السُّبُل المختلفة ختم ذلك بالتقوى التى هى اتقاء النار، إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدية، وحصل على السعادة السرمدية.(١٥)

الهوامش :

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٩٣.
(٢) ابن ماجه.
(٣) أنت جدير بالإكرام لغوايتك، فيفرح إبليس فيدنى منه ذلك الشيطان.
(٤) ابن حبان.
(٥) أبو داود.
(٦) البخارى وأبو داود والترمذى.
(٧) ابن ماجه.
(٨) رواه أحمد.
(٩) مسلم.
(١٠) مسلم.
(١١) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٨٤.
(١٢) تفسير القرطبى.
(١٣) أحمد.
(١٤) أحمد.
(١٥) البحر المحيط لأبى حيان ج ٤ ص ٢٥٤.

قال تبارك وتعالى: ﴿ولا تُلْقوا بأيديكم إلى التهلكة...﴾

الصحة مِنْحة مَمْنوحة من مُنْعم

عمر موسى موسى البرعى

يا مَنْ ترجّى صحةً تحيا بها ... فى ظلها تصفو لك الأحْوال
لا تحتقن بالسمِّ واحذر فتكه ... إن السّموم مهالك ووَبال
فيها تعيش مُحطمًا فى حسرةٍ ... وتئُودكَ الأحْمالُ والأثقال

وَدَع المخدر إنّ مَنْ يَعْتادُهُ ... فماله شرّ له ونكال
فالشرعُ حرمَهُ وأوْعَدَ أهلَهُ ... والنارُ مأواهُ وبئسَ مآل
فى ظلّه الفقرُ المحققُ مُدْقع ... وبه يَعُمُّ تَسوّلٌ وسُؤال

فلكم أضاع الرُّشْدَ واسْتَلبَ النُّهى ... عن ضُرّه تتحدّثُ الأقْوال
يا مَنْ تعاطاه تداركْ مَوْقفًا ... تغزوك فى ساحاته الأهْوال
هوَ سَوْءة فى ظلِّه يبدو الردَّى ... ويكونُ للمرض المذلّ مَجَال

فالصّحةُ التّاجُ الذى يزهى به ... رأس ويَعْلوهُ سنًا وجمال
لوجودها كلُّ النفوس تطلعت ... والنَّفْسُ فيهَا بالمنى تختال
لا شىءَ فى الدّنْيا تُعادل فضلها ... قول سديد ليس فيه جِدال

فبدونها المرْضى يُقاسون الشّقا ... ووصولهم للأمنيات مُحال
وبدونَها العقلُ السَّليمُ يَتيه فى ... صخب الحياة تذلّه الأغلال
هى منحة مَمْنوحة منْ مُنْعِم ... وعلى سناها ينْبغى الإقْبال
فاحرصْ عليها فهى كنزُ سعادةٍ ... تُرجى، بها تتحققُ الآمال

الفكر الإسلامى

- أوهام المستشرقين: خطأ فى البديهات
- العقل والدين والمعجزة
- بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية
- علاقة الإسلام بالآخر (١)
- الموروث الثقافى فى ميزان الإسلام (١)

أوهام المستشرقين

خطأ في البديهات

د. محمد رجب البيومي

ما رأيك فيمن يتصدر البحوث الإسلامية قرابة نصف قرن فى جامعة أكسفورد وله من الحواريين من يهتفون باسمه ويعدونه المثال الأول فى التحقيق والتدقيق، وفيهم من يعمد إلى مفترياته فيبسطها بسطًا مسهبًا، وكأنه يتولى شرح نص مقدس! ما رأيك فى هذا الرأس الأكبر حين يتعمد تزييف الحقائق تزييفًا سافرًا، لا لبس فيه، وأقول إنه يتعمد إذ يستحيل على إنسان درس المقررات الإسلامية، وعالج التاريخ الأول لصدر الإسلام على مدى نصف قرن فى أرقى الجامعات الأوروبية التى يشار إليها بالبنان، يستحيل على مثل الدارس الشيخ أن يخطئ فى بديهيات مسلمة، إلا إذا كان يريد أن يزيف الحقائق السافرة؛ لحاجة مريضة فى نفسه، وثوب الرياء ليشف عما تحته، بل إنه لا ثوب على الإطلاق، حين نرى العرى المخزى عن عيان.

يكتب الأستاذ مرجليوث بحثًا عن الإسلام والحنيفية فيقول إن كلمة مسلم مأخوذة من مسيلمة وأن الحنيف نسبة إلى بنى حنيفة؟ ولا أقول إن ذلك جهل شائن؛ لأن المسلمات الشهيرة عند من درسوا المبادئ الأولية فى التاريخ الإسلامى تمتهن هذا السفه وتزدريه، أما الذى يكتب مؤلفًا عن السيرة النبوية بعد خمسين عامًا قام فيها بتدريس البحوث الإسلامية فى جامعة أكسفورد، حيث نشأ بها طالبًا ثم تولى التدريس بها منذ ١٩٠٨م إلى سنة ١٩٤٠م !! ويقول بعد ذلك إن «مسلم» كلمة منسوبة إلى مسيلمة وأن الحنيف كلمة منسوبة إلى بنى حنيفة قوم مسيلمة باليمامة، إن الذى يكتب السيرة بهذا الهراء لا بد أنه مبشر يصطنع أحد الوسائل فى الادعاء، وهى وسيلة البهتان الصريح وإذا استغرب القارئ صدور هذا الإفك من مثل هذا البحاثة فإليه النص الأثيم.

كلام مرجليوث[1]

يرى مرجليوث أن كلمتى «مسلم وحنيف» وجدتا قبل الإسلام، واستعملتا استعمالاً دينيًا بمعنى موحدًا، لأن نوعًا من التوحيد الدينى ظهر قبل البعثة بنحو عشرين سنة، ودعا إليه مسيلمة، فسمى أتباع مسيلمة بالمسلمين، نسبة إلى اسمه. كما عرفوا بالحنفاء نسبة إلى قبيلته حنيفة، فلما بعث محمد عليه الصلاة والسلام «استعمل الكلمتين ولم يكن على علم على الأقل بأصلهما، ثم بدا له بعد ذلك أن يشير إلى أنهما استعملتا منذ عهد إبراهيم».

يقول الدكتور أبو العلا عفيفى تعقيبًا على هذا الزور الآفك: (هذه هى الدعوى التى ادعاها مرجليوث، وبذل فى تأييدها كل ما أوتى من صبر وحيلة فى البحث وكل ما أوتى من عبقرية أيضًا، ولكنها دعوى فاشلة كما ترى).

ونحن نقول، إن ما سطره المستشرق المضل، لا يدل على عبقرية، لأن العبقرية تمنع صاحبها أن يهرف بأقوال المجانين، كما أن بذل الصبر والحيلة يكون فى الدقائق الغامضة التى تنبهم فيها الدلائل، وتكثر الثغرات، وتلتوى الخطوط أما أن نقذف بالأضاحيك العابثة، ونخترع الأوهام الزائفة، ثم نحاول أن نجعل من الأراجيف حقائق فهذا عبث صبية، لا احتيال شيخ محنك يقارف الأضاليل.

من مسيلمة؟

أصحيح أن تكون كلمة (المسلم) مأخوذة من مسيلمة؟!! وهل كان تاريخ مسيلمة من الخفاء بحيث يجوز أن نجعل منه بطلا

أسطوريًا سبق الإسلام ظهورًا، ثم جاء محمد ﷺ من بعده، فسمى أتباعه بالمسلمين انتسابًا إليه، واقتداء به! أى سخف هذا. إن تلاميذ الصفوف الأولى فى المدارس، ولا أقول طلبة الكليات فى الجامعات يعرفون أن مسيلمة لم يعرف له اسم في التاريخ، إلا بعد حجة الوداع حين قدم المدينة فى وفد بنى حنيفة من أهل اليمامة، وخلف القوم على رحالهم، وقدموا إلى رسول الله ﷺ مسلمين، فأحسن وفادتهم وأعطاهم، وذكروا له رجلا تركوه على الرجال فأمر له بمثل ما أمر به لكل منهم.

وكان مسيلمة أخا طموح، وقد سمع عن رسول الله ﷺ ما أدهشه، فأخذ يفكر فى ادعاء النبوة، ودلس على بعض قومه فاستجابوا لمخرقته، فاندفع إلى مراسلة رسول الله ﷺ ليقول له: إنه نبى مثله، وأن لبنى حنيفة نصف الأرض، ولقريش مثلها، ولكن قريشًا قوم لا يعدلون، فقرأ الرسول ما كتب، وقال لرسولى مسيلمة ما رأيكما؟ فوافقا صاحبهما على ادعائه فقال ﷺ: لولا أنكما رسولان لقتلتكما لأنهما ارتدا دون موجب ولكن الرسل فى مأمن، ثم كتب إلى مسيلمة يعلن كذبه وأن الأرض ليست لقريش ولا لبنى حنيفة، ولكنها لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين!

وصبر مسيلمة على غيظ، حتى التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، فأعلن نبوته وقال لبنى حنيفة: لستم أقل من قريش فمنكم رسول ومنهم رسول فأزكى فى نفوسهم حمية الجاهلية، وزاد من خطره أن «نهارًا الرجال»، وكان مسلمًا هاجر إلى المدينة وقرأ القرآن، وأرسله محمد ﷺ ليفقه أهل اليمامة قد خان الدين، وأغرته الحياة الدنيا حين وجد آلاف الآلاف من بنى حنيفة يلتفون حول مسيلمة، فزعم أن رسول الله أقر بنبوة مسيلمة، وأنه شريكه فى الرسالة، وأقبل الناس أفواجًا يعظمون المتنبئ الكذوب، وكانت قوته عاصفة بحيث هزمت جيش الإسلام قبل وصول خالد بن الوليد، ولكن المسلمين أخذوا أهبتهم، وفيهم أشراف الصحابة وحفاظ القرآن، وبذلوا من ضروب الفدائية وأفانين البسالة ما هو مدون فى صحائف حروب الردة بمداد الفخار، حتى تمت كلمة الله وقتل مسيلمة إذ انتصر الإسلام!

هذا ما يعرفه تلاميذ المدارس! فكيف يجوز لدى من قضى فى البحث التاريخى بأرقى جامعات إنجلترا خمسين عامًا أن يزعم أن أمر مسيلمة قد انتشر قبل مبعث الرسول وأن محمداً ﷺ قد اقتدى به وسمى أتباعه بالمسلمين نسبة إليه أو إذا صح هذا فى أى منطق، فلم يكونوا بادئ ذى بدء أتباع مسيلمة لا أتباع رسالة محمد!

أما ما ذكره المستشرق الخطير عن (الحنفاء) فمن هذا الوادى وادى التجديف بالهراء، ولا يفوتنا أن نقول كلمة عنه؟

من الحنفاء؟!

المستشرقون قوم أعاجم، لا يعرفون اللغة العربية إلا من المعاجم وحدها فهى عكازهم الأوحد، فإذا رأيت أحد زعمائهم يرجع إلى تفسير كلمة (الحنيف) إلى الاحتيال السيئ، ولا يرجع إلى معجم واحد من المعاجم التى لا تفارق يده لحظة فماذا تقول فيه؟

إن المعاجم العربية كاللسان تقول: أصل الحنف: الميل من قولهم رجل أحنف وهو الذى تميل قدماه كل واحدة إلى أختها بأصابعها، والقاموس يقول: الحنيف كأمير الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه، وكل من حج أو كان على دين إبراهيم عليه السلام! وقد توسع ابن القيم فى كتاب «جلاء الأفهام» فقال: الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه، وأصله من الحنف وهو الإقبال، ومن فسره بالميل فسره بلازم المعنى، فإن من أقبل على شىء مال عن غيره.

فهذه نصوص ذائعة مشتهرة، فإذا تركناها إلى التراث الشعرى، نجد معنى الحنيف فى صدر الإسلام يطلق على المسلم الذى يستقبل القبلة يقول ظالم بن البراء الفقيمى فى وصف الحرباء[٢].

يكون حنيفًا بالعشى وبالضحى ∴ يصلى لنصرانية ويصوم

وقد أخذ معناه ذو الرمة فقال :

إذ حوَّل الظل العشي رأيته ∴ حنيفًا، وفى قرن الضحى يتنصر

قال شارحه أبو نصر الباهلى: الحنيف المسلم، وإنما قال حنيفا لأنه تلك الساعة بالعشية مستقبل القبلة، وفى حد الضحى مخالف للقبلة (قبلة المسلمين عند الصلاة) فإنما يتنصر من يدور مع عين الشمس إذا دارت(٣) فإذا كانت نصوص اللغة وشواهد الشعر، تحدد معنى الحنيف وتقيده بأوصافه، فكيف خالفهما مرجليوث إلى غير مصدر، غير الوهم المدخول؟

على أن أمر الحنفاء قبل البعثة النبوية من الشهرة بحيث تردد فى أكثر كتب السيرة المطهرة، ومن أوائلها ما كتبه ابن إسحاق(٤) حين ذكر أن ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعثمان بن الحويرث الأسدى، وهؤلاء الثلاثة من قريش، ورابعهم عبيد الله بن جحش وهو من حُلفائهم، اجتمعوا مرة يوم عيد لأحد أصنامهم، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شىء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يا قوم: التمسوا لأنفسكم دينًا، فإنكم والله ما أنتم على شىء، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علمًا من أهل الكتاب، وأما عبيد الله ابن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس، حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم، فتنصر، وحسنت منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فطوف فى الشام والعراق ثم عاد، فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال: أعبد رب إبراهيم ..

فإذا أضفنا إلى هؤلاء قس بن ساعدة وأمية بن أبى الصلت، ممن تحنفوا على دين إبراهيم، فإننا لا نجد أحدًا منهم من بنى حنيفة حيث مسيلمة وأشياعه، فعلى أى مصدر اعتمد مرجليوث فيما زعم! حتى نلتمس له أدنى عذر يتخيل؟! وفى القرآن وردت كلمة حنفاء فى تسع سور كريمة هى البقرة وآل عمران والنساء والأنعام ويونس والنحل والحج والروم، والبينة، فلو كان مسيلمة يفهم منها النسبة إلى بنى حنيفة لسارع إلى استقلالها، كما استغل «نهارًا الرجال» حين وفد عليه من المدينة فأغراه بالمال والرياسة ليقول إن رسول الله قد جعل النبوة شركة بينه وبين مسيلمة!! إن مسيلمة كان أذكى فـ بداوته من أستاذ أوروبى يفسر الكلمات دون إسناد، ليرجف بالإسلام.

السر الخفى

وتسأل عن السر الدقيق لهذا البهتا السافر؟ فتعرف بعد تأمل أن ذو الاستشراق حين أعيتهم الأدلة الهادم لأسس الإسلام، تواصوا على الإرجاف المتدرج، وذلك بأن يبدأ أحدهم بأكذوبة ليأتى ثان فيرددها مضيفًا بعض التخرصات ثم يتسلل ثالث ورابع إلى الوهم ليؤكداه باعتباره حقيقة مشتهر جهر بها فلان بعد بحث عويص وما فى هؤلاء جميعًا من يصدق بينه وبين نفسه بما يقول.

جاء فى ص ٧ من كتاب (المثل الأعلى للأنبياء) الذى ألفه الباحث الهندى كمال الدين وترجمة الأستاذ أمير محمود الشريف بعد كلام جاد عن افتراءات مرجليوث وزميله الدكتور منجانا: (وقد ضربت المثل بهذين السيدين بنوع خاص لأنهما فرسا رهان فى الميدان (ميدان الاختلاق) يشير الواحد إلى فكرة ما، ولكى يوحى للقارئ بالثقة، يحاول أن يصوغ فكرته فى عبار تنطوى على الحذر وهو يعلم أن زميلاً له سيتقدم ليتمم ما بدأه من ابتكار وسيلة تتحول بها إشارته وتلميحاته الخفية إلى حقائق ثابتة) وهى بهتان صريح.

وهكذا، ذرية بعضها من بعض...

الهوامش

(١) نقلاً عن ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى مجلة الثقافة العدد ٤١٣.

(٢) من ديوان ذى الرمة تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، ج٢ ص ٦٣٢.

(٣) من ديوان ذى الرمة تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، ج٢ ص ٦٣٢.

(٤) سيرة ابن هشام، ج١ ص ٢٢٧.

العقل والدين والمعجزة

فضيلة الشيخ / محمد عبد المجيد زيدان

العقل آية من آيات الله وإن أعظم ما فى الإنسان كمخلوق بشرى أنه يملك عقلاً يفكر به وتلك ميزة اختص الله بها الإنسان عن سائر مخلوقاته الأخرى فالعقل جوهرة ثمينة منحها الله سبحانه للإنسان ونعمة عظيمة أنعم الله بها عليه وهو مناط التكريم والتكليف فما شرف الإنسان إلا بعقله به سما عن الحيوان وميّز وفكرّ وقارن وتدبر حتى لا يقع أسيرًا لكل ما هو قديم ومتوارث فقط بل يظل عنوان القدرة على رؤية الجديد والمتغير ومن خلال العقل وُلد المنطق الذى نما وكبر تحت ظلال الفكر. ولقد جاء الإسلام يخاطب العقل ويرفع من شأنه ويعظم من قدره ويقرر أن الحرية تبتدئ بتحرير العقل من الأوهام والعنصرية والضلالات وفتح المجالات له ليفكر وينتج ويستخرج مكامن الوجود بعيدًا عن الإغراق فى «الجدلية» والانزلاق إلى متاهات تجعل الأدلة والبراهين فى موضع شك فكم من آية من القرآن مختتمة بقوله تعالى **﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** سورة الرعد آية ٤ وغيرها من الآيات الداعية إلى التأمل والتفكر باستخدام العقل وكم من آية تنعى على المقلدين تقليدهم وعدم استعمالهم لعقولهم وجمودهم على عادات الآباء والأجداد وكم من آية تحث على تحرير العقل وتفتح له آفاق السماوات والأرض وتأمره بالسياحة والنظر والتفكر فيما خلق الله وفيما أودع الخلق من أسرار **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** فصلت الآية ٥٣ . وفى سورة الذاريات **﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾** آية ٢١ وفى سورة الأعراف **﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء﴾** آية ١٨٥ إلى غير ذلك من عشرات الآيات التى تشيد بالعقل وتحض على استعماله وإطلاق سراحه ليسبح مفكرًا ومستنتجًا بعيدًا عن التقليد المجمد للفكر والعاطفة فبالعقل نميز فاضل الأخلاق وقبيح الصفات ونبين الضار والنافع والحق والباطل ويتحرر الناس من غواية الشرك والاستعباد الفكرى لأن العقل المتحرر لا يقبل أن يخضع لمن يعجز عن جلب طلب الخير له فكيف به يصب الخير على غيره وإذًا تكون عبادته منافية للعقل ومنحرفة عن الحرية الإسلامية التى أطلقت العقل من قيوده ليستدل ويستنتج ويفكر فكما أن العقل آية عظيمة من آيات الله فالنقل - الكتاب والسنة نعمة ورحمة من عند الله ويجب أن يتبوأ العقل مكانته الواجبة فيما أناطه الله به من كشف لنور الحياة وحكمتها يقول ابن رشد «الشرع نور والعقل نور والنور لايطفئ النور» فلا تعارض وتناقض بين أحكام العقل الصحيح وما جاء به النقل الصريح لأن العقل والوحى نعمة من الله فمصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن الحقائق التى قررها العقل الإنسانى فى مرحلة زمنية معينة هى نسبية بسبب حدود قدرة الإنسان العقلية والإطار الاجتماعى الذى يعيش فيه والعصر والمكان ومحتوى الثقافة فإذا تغيرت المعطيات تغيرت الحلول ويظل ذوو العقول الناضجة بالعلم فى حالة نهم ودعاء قانت **﴿وقل رب زدنى علمًا﴾**. طه ١١٤ فلو تحرر المشركون من تقاليدهم الثقيلة وفكروا بعقولهم لقادتهم إلى الحق وصحيح الإيمان. فالعقل هو نور الله فينا ولكنه فى بعض الأحيان قاصر أن يعرف أين الشر وأين الخير ونحن نعترف بذلك لأنه مادام الغيب محجوبًا عنا فإننا لا نستطيع أن نميز بين الخير الحقيقى والشر الذى يخبئه المستقبل ولعل هذا يكون واضحًا فى أننا فى بعض الأحيان نعجز عن اتخاذ القرار ونظل ساعات طويلة نفكر ماذا

نفعل؟ وأين هو الخير؟ وأين الشر؟ هل نقول لا أم نقول نعم كل ذلك يحدث لنا ويحدث أكثر منه فى أننا قد نتخذ قرارًا ثم نعود بعد ساعات فنتراجع عنه لأننا نخشى أن نكون قد أخطأنا بل الأصح نظن أننا أخطأنا وقد يكون الظن فى محله وقد يكون فى غير محله ومن هنا فلابد لنا أن يكون هناك من هو أعلم منا ليقول لنا انه من يعلم الغيب والغيب كله ويعلم الخير كله ويعلم الشر كله فيكون قراره صائبًا صحيحًا وللعقل أن يثق فيه لأن عدم علمنا بالخير الحقيقى والشر الحقيقى يجعل عقولنا تحتاج إلى نوع من المعونة لنعرف الطريق ولنعرف الخير وفى هذه الحالة كانت رحمة الله سبحانه أن أرسل لنا رسله وأنزل كتبه ليبين لنا الطريق الصحيح فدين الله ليس إلغاءً للعقل ولكنه مساعد لهذا العقل فالعقل لا يصطدم مع الدين لأن الدين جاء معاونًا للعقل فى أن نختار الطريق الصحيح والسليم لمنهج الحياة فالعقل يحتاج إلى الدين فى رسم منهج الحياة الطيبة لأن العقل لا يعرف الغيب وليست له الصورة المتكاملة للأحداث فهو فى حاجة إلى معاونة ومن رحمة الله جاءت هذه المعاونة من السماء ممن يعرف كل شىء ويستطيع أن يحكم ويتحكم فى كل شىء فكان الدين رحمة من الله سبحانه للإنسان ليأخذ بيده ويعلمه طريق الحياة الصحيحة ويعطيه الوسيلة التى تنير له الطريق لأن العقل فى كثير من الأحيان لا يستطيع أن يتحكم فى الإنسان فقد تغلبه العاطفة ويتخذ القرار بهواه مع أن عقله ينكر ذلك وما أكثر هؤلاء الذين غلبت عواطفهم على عقولهم فعدد كبير من المفكرين وأصحاب المناصب العالية يتعاطون المسكرات والمخدرات مع أن العقل يقول لهم لا لإضرارها بصحتهم وبمكانتهم فالعقل فى كثير من الأحيان مغلوب على أمره بنزوات ورغبات لو أنها حللت عقليًا لوجدنا أنه من المستحيل أن يقدم عليها أى إنسان له تفكير متزن ومع ذلك فإن من أكبر الناس فكرًا يقدم عليها ولهذا جاء الدين ليحيط هذه العواطف بسياج من الإيمان يوقفها ويعطى صاحبها الخير ويمنعه من الشر ولا نقول هذا تحقيرًا لدور العقل ولكنه ردًا على من يتساءل لماذا لا نكتفى بتحكيم العقل فى أمور دنيانا دون اتجاه إلى الدين وأحكامه؟

لقد جاء الرسل - عليهم السلام - إلى الناس ودعوهم للتوحيد ولليوم الآخر فلم يفهم الناس دعوة الرسل ولم يقدروها ولم يصدقوا بالإله الواحد لأنهم لم يروه بأعينهم ولذلك نصبوا لهم آلهة يرونها من الحجارة أو غيرها حتى أن قوم موسى **﴿قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾** سورة البقرة آية ٥٥ وكأن الناس استكثروا على الله عز وجل أن يستقل وحده بهذا الكون العظيم وتدبيره فقاموا يتخذون له الشركاء والأنداد فلما دعاهم الرسل للوحدانية طلبوا المعجزات ليصدقوا. طلبوا معجزات مادية من جنس مداركهم تدهشهم وتبهرهم وتحيرهم وتعجزهم فأظهر الله على أيدى رسله كثيرًا من المعجزات التى طلبها أقوامهم بلسانهم أو طلبوها بلسان حالهم وطبيعة سذاجتهم فأذعن كثير منهم وآمنوا وكابر البعض وعاند **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوًا﴾** سورة النمل آية ١٤ وكانت معجزة كل رسول من جنس ما ألفه قومه ومن نوع ما برعوا فيه حتى تكون المعجزة ألزم والحجة عليهم أقوى وأتم. ومن الإمعان فى طلب المعجزات المادية طلب قوم عيسى عليه السلام مائدة من السماء تنزل عليهم يرونها بأعينهم ويتناولون ما عليها من طعام بأيديهم وأفواههم لتستقر فى بطونهم. كانت معجزات الرسل قبل الإسلام تتفق مع أحوال أقوامهم ومن نوع ما برعوا فيه حتى تكون المعجزة ألزم والحجة عليهم أقوى فقد برع قوم نوح فى النجارة فكانت معجزته السفينة الناجية بأهلها وكثر الطب فى زمن عيسى عليه السلام فكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وبرع قوم موسى فى السحر فجاءت معجزته عصا تبطل عمل الساحرين وضرب العرب بسهم صائب فى الإيجاز والبلاغة والتأثير والفصاحة فكانت المعجزة الكبرى لخاتم النبيين قرآنًا معجزًا بأسلوبه وتراكيبه معجزًا بحكمه وأغراضه ومراميه تحدى به الفصحاء فأعجزهم وسجل عليهم العجز التام وهم أصحاب اللغة والفصاحة والبلاغة والبيان. إن كل هذه المعجزات ما جاءت على هذا النحو إلا

لتتحدى عقول الناس جميعاً وفيهم الأخصائيون وأهل الخبرة حتى إذا عجز أهل الخبرة والمتعلمون كان غيرهم من العامة أشد عجزًا فالعقل أظهر عجزه الدائم عن فهم المعجزات كلها سواء كانت معجزات مادية كونية أو معنوية فليس من وظيفة العقل ولا عمله أن يدرك معجزة على حقيقتها أو يصل إلى تعليلها وفهم أسرارها وأسبابها ولا عيب فى ذلك على العقل ولا ضير عليه وعجزه عن فهم المعجزات مع التصديق بوقوعها لا يحط من قدره ولا يطعن فى شرفه لأنها خارجة عن اختصاصه بعيدة عن نطاق عمله وفوق مستوى استعداده وأعلى من تناول قدرته بل إن المعجزة ما جاءت إلا لتعجز العقل فيذعن لصاحبها وتتحدى الألباب فتتقدم الطاعة لمن ظهرت على يديه بدليل أن معجزة كل نبى جاءت من جنس ما برع فيه قومه ومن نوع ما أتقنوه وأجادوه كما سبق أن بينا لقد حاول كثير من الفلاسفة أن يعرف بالتحديد أين الله وما هى ذاته العلية فزل وضل وحاول غيرهم أن يعرف ما فوق السماوات وما فوق الفوق فاضطرب عقله وحاول آخرون أن يعرفوا حقيقة الروح وكنهها وماديتها فعجزوا وأصيبوا بالخبل وها هى المعجزات ظهرت على أيدى الرسل من آلاف السنين ولم نر فيلسوفًا ولا حكيمًا ولا مفكرًا تمكن من فهمها على حقيقتها وطالما أذعن الناس بما لا يعقلون وصدقوا بما لا يدركون وخصوصًا فى هذا الزمن زمن الاختراعات المذهلة فقد صدق الناس بالكهرباء واستخدموها ولكنهم ما عرفوا سرها وحقيقتها وإنما عرفوا آثارها وأوصافها ومنافعها والزائدة الدودية والمصران الأعور فى الجسم حيّر الطب وأهله مع تقدمه عن فهم حكمته مع أنه شىء مادى محسوس.

الفرق بين معجزات الرسل السابقين ومعجزة نبينا ﷺ:

سبق أن ذكرنا أن معجزات الرسل السابقين كانت مادية كونية تتفق مع حواس أقوامهم. أما المعجزة الكبرى لنبينا ﷺ وهى القرآن الكريم التى تحدى بها الإنس والجن فهى معجزة عقلية تتفق مع نضوج الخلق وقت بعثته ﷺ وبلوغهم دور الإدراك فمعجزات الرسل السابقين مادية بنت وقتها وتؤثر زمن حدوثها ثم يمحوها الزمن فتنسى أو تفقد قوة التأثير أما معجزة النبى ﷺ فهى معجزة دائمة باقية مستمرة متجددة لأن الرسل السابقين كانت دعوتهم خاصة بأقوامهم أما دعوة محمد ﷺ فهى دعوة عامة شاملة جامعة فناسب ذلك أن تكون معجزته صالحة لكل زمان ومكان فكانت قرآنًا عربيًا مبينًا من لدن حكيم عليم معجزات الرسل السابقين تهز الحواس وتخاطب الحس ومعجزة محمد ﷺ تهز القلوب وتخاطب العقل واللب معجزات الرسل السابقين تأثيرها على من شاهدها ورآها أما معجزة الرسول محمد ﷺ الكبرى فهى عقلية تدعو للتفكير والتدبر والنظر والتأمل فصلتها بالروح وتأثيرها على القلب والوجدان فهى أعمق أثرًا وأبقى وأقوم هداية ونحن الآن نصدق بكل معجزات الرسل ولكن تأثرنا بها لا يعد شيئًا بالنسبة لأثر القرآن الكريم فينا وسحره لعقولنا وأفئدتنا وهل أدل على ذلك من أن رسولنا ﷺ لما هم بغزوة بدر استشار الصحابة فتكلم أبو بكر وأحسن ثم قال عمر وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» ثم قال رسول الله ﷺ : **«أشيروا علىَّ أيها الناس»** يريد الأنصار، فقال سعد بن معاذ الأنصارى : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله.

أين هذا من قوم موسى الذين ندبهم لمقاتلة الجبارين بعد ما رأوا آيات الله مبصرة فجبنوا وتخاذلوا عن نصرته: **﴿قالوا يا**

موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون • قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين • قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ سورة المائدة. الآيات ٢٢-٢٤ إن القرآن الكريم هو معجزة النبى الكبرى وهو فى جملته وتفصيله يحمل دليل إعجازه وثبوته وصدقه وهو المثبت لمعجزات الرسل السابقين ولولاه ما أيقنا بحدوثها لأنه ليس لنا دليل قطعى عليها إلا ذلك الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن هنا كان القرآن الكريم أعظم معجزات الأنبياء والمرسلين وربما يسأل سائل عن فائدة المعجزات الكونية فنقول : المعجزة الكونية دليل قدرة الله وتأييد للرسول وتثبيت للمؤمنين والله جعل لهذا العالم نواميس وسننًا وقانونًا محكمًا فكان من تمام القدرة أن يخرق الله هذه السنن بمعجزة تخالف ما عرف الناس وتغاير ما ألفوا ليعلموا أن قدرة الخالق لا يعجزها شىء ولا يقف أمامها ناموس أو نظام بل إن المعجزات والخوارق هى من تمام السنن ومن اتقان النظام فلو سار العالم على وتيرة واحدة ونظام لا يتغير لافتتن الناس بالطبيعة ولقالوا إنها هى التى تسير هذا العالم فمن السنن أن يخرق الله هذا النظام ليلفت الناس ويدلهم على كمال قدرته وأخيرًا ما هو موقف المسلمين اليوم من رسول الله ﷺ ومعجزاته الكونية؟

الناس هم الناس ومهما تباعد الزمن فقد اطرد القياس فمن الناس اليوم من يحاول أن يسلك رسو الله ﷺ فى عموم البشر لا يفضله إلا بما يفضل به مصلحا أ فيلسوفًا أو حكيمًا فأحسن أوصاف النبى عنده أنه عبقرى م العباقرة ذو عقل جبار ولا شك أن هذه مغالطة لأن العبقري والنبوغ صفات كسبية يشترك فيها كثير ممن يستخدمون عقوله ومداركهم ولكن الرسول ﷺ ميزته وخاصيته هبة إلهية لا كسب فيها وهى النبوة التى لا تدانيها أعلى عبقرة وأرقى نبوغ **﴿الل أعلم حيث يجعل رسالته﴾** سورة الأنعام آية ١٢٤ **﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾** سورة الحج آية ٧٥ .

ومنهم من ينكر المعجزات الكونية لرسول الله ﷺ فيقول المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ هى القرآن .. نعم معجزته الكبرى القرآن وله معجزات صغرى كونية استدعتها بعض الظروف الحرجة والحوادث النازلة وأعجب لهذا أن يعترف بمعجزة كبرى دائمة باقية وينكر معجزات استدعتها الظروف الطارئة وثبتت بالتواتر كأن الرسول ﷺ منح المعجزة الكبيرة وحرم الصغيرة فإن كان حقًا مؤمنًا بالمعجزة الكبرى وهى القرآن فليقرأ القرآن بتدبر يجد فيه معجزات للرسول ﷺ كثيرة.

ومنهم من يذكر اسمه ﷺ مجردًا مع أن من يفعل ذلك من عباد ألقاب وأسرى تعاظم وإخوان غرور نعم النبى ﷺ غنى عن تفضيل هؤلاء له فقد رفعه ربه لأعلى مقام ولكن هؤلاء فى حاجة للأدب وحسن التعبير عند ذكر أفضل البشر وسيد الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وعليهم أن يمتثلوا أمر القرآن فى قوله **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾** سورة النور آية ٦٣ وفى قوله **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** سورة الأحزاب آية ٥٦ وفى قوله **﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ....﴾** سورة الفتح الآيتان ٨، ٩ كان النبى يومًا جالسًا مع أصحابه الكرام فقال : «**أحب من الدنيا ثلاثًا : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة** .. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لشدة محبته لرسول الله ﷺ وأنا أحب من الدنيا ثلاثًا : «جَثوى بين يديك وإنفاق مالى عليك وكثرة الصلاة عليك»، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : «لولا ثلاث ما أحببت المقام فى هذه الدنيا، مكابدة الساعات ـ القيام ـ وصوم الهواجر ـ فى الحر ـ ومخالطة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الآكل أطايب الثمر».

حداثة ؟ .. أم تجديد؟ (١)

بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية

د. محمد عمارة

فى لقاء مع عدد من المثقفين الأندونيسيين - ذوى التوجهات الإسلامية - وأثناء استعراض واقع الفكر الإسلامى المعاصر .. حدثتهم عن تمايز تيارات الفكر فى عالم الإسلام، وتوزعها على وجه الإجمال إلى:

أولا: تيار الجمود والتقليد لتراثنا الفكرى، وعلى الأخص منه تراث عصر التراجع الحضارى لأمتنا وحضارتنا، ذلك التيار الذى ينظر فقط إلى الخلف! .. ويقف عند ظواهر النصوص، مغفلا المقاصد التى تغياها الشارع من وراء هذه النصوص .. بل ويتخير من النصوص «النصوص الوسيطة» بدلا من «النصوص الأولى» المقدسة والمعصومة - غافلين عن معنى «النص» فى علم أصول الفقه، وهو الذى لا ينطبق على كل «عبارة» وإنما يقتصر على ما هو قطعى الثبوت وقطعى الدلالة، الذى لا مجال فيه لأى تأويل.

ولذلك كله، فإن هذا التيار - تيار الجمود والتقليد - يخاصم النظر العقلى فى حِكَم وعلل الأحكام التى جاءت بها النصوص .. مع إهمال فقه الواقع المتغير، والذى يتطلب - فى الفروع - أحكامًا جديدة، تواكب المتغيرات، وتستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة التى تفرزها هذه المتغيرات.

وثانيا: تيار التغريب والحداثة الغربية، ذلك الذى انطلق وينطلق من المرجعية الفلسفية للحضارة الغربية، معتمدا مناهج النظر «الوضعية - العلمانية» - وأحيانًا المادية - التى تعاملت بها تلك الحضارة مع الدين وحقائقه وعوالمه وعلومه ومعارفه، فنظرت إلى الدين ومواريثه باعتبارها «فكرًا» غير علمى، عبّر عن مرحلة من مراحل تطور «العقل الإنسانى» هى مرحلة «طفولة» هذا العقل .. التى تلتها ونسختها «مرحلة الميتافيزيقا» .. والتى تلتها - هى الأخرى - ونسختها «المرحلة الوضعية»، التى جعلت الكون المادى والواقع الدنيوى فقط - وليس الغيب - هو مصدر المعرفة الحقة والعلم الحقيقى، كما جعلت «العقل» و «التجربة» وحدهما - دون «النقل» و «الوجدان» - الطرق المعتمدة والمأمونة لتحصيل هذه المعرفة .. فكانت «القطيعة المعرفية» مع الموروث، وبالذات الموروث الدينى، تلك التى تميزت بها ثقافة الحداثة الغربية، والحداثة الثقافية، عندما عزلت علمانيتها السماء عن الأرض، بدعوى أن «العالم مكتف بذاته»، وأن «الإنسان مكتف بذاته»، وأن تدبير هذه الحياة الدنيا إنما يتم بالأسباب المادية والملكات الإنسانية المودعة فى ظواهرها وعوالمها دونما حاجة إلى مدبر مفارق ومتعال من وراء الطبيعة .. حتى لقد جعلت هذه الثقافة الحداثية - التى تمحورت حول الإنسان، دون الله - جعلت من هذا الإنسان «كائنًا طبيعيًا»، و «سيدًا للكون» وليس ذلك المخلوق الربانى، الذى نفخ الله فيه من روحه، وجعله خليفة له .. أى سيدا فى الكون، وليس سيد الكون، وإنما عبدا لسيد الكون.

ذلك هو تيار التغريب، والحداثة الغربية، الذى نظر أهله فقط إلى الغرب فقط، فقلدوه وجمدوا على مقولات ثقافته وفلسفاته .. كما نظر أهل الجمود التراثى فقط إلى الماضى، فقلدوا مقولات سلف عصر تراجعنا الحضارى، وجمدوا عند ظواهر نصوصها.

ثالثا: تيار الإحياء والتجديد .. الإحياء لأصول الإسلام وثوابته، بالعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية لهذا الدين الحنيف، والنظر فيها بعقل معاصر، يفقه أحكامها، كما يفقه الواقع الذى يعيش فيه، عاقدا القرآن بين «فقه الواقع» و «فقه الأحكام» ليصل إلى التجديد فى الفروع - أى الفقه، الذى هو علم الفروع - مبدعا الأحكام الفقهية الجديدة التى تستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة، التى طرحتها وتطرحها مستجدات الواقع الجديد والمعيش.

ففى هذا التيار - الإحيائى والتجديدى - تتوازن «الثوابت» - الدائمة الثبات - والضامنة دوام إسلامية النسق الفكرى على امتداد الزمان والمكان - مع «التجديد» فى الفروع التى تطرحها متغيرات الواقع ومستجداته .. الأمر الذى ينفى القطيعة - قطيعة «الجديد والتجديد» مع «الثوابت والثبات» .. كما ينفى «الجمود والتقليد» الذى يحدث

فراغًا فكريًا، سرعان ما تملؤه الفكرية الحداثية الغربية، التى مثلت ـ منذ نشأتها فى عصر النهضة الأوروبية ـ قطيعة معرفية مع الموروث الدينى على وجه الخصوص.

* * *

لقد دار حديثى مع المثقفين الإندونيسيين حول هذا التشخيص لتيارات الفكر فى عالم الإسلام.. وأحسست أن كلامى كان واضحًا .. وكان مقبولا .. اللهم إلا عند ذكر مصطلح «التجديد» أو الإشارة إلى نماذج العلماء المجددين، فإن النظرات والإيماءات كانت تشى بأن هناك لبسا يحول دون وضوح المقصود من وراء هذا «التجديد».

وأخيرًا، أدركت أن هناك خلطا فى المفاهيم والمضامين ـ مفاهيم ومضامين المصطلحات ـ حدث لأن عددا من «الحداثيين .. المتغربين»، عمدوا إلى «تسويق بضاعتهم» الوضعية العلمانية ـ وأحيانا المادية ـ تحت عنوان وراية ومصطلح «التجديد» حتى أصبح هذا المصطلح «سيىء السمعة»! عند هؤلاء المثقفين الإندونيسيين .. الأمر الذى أوجب ويستوجب تحديد مفاهيم ومضامين المصطلحات .. ليتميز «التجديد» كسبيل إسلامى أصيل فى التطور بعالم الأفكار .. عن «الحداثة» بمعناها الغربى ـ تلك التى تعنى القطيعة المعرفية مع ثوابت الدين وأصوله .. فهى نسخ للدين ـ بالجحود والإنكار .. أو بالتأويل الذى يفرغه من محتواه ـ بينما يعنى «التجديد»: البعث والإحياء لثوابت الدين وأصوله، مع التطور فى فقه الفروع، مواكبة لمستجدات الواقع المعيش وحفاظا ـ فى ذات الوقت ـ على صلاح وصلاحية الثوابت والأصول الدينية لكل زمان ومكان .. فهما ـ «الحداثة» و «التجديد» ـ نقيضان فى نظرة كل منهما إلى ثوابت الدين وأصوله .. وأيضًا فى النتائج التى يثمرها كل منهما إزاء الدين ..

* * *

إن للإسلام فلسفته الفريدة فى النظر إلى الكون .. وإلى مكانة الإنسان فى هذا الوجود .. وإلى نطاق حرية الإنسان فى هذه الحياة .. وهى فلسفة لا وجه للتوفيق بينها وبين الفلسفة الوضعية التى قامت عليها النهضة الأوروبية الحديثة، وثقافتها الحداثية المعاصرة..

فالإنسان ـ فى الرؤية الإسلامية ـ مخلوق لله سبحانه وتعالى .. وفى هذا قد تتفق الرؤية الإسلامية مع الوضعية الغربية المؤمنة.. لكنها تعود فتفترق عنها عندما تقرر أن الله سبحانه وتعالى، ليس مجرد خالق فقط وإنما هو الخالق والراعى والهادى والمدبر لهذا الوجود، وهذا الإنسان.

على حين ترى العلمانية الغربية أن العالم مكتف بذاته، فإن الله فى الرؤية الإسلامية هو الخالق والراعى والمدبر لكل عوالم المخلوقات

فالله ـ فى التراث الأرسطى الإغريقى ـ هو مجرد خالق للعالم والوجود، خلقه ثم دفعه للحركة فتحرك، ولا يزال يتحرك بواسطة الأسباب الذاتية المودعة فى عوالمه وقواه، دونما حاجة إلى تدبير إلهى أو رعاية ربانية أو شريعة دينية يأتى بها الوحى ـ من وراء الطبيعة والوجود المادى ـ إلى الأنبياء والمرسلين..

وهذه الرؤية الأرسطية هى ذاتها الرؤية الوثنية الجاهلية .. فلقد كان الوثنيون ـ فى الجاهلية ـ يؤمنون بالله خالقا لهذا الوجود **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾** سورة لقمان الآية ٢٥ ـ **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾** سورة العنكبوت الآية ٦١ ـ **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾** سورة العنكبوت الآية ٦٣.

فهم لا ينكرون الخلق والخالق لهذا الوجود .. وإنما استحقوا أوصاف (لا يعلمون) و (لا يعقلون) لأنهم وقفوا بنطاق عمل الذات الإلهية عند «الخلق» فقط. وجعلوا «التدبير» للأصنام والأوثان والوسائط التى أشركوها مع الله، يلجأون إليها إذا أرادوا الحرب أو السلم .. السفر أو القرار .. الفعل أو الترك .. الإقدام أو الإحجام .. الزواج أو الطلاق .. إلى غير ذلك من التدابير لشئون الحياة..

وتلك بعينها، هى الفلسفة الوضعية الغربية، عندما تؤمن بالخلق والخالق .. فهى ـ بالعلمانية ـ قد قررت أن العالم مكتف بذاته، وأن الإنسان مكتف ـ بذاته، فالعالم تدبره الأسباب الذاتية والمادية المودعة فى عوالمه ومجتمعاته وقواه وظواهره .. والإنسان هو سيد الكون .. ولا سلطان على العقل الإنسانى إلا للعقل الإنسانى وحده .. و «العقد الاجتماعى» البشرى يقرره الاختيار الإنسانى وحده، والحرية الإنسانية التى لا سقف عليها ولا إطار يحكمها من وحى أو شريعة تأتى بها السماء.

وفى مقابل هذه الرؤية الوضعية - التى هى بعث وإحياء للتصور الأرسطى، وللتصورات الوثنية الجاهلية - تأتى فرادة الرؤية الإسلامية، التى لا تجعل الله مجرد خالق .. وإنما هو الخالق والراعى والهادى والمدبر لكل عوالم المخلوقات والتى ترى الإنسان خليفة لله، خلقه الله ونفخ فيه من روحه، واستخلفه لعمارة الأرض، وسخر له كل ما فى الوجود، وحباه القدرة والحرية والاختيار والاستطاعة والتمكين .. لكن فى حدود ثوابت عقد وعهد الاستخلاف - عقد وعهد الإنابة والتوكيل - فهذا الإنسان - وفق عبارة الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) : - هو عبد لله وحده، وسيد لكل شىء بعده! .. هو خليفة ونائب ووكيل لسيد الكون - سبحانه وتعالى - وليس هو سيد الكون وهو الحامل لأمانة عمران هذه الأرض .. وهو فى تدبير هذا العمران - مصدر السلطة والسلطان - لكن فى إطار الحلال والحرام الدينى، أى فى إطار الثوابت الدينية - عقيدة وشريعة وقيما .. فهذا الإنسان - فى هذه الرؤية الإسلامية - ليس ذلك «الحقير .. الفانى .. المهمش .. المجبر»، الذى لا حول له ولا طول .. وأيضا، ليس هو سيد الكون، المكتفى بذاته عن توجيهات الدين، وتدبير السماء، ووحى الله سبحانه وتعالى .. وإنما هو - بهذه الرؤية الإسلامية - الرؤية الفلسفية الوسطية - : سلطان الأرض، المحكومة سلطاته بسلطان السماء؛ لأنه خليفة فى الكون، وليس سيد هذا الكون .. لأن سيد الكون - الله سبحانه وتعالى - ليس مجرد خالق، وإنما هو الخالق والمدبر لكل عوالم المخلوقات..

﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ سورة الأعراف الآية ٥٤.

﴿قال فمن ربكما يا موسى • قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾ سورة طه الآيتان ٤٩، ٥٠.

﴿إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ سورة يونس الآية ٣.

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شىء عليم﴾ سورة العنكبوت الآية ٦٢.

فالرؤية «الوضعية - العلمانية» الغربية، التى تريد تحرير الاجتماع الإنسانى من ثوابت التدبير للشريعة الإلهية فتقول - مثلا: «لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين» .. أو تحرر الوطن من الدين ومن العبودية لله، ومن الالتزام بحاكمية الشريعة الإلهية، بدعوى «أن الدين لله، والوطن للجميع».. هذه الرؤية التى تعزل السماء عن الأرض، وتحصر الفعل الإلهى فى نطاق دون نطاق، هى التعبير الحديث والمعاصر عن الرؤية الوثنية الجاهلية التى سفّهها القرآن وسفّه قسمتها عندما قال: **﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾** سورة الأنعام الآية ١٣٦.

بينما الرؤية الإسلامية تجعل الدين لله .. أى خالصا له، دون طغيان الطواغيت والعبودية لهم .. وتجعل الوطن أيضًا لله، سخره الله بما فيه من إمكانات للإنسان - الأمة .. المواطنين - المستخلفين فى عمرانه وتدبيره وفق الشريعة الإلهية - التى هى بنود عقد وعهد الاستخلاف - فالكل - الوطن والمواطنون - فى الحقيقة وواقع الأمر - لله سبحانه وتعالى، وفق المنطق والمبدأ القرآنى: **﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾** سورة الأنعام الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

تلك هى المنطلقات المختلفة لكل من الرؤية الإسلامية المؤمنة للكون .. ولمكانة الإنسان فى هذا الوجود ولنطاق الحرية الإنسانية فى هذه الحياة - وهى الرؤية المؤسسة على فلسفة الخلافة والاستخلاف - وللرؤية «الوضعية الغربية» - حتى المؤمنة منها - والتى مثلت وتمثل الجذر الفلسفى الذى يفتح الباب أمام الحداثة الغربية لإنكار الثوابت الدينية، ونسخها، وإقامة القطيعة المعرفية معها، بشكل مباشر وحاد، أو بالتأويل الذى يفرغ الدين ومصطلحاته من محتواه .. بينما تحول الرؤية الإسلامية دون فتح هذا الباب، مكتفية - لتلبية احتياجات التطور، ومتغيرات الواقع، ومستجدات الزمان والمكان والمصالح - بطريق وآليات «التجديد» الذى يحيى الثوابت، ويعيد الحيوية إلى الأصول، مع التغيير والتجديد والتطوير والإبداع فى الفروع التى تواكب مستجدات الواقع والمصالح والحياة..

فإذا كانت الحداثة الغربية - انطلاقا من الفلسفة الوضعية، التى حررت الدنيا من الدين - قد أقامت قطيعة معرفية مع الموروث الدينى..

وإذا كان الجمود والتقليد - فى فكرنا الإسلامى - ينكر التجديد، أو يستريب فيه، بدعوى أن الإسلام قد اكتمل **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** سورة المائدة الآية ٣ - .. والمكتمل - بنظرهم - لا يحتاج إلى تجديد .. فإن تحديد المفاهيم .. وتحرير مضامين المصطلحات .. هو الكفيل بتمييز «التجديد» عن «الحداثة» .. وبنفى التناقض الموهوم بين «التجديد» وبين «اكتمال الدين».

علاقة الإسلام بالآخر (١)

د. محمد شامة

أدب الحوار في الإسلام

أرسى الإسلام قواعد التعامل مع معتنقى الأديان الأخرى على نحو لم تصل إليه الحضارة الحديثة؛ إذ كانت العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة منذ الأزل متواترة، وصلت فى كثير من الأحيان إلى إراقة الدماء أنهارًا، فإن سكنت قرقعة السلاح بين الحين والآخر، فإن التراشق بالكلمات ظل متواصلاً، لا يعرف الهدوء، ولا يقر التوقف لسماع الآخر، فالجدل الدينى ظل سيد الموقف بين المتدينين. ورمى كلٌّ الآخر بالهرطقة والكفر أصبح أسلوبًا من أساليب التدين، ومظهرًا من مظاهر التقوى والصلاح. وتفنيد ضلال الآخر وانحرافه نغمة محببة عند دعاة كل دين. والدعاء على الآخر بالهلاك والدمار وتيتيم الأطفال، وترميل النساء ...... و...... و...... إلخ سنَّة - إن لم تكن واجبًا - من سنن التقرب إلى المعبود، وإجبار كلٍّ الآخر على اعتناق عقيدته التى ارتضاها دينًا من أكبر الواجبات الدينية، إن لم يكن أكبرها، يضحى فى سبيلها المتدين بكل ما يملك... حتى نفسه، يقدمها قربانًا لمعبوده، حتى ينال رضاه، ويحصل على ثوابه.

حتى جاء الإسلام، فنهى عن سباب أتباع الأديان الأخرى، مهما كان وضع عقيدتهم - سماوية أم بشرية - وعلى أى مستوى كانت درجات القيم والمبادئ التى يعتنقونها ويدعون إليها، يقول تعالى: **﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** (الأنعام: ١٠٨)، أى ولا تسبوا الذين يتخذون معبودًا آخر غير الله إلهًا لهم، سواء كان هذا المعبود بشرًا، أو حجرًا، أو أى صورة من الصور المادية فى هذا الكون.

كما رسم الإسلام منهج الدعوة إلى الإسلام، بعيدًا عن العنف والاستهزاء بالآخر، أو التعالى عليه، فقال: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** (النحل: ١٢٥)، بل إنه مدح الصالحين من أتباع الأديان الأخرى، فقال: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾** (آل عمران: ١٧٥)، وقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة: ٦٢)، وأثنى على من يخشع لله ويطلب المغفرة منه، فقال: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾** (المائدة: ٨٢-٨٥)، ولم يجبر من رفض الإسلام على الدخول فيه، فقال تعالى: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾** (البقرة: ٢٥٦)، بل إنه استنكر حرص الرسول ﷺ على هداية قومه، حينما اقترب هذا الحرص من رغبته على إكراههم وحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام، فقال له: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** (يونس: ٩٩)، وهذه من أهم المبادئ - إن لم

يكن أهمها - فى مجال حرية الرأى والتعبير، التى تحتل رأس قائمة حقوق الإنسان فى العصر الحديث.

علم الإسلام المسلمين أدب الحوار فى مجال تصحيح ما لدى الآخرين من أخطاء فى العقيدة؛ إذ أورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة، ترشد المخطئين إلى الصواب بأسلوب لين، وتعبيرات مهذبة، وإشارات رقيقة، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٣- ٧٤).

وكان دقيقًا فى الحديث عمن أخطأوا فى حق الله تعالى، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٣)، فلم يقل: لقد كفر المسيحيون الذين قالوا ... لأن منهم من لم يقل ذلك، وكان فى جداله معهم مهذبًا، حتى مع الذين تمادوا فى تأليه عيسى عليه السلام، إذ لم يستعمل فى خطابهم أسلوبًا جارحًا، أو استهزاء منكرًا، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ١٧).

التعدد فى المجتمع الإسلامى

تموج المجتمعات الإنسانية - منذ البدء وإلى الأبد - بتعدد الرؤى والأفكار، وتنوع الميول والاتجاهات، وكثرة الأديان والعقائد، ورغبة كل إنسان فى فرض ما لديه على الآخر، وإخضاعه لأفكاره وعقيدته، الأمر الذى نتج عنه تدافع، وتطاحن، واقتتال، وخاصة ما كان الدين دافعه، والعقيدة أساسه؛ فقد زخر التاريخ البشرى بنماذج محاولة إخضاع البشرية فى مجمل جوانب الحياة لحاكم قوى سيد، وقمع الحرية الفردية للآخرين، كما أن معظم - إن لم يكن كل - المعارك المسلحة التى دارت بين البشر على امتداد التاريخ الإنسانى قامت على أساس دينى، وكان محركها الأول والأساسى هو التعصب، وعدم التسامح مع المخالفين فى الأفكار والعقائد.

احتلت قضية الصراع الدينى مكان الصدارة فى تاريخ صراع الجنس البشرى، إذ لم يخل عصر من العصور من وجود خصومة بين الشعوب على أساس دينى، تصل فى كثير من الأحيان إلى حد الصراع المسلح بينها، كذلك لا يلتقى اثنان من أتباع دينين مختلفين إلا وتقوم بينهما مناقشات ومحاورات حول مبادئ وتعاليم عقيدتيهما، تارة تكون بألفاظ مهذبة، وأخرى تصل إلى حد التراشق بالألفاظ الخارجة عن موضوع البحث، أو بأسلوب يتسم بالعنف والبعد عن الطرق الموصلة إلى الحقيقة.

كان هذا طابع الصراع الدينى والخصومات المذهبية منذ القدم، شب عليها الجنس البشرى، جيلاً بعد آخر، فأورثته أحقادًا وخصومًا بين الشعوب، كما أنه خلف من الضحايا والمآسى ما تقشعر منه الأبدان، إذ لم تروع البشرية على امتداد التاريخ الإنسانى بمثل ما روعت به مما حل بها من آثار التعصب الدينى الذى مزق الجنس البشرى إلى معسكرات متحاربة، يقتل بعضها بعضًا باسم الدين، ويستحل بعضها دماء آخرين فى سبيل الدعوة إلى العقيدة، بل إن أبناء الدين الواحد تفرقوا شيعًا وأحزابًا يقتل بعضهم بعضًا فى سبيل فرض رأى على آخر.

كان التعايش بين أصحاب الأديان والعقائد المختلفة فى مجتمع واحد يكاد يكون مستحيلاً، فلم تقبل الأغلبية الدينية الاعتراف بالآخر، فضلاً عن السماح له بممارسة طقوسه وتطبيق شعائره فى حياته الاجتماعية

فعاشت الأقلية الدينية - فى كثير من المجتمعات الإنسانية - مضطهدة، لم تهنأ بحياة كريمة، ولم تأخذ حقها فى الوجود، اللهم إلا ما يجود به الآخر عليها، حتى جاء الإسلام فأعلنها صريحة مدوية على لسان نبيه ﷺ فى حجة الوداع: **«أيها الناس ... كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى..»**، كذلك عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة واستقر بها، رأى أن سكانها يتألفون من ثلاث قطاعات اجتماعية: المسلمين، واليهود، والمشركين، وكانت التقاليد العربية قائمة على رابطة الدم والقرابة، لكن الوضع الجديد غير هذه العلاقة، فأصبحت: مسلمين (مهاجرون وأنصار)، ويهود، ومشركين عرب، فرأى الرسول ﷺ بثاقب فكره وإلهام من الله أن يرسى قواعد جديدة تنظم العلاقة بين المسلمين - وهم من قبائل متعددة - ، ومشركين عرب - وهم أيضًا من قبائل مختلفة، ويهود - ولا تضمهم قبيلة واحدة - بل كانوا بطونًا وعشائر متعددة.

صاغ الرسول ﷺ قواعد التعامل بين هذه المجموعات البشرية - المختلفة فى دينها، والمتعددة فى أسس الترابط بينها - فى وثيقة، عُرِفَت باسم: «صحيفة المدينة»، وأطلق عليها العلماء والمفكرون فى العصور اللاحقة: «وثيقة السلام»، لأنها أرست مبادئ السلام بين القبائل العربية المتحاربة، وبينهم وبين اليهود الذين كان بينهم وبين العرب المجاورين لهم ضغائن وإحن، فوحدت هؤلاء جميعًا فى جبهة واحدة، يتناصحون فيما بينهم، ويتآزرون على من يعتدى عليهم، فهم يد واحدة على من يهدد بناءهم الاجتماعى، ووحدتهم السياسية.

جاء فى هذه الوثيقة أنها كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين المسلمين من قريش وأهل يثرب (أى سكان المدينة من عرب ويهود) ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم:

- أنهم أمة واحدة.
- وأنهم يد واحدة على من ابتغى أو ظلم، أو ارتكب إثمًا أو فسادًا، فهم عليه جميعًا، حتى ولو كان وَلَدَ أحدهم.
- وأنه لا يحل لأحد أقر بما فى هذه الوثيقة أن ينصر مجرمًا.
- وأنهم جميعًا يحاربون من حارب أهل هذه الصحيفة.
- وأنهم يد واحدة على من هاجم يثرب.
- وأن هذه الوثيقة لا تحول دون التصدى للظالم مهما كانت هويته.
- وأن من خرج من المدينة فهو آمن، ومن بقى فيها فهو آمن إلا من ظلم أو ارتكب إثمًا.

إن هذه الوثيقة مثال واضح للتعايش السلمى بين الأعراق والأجناس المختلفة، ونموذج فريد للقوانين الدولية التى تدعو **للمواطنة** فى الدول المختلفة، وصيغة مثلى للتفاهم بين الشعوب على مستوى الإنسانية، ومما يزيدها إجلالاً وإكبارًا أنها صدرت ونُفِّذت فى بداية القرن السابع الميلادى، فكانت فريدة فى مبادئها، عظيمة فى قواعدها التى وُضِعَت للتعامل بين الناس على أساس المساواة بينهم جميعًا رغم اختلاف أجناسهم وأعراقهم، وتعدد عقائدهم وأديانهم.

الأخوة الإنسانية فى الإسلام

كان اليهود من أوائل الشعوب التى ابتدعت تمايز الأجناس البشرية، وعلو طبقاتها فوق بعض، وذلك بزعمهم أنهم المفضلون عند الله، أو هم شعب الله المختار، أما بقية الشعوب فحثالة لا قيمة لها عند الله. كذلك تصور الإغريق أنهم المتمدينون، ومن عداهم برابرة متوحشون. ولم يختلف الحال عند المصريين القدماء، فقد كانوا يرون أنهم أبناء الشمس، وشعب الله المعبود.

وانتشرت هذه الفكرة عند الرومان، فأبناء روما هم الفضلاء الأحرار وغيرهم عبيد أرقاء، كما أن الصينيين اختصوا أنفسهم بالمدنية والحضارة، ومن عداهم جهلة بدائيون، ومن المؤسف حقًا أن أرسطو، ذا العقل الكبير والآراء النيرة قال: «إن البشر جنسان، أحرار وعبيد،

فالأحرار هم الذين يجب أن يحموا العالم، أما العبيد فهم آلات صماء فى أيدى الأحرار». ولعل دعاة التمييز العنصرى فيما مضى من القرون استندوا على هذه الفكرة الزائفة من أفكار أرسطو، واتخذوها أساسًا لعدوانهم على الطبقات التى كانوا يعدونها طبقات سفلى، فسلبوهم حقوقهم، وعاملوهم معاملة سيئة، لأنهم أدنى منهم وأحط شأنًا.

أما الإسلام فلم تقتصر وصيته للمسلمين بحسن معاملة وحفظ حقوق الآخرين على إخوانهم فى العقيدة، الذين يعيشون معهم فى مجتمع واحد بل أمرهم أيضًا أن يحسنوا معاملة المخالفين لهم فى العقيدة - وإن نأت ديارهم عنهم - ماداموا يرعون حرمات الإسلام، ولا يأتون عملاً يترتب عليه إيذاء المسلمين، أو تهديد أمنهم، يقول تعالى: ﴿**لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (الممتحنة:٧).

وقد سلك الإسلام فى إقامة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين منهجًا يستميل العاطفة، ويؤثر تأثيرًا كبيرًا على مشاعر الإنسان فى مجال التقريب بين أفراد البشر، ذلك أنه بَيَّن أن أصل الناس واحد، فهم مشتركون فى مبدأ الخلق ومادته، التى تفَرَّع عنها جميع الآدميين، فهم وإن اختلفوا فى الألوان والأشكال، وتباينوا فى الهيئات والملامح فإنهم منحدرون من أب واحد وأم واحدة، مما يحتم عليهم أن ينهجوا فى سلوكهم مع بعض الأسلوب الذى ينبغى أن يسود بين الإخوة، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ (النساء:١)، فإن هذه الآية تذكرة للإنسان بوحدة أصل البشرية جمعاء، ودعوة له إلى العمل على ما يقوى الرابطة والتعاون والتكاتف بين أفراد البشرية فى كل أنحاء الكرة الأرضية باعتبارهم جميعًا أقارب ذوى رحم واحدة.

وعى المسلمون هذا الدرس على أحسن ما يكون الوعى والإدراك، فاتسمت معاملتهم - فى أغلب الأحيان - مع أهل العقائد الأخرى بالتسامح وحسن الجوار، والتعاون على الخير لجميع أفراد البشرية، لأن الإسلام أباح لأولى الأمر أن يقيموا علاقات سياسية مع الدول الأخرى، رغم الاختلاف فى الدين، وأن يكون بينهم تبادل تجارى، بل إن المسلمين ضربوا أروع الأمثال فى عدم التعصب ضد المخالفين لهم فى العقيدة، وذلك عندما احتضنوا الفلسفة اليونانية - وغيرها من الفلسفات القديمة -، فدرسوها، وناقشوها، فأقاموا بذلك الجسور مع الفكر البشرى كله على اختلاف اتجاهاته، وتباين أشكاله، وتنوع قنواته، وتغاير ألوانه، مما يدل على أنهم يؤمنون بوحدة الإنسانية، فعملوا على إسعادها، وتجنب آلامها.

لم يرد وجوب الحوار مع الآخر فى أى دين، كما ورد فى الإسلام، وكذلك لم يهتم أى مذهب من المذاهب الفكرية بالحوار مع الآخر اهتمام الإسلام به؛ فقد أمر الله رسوله ﷺ بالحوار مع أهل الكتاب، مما جعل الحوار الدينى مبدأ أساسيًا فى منهج الدعوة إلى الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ (آل عمران: ٦٤)، وبهذا كان الحوار مع الآخر فريضة من فرائض الإسلام، التزم به النبى ﷺ، فأجرى حوارات مع الوفود التى وفدت عليه فى المدينة، والتى بلغت أكثر من ثلاثين وفدًا فى عام واحد - سمى عام الوفود - وكان من أشهر تلك الوفود، وفد نصارى نجران، الذى قدم المدينة بقيادة أسقفهم أبى الحارث، فتحاور معهم النبى ﷺ. ومما يدل على سماحة الإسلام وتعامله مع الآخر بأسلوب حضارى فى ذلك العصر - الذى لم يعرف المتخاصمون فيه (فى أغلب الأحوال) إلا السيف لغة للحوار - أنه ﷺ سمح لأعضاء الوفد أن يقيموا صلاتهم فى أحد

أركان مسجده ﷺ، وتلك لفتة لم يعرف مثلها فى تلك العصور، ونادرًا - بل يكاد يكون من المستحيل - أن يحدث مثلها فى هذا العصر - فى القرن الحادى والعشرين - الذى يفخر أبناؤه بأنهم قطعوا شأوا كبيرًا فى الحضارة، مما جعلهم يتعاملون مع الآخر بأسلوب مهذب وراق.

ومن المبادئ الإسلامية التى تدعو المسلم إلى التعايش مع الآخر والحوار معه واحترام رأيه:

- الحرية، فقد قدسها الإسلام، ودعا إلى كفالتها، ولو أدى ذلك إلى عدم الاعتراف به دينًا يقول الله تعالى: ﴿**لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ويقول: ﴿..**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**..﴾ (الكهف: ٢٩)، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: ٩٩).

فالله يبين لرسوله ﷺ فى هذه الآيات أن الإيمان متروك لحرية الإنسان، فلا ينبغى أن يمارس أحد الإكراه لحمل الناس عليه، لأنه لو شاء الله لأكرههم على الإيمان، ولكنه تركهم بحريتهم ليكون الإيمان نابعًا من ذات الشخص نفسه حتى يثمر إيمانه، لأن العمل لا يكون نافعًا إلا إذا فعله الإنسان، وهو فى كامل حريته.

ولهذا نظر الإسلام إلى المجتمع نظرة شمولية، فهو لا يفرق بين الناس على أساس معتقداتهم، بحيث يسلبهم حريتهم بسبب هذه المعتقدات، بل يكفل لهم أسس العيش فى سلام واطمئنان داخل المجتمع الإنسانى، وأعطاهم حرية كاملة فى ممارسة بناء المجتمع، فلا زال قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا» ناقوسًا يرن فى آذان كل المجتمعات البشرية، معلنا أن المسلمين طبقوا قواعد الحرية كما أمرهم الإسلام، واستنكروا كل ما من شأنه أن يسلبها من المجتمع، لأنها أساس كيان الإنسانية، ودعامة استقرار المجتمع على قواعد ثابتة، لا تتزعزع أمام عواصف الدهر وتقلبات الأيام.

ومما يدل على سماحة الإسلام مع الآخر، أن الرسول ﷺ عقد مع نصارى نجران عهدا مع بقائهم فى أماكنهم، وإقامتهم فى ديارهم، دون أن يكون معهم أحد من المسلمين، وقد تضمن هذا العهد حمايتهم، والحفاظ على حرياتهم الشخصية والدينية، وإقامة العدل بينهم، والانتصاف من الظالم. وقام الخلفاء من بعده على تنفيذه حتى عهد هارون الرشيد، فأراد أن ينقضه، فمنعه محمد بن الحسن، صاحب الإمام أبى حنيفة. وفى هذا دلالة واضحة على روح التسامح فى معاملة غير المسلمين، إذ حافظ على حرياتهم فى العبادة، وفى إقامة شعائرهم الدينية من غير تضييق عليهم، ولا تعكير صفو الجو الروحى لطقوسهم الدينية، لأنه احترمها، واتخذ من الإجراءات ما يحمى قدسيتها.

- تقبله للثقافات والحضارات الأخرى، مما يدل على أن فكرة الصراع الحضارى لا وجود لها فى مبادئه وتعاليمه، ويوضح نظرته العالمية الواسعة إلى الأديان والأجناس الأخرى، ولهذا أقام حضارة كبرى أسهم فيها أهل هذه الأجناس والأديان فى كل ناحية من نواحى الحياة، والفكر، والفلسفة، والأدب، والفن، والطب، واللغة، والتصوف، وكانت تلك الحضارة تأليفًا وتوحيدًا لكل الحضارات قبلها فى: الصين، والهند، وفارس، والروم، واليونان.

شيد المسلمون على كل هذه الأسس بناءً حضاريًا ضخمًا، اشترك فيه العلماء من جميع الأجناس والأديان، فكانت بحق حضارة لجميع أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، ثم انتقل هذا التراث الحضارى إلى الأجيال اللاحقة، فكان مصدرًا للحضارة الحديثة. وقد عبر أحد العلماء عن دور المسلمين فى بناء الحضارة الإنسانية بقوله: «إن المسلمين لم يحرصوا فقط على أن يكونوا ورثة الأنبياء، بل ورثة الفلاسفة كذلك».

فالإسلام دين يحث أتباعه على الاتصال بثقافة الآخر والأخذ منها إتباعًا لقول رسول الله ﷺ: **«الكلمة (الحكمة) ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»**[1]، فهو لم يغرس فى نفوس المسلمين حقدًا ضد أى طائفة أخرى من البشر تعتنق دينًا آخر، ولم يحرم عليهم التزود بأى نوع من الثقافات الإنسانية، ولم يفرض عليهم شيئًا يعزلهم عن غيرهم من أجناس البشرية، ولم يأمرهم بإجبار أحد على اعتناق الإسلام، فكان بذلك ساحة ضمت جميع الناس، وبوتقة صهرت جميع الثقافات، وواديًا أمن فيه الناس على أنفسهم، وعقائدهم، وأفكارهم، واطمأنوا على سلامة أموالهم وممتلكاتهم، فنظروا إليه غير خائفين، وفكروا فى مبادئه غير وجلين، ودرسوا أحكامه فى جو من الحرية والديمقراطية، فجاء اعتناق من اتخذه دينًا عن رغبة واقتناع، وعاش فى ظل دولته من بقى على دينه آمنًا مطمئنًا، يسعى إلى رزقه، ويشارك فى مجالات الدولة المختلفة تحت راية الإسلام التى ترفرف معلنة أنها مظلة الإنسان، من حيث هو إنسان، لأنه عبد الله الذى أنزل هذا الدين على محمد ﷺ.

اتبع المسلمون هدى رسول الله ﷺ فى هذا المجال فحاوروا أهل الأديان بالتى هى أحسن، وتعايشوا معهم على أساس الأخوة الإنسانية، فلم يجبروهم على اعتناق الإسلام، ولم يضطهدوهم لمجرد أنهم يخالفونهم فى العقيدة، بل رفعوا عنهم ظلم إخوانهم فى العقيدة واضطهادهم لهم، فقد حدث أن عمرو بن العاص حين فتح مصر، كان البطريرك المسيحى بنيامين مختفيًا، لأن وطأة استبداد البيزنطيين المسيحيين فى البلاد كانت عنيفة، وطبقًا لنص تاريخ البطاركة: لما عرف عمرو بذلك كتب إلى أعمال مصر كتابًا يقول فيه: الموضع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله. فليحضر آمنًا مطمئنًا ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته. فلما سمع بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاثة عشرة سنة. منها عشر سنين لهرقل الرومى، وثلاث سنين قبل أن يفتح المسلمون الإسكندرية[2]، ثم التقى عمرو بنيامين، فلما رآه عمرو أكرمه. وقال لأصحابه: إن فى جميع الكور التى ملكناها إلى الآن ما رأيت رجلا يشبه هذا. وكان الأب بنيامين حسن المنظر جدًا، جيد الكلام بسكون ووقار. ثم التفت عمرو إليه وقال له: جميع بيعك ورجالك اضبطهم ودبر أحوالهم[3].

لقد أرسى الإسلام قاعدة صلبة فى مجال التعامل مع الآخر، باختياره أسلوب الحوار، كى يوضح الفكر البشرى ويبين مدى صلته بالتراث الإلهى، ولا يكون ذلك إلا باحترام الحرية فى التعبير، وسماع ما عند الآخر، وعرض مبادئ وتعاليم الإسلام عليه دون إكراه، بل بالتفاهم والأدلة العقلية - وبالتعبير الإسلامى: بالحكمة.. وبالمجادلة بالتى هى أحسن -؛ إذ لا يمكن للشعوب أن تتقدم إلا بتبادل المعلومات، ومناقشة القضايا: قضايا السلم والعدل، وغيرهما من المشكلات التى يواجهها الإنسان فى مسيرة بنائه الحضارى، والتعاون فيما بين الشعوب على أساس احترام الآخر، ومعرفة ما عنده من مبادئ وقيم.

الهوامش:

١- الترمذى ٥/٥١ رقم ٢٦٨٧، تهذيب التهذيب ١/١٢١.

٢- وليم سليم: الحوار بين الأديان ص ١٠٨، نقلاً عن ساويرس ابن المقفع: تاريخ بطاركة الإسكندرية. طبعة افتس - الجزء الثانى.

٣- المصدر السابق ص ١٠٩. ويقول المؤرخ القبطى الأسقف يوحنا النقيوسى: «احترم عمرو أملاك الكنيسة، ولم يقترف عملاً يعاب عليه. فحيا أهل البلاد عهد السلام الدينى، وإعادة نشاط الكنيسة الوطنية، وأديرة وادى النطرون ودير أنبا مقار، وجاء الرهبان أفواجًا يؤكدون إخلاصهم للقائد العربى» حسين فوزى: سندباد مصرى ص ١٦٤.

الموروث الثقافى فى ميزان الإسلام (١)

د. بكر زكى عوض

ما أشبه المعرفة بسلّم لطوابق عدة، بنيت على فترات شتى، ليس بإمكان الصاعد إلى أعلى أن يجتاز الأدوار الأولى دون المرور عليها، فإن كانت على خير حال، كان الاجتياز فى أحسن حال، وإن كانت الأخرى، تعثر الخطى وساء السير وقد لا يكون فى الصعود خير.

والمعرفة على نفس الشاكلة، بدأت مع الإنسان الأول: آدم عليه السلام ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (سورة البقرة: آية ٣١)، ونال وعداً إلهيًا بأن يعطى قدراً من المعرفة الدينية وصفت بقول الحق ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ (سورة طه: الآية ١٢٣) وقد بلغ آدم بنيه ما أوحى إليه به، فما كان لنبى أن يكتم وحيًا إلهيًا، وما الغاية من النبوة إلا الإعلام والتبليغ، وقصة ابنى آدم تدل على أن التبليغ قد تم - (سورة المائدة: الآيات ٢٧ - ٣١).

ولما كان الوحى الإلهى فى أصله وعبر قناتى التوصيل: الأولى: جبريل عليه السلام، والثانية: النبى المختار لا يمسه سوء، ولا يختلط بفساد، ولا يجرى عليه تغيير ولا تبديل إلا ما شاء الله أن يكون وقت التنزيل، مثل الوحى فى هذا مثل المطر عند نزوله من السحاب واللبن حال خروجه من الضرع، لا يلبسان بعد الخروج أن يختلط بهما ما يختلط، حتى يصير الماء غير صالح للشراب، واللبن غير صالح للإطعام، كذلك الوحى الإلهى، بعد التلقى يكون التصرف فيه، إما بالزيادة أو النقص أو التأويل أو الاختلاق أو التشكيك أو الردّ، إلى غير ذلك من صور التصرف التى ندركها من نصوص القرآن الكريم.

مفهوم الموروث الثقافى:

كل ما يتركه السابق للّاحق يسمى ميراثًا وإرثًا وتأتى منه المشتقات وارث وموروث والناظر فيما تركه السابقون يراه منقسمًا إلى قسمين:

القسم الأول: الأفكار أو النصوص أو العادات والتقاليد، وتسمى هذه بالموروث الثقافى.

القسم الثانى: المبانى والمعمار والنحت وسائر المحسوسات وتسمى هذه بالآثار، إذن نحن أمام: أفكار وآثار.

وحديثنا عن الموروث الفكرى والذى اتجه إلى شُعب عدة بحسب تعلقه، فمنه ما تعلق بالدين أو قام به، وله مسميات شتى بحسب حاله، فقد يكون وحيًا، وقد يكون تفسيرًا، وقد يكون فقهًا، وقد يكون تصوفًا، وقد يكون لغة وأحكام لغة... إلخ. ومنه ما تعلق بالأفكار والخواطر ومشاعر الناس، وله مسميات شتى بحسب ظهوره، قد يكون كلامًا عاديًا، وقد يكون شعرًا أو نثرًا أو أى صورة من صور الفكر الإنسانى.

ومن الموروث الثقافى ما يتعلق بالجانب الاجتماعى، ونظم الحياة، ورسم العادات والتقاليد فى الأفراح والأتراح والحرب والسلم والأقضية... إلخ.

ومن خلال هذا التقسيم نرى أن الموروث الثقافى له شقان: إيجابى وسلبى.

الأمم السابقة والموروث الثقافى:

من خلال نصوص القرآن والسنة ووقائع الدهر، تأكد لنا أن الموروث الدينى بخاصة لم يبق على حاله وقت النزول، وإنما امتدت إليه اليد بالتصرف فى ضوء ما سبق، هذا التصرف بعد فترة من الزمن يصبح عقيدة راسخة لدى الأجيال، ولا مستند عندهم لقدسيته إلا أنه ميراث الآباء، ويصل الأمر إلى حد استبدال الفكر الإنسانى بالوحى الإلهى، فإذا جاء نبى جديد ليرد الناس إلى الصواب فى المعتقد، كان الرفض والعناد، وحجة هؤلاء ذكرها القرآن بأسلوب الإفراد أحيانًا وبأسلوب الجمع أحيانًا أخرى.

فمما ورد بأسلوب الإفراد: حديث القرآن عن دعوة نوح عليه السلام، وكانت علة الرفض لرسالته مع إصرار القوم على موروث الآباء ما ذكره القرآن الكريم فى قول الحق سبحانه وتعالى: **﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرا ● وقد أضلوا كثيرا﴾** (سورة نوح: الآيتان ٢٣، ٢٤).

جاءت الشريعة الإسلامية لتصحح المفاهيم وتقوم الموروث الدينى وتعالج جميع مناحى الحياة بصورة غاية فى الدقة

هود عليه السلام: عندما دعا قومه إلى توحيد الله، وكان القوم قد استمرأوا الشرك فلم يجدوا ما يردون عليه به إلا ما ذكره الحق سبحانه: **﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾** (سورة الأحقاف: الآيتان ٢١، ٢٢).

صالح - عليه السلام - : جاء بعد هود وحذر قومه عاقبة ما أصاب عاد، وحثهم على توحيد الله والاستجابة لدعوته، فكانت علة رفض دعوته ما ذكره القرآن بحقهم: **﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب﴾** (سورة هود: آية ٦٢).

إبراهيم عليه السلام: تعدد الموروث الثقافى الدينى الوضعى، وتعدد الآلهة بين علوية (الشمس - القمر - الكواكب - النجوم) وهياكل أرضية (الأوثان - الأصنام - عبادة النار) وحين دعاهم إلى الإقلاع عن عبادة هذه الآلهة لم يكن لهم عذر يعتذرون به إلا أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، ووجدوا آباءهم لها عاكفين، ووجدوا آباءهم كذلك يفعلون، ومع أن إبراهيم - عليه السلام - قدم دلائل عقلية مقنعة وحججًا شرعية دامغة، ولكن طول العهد بالموروث الثقافى الباطل يكسبه قداسة، تحول دون التفكير العقلى.

شعيب عليه السلام: جاء ليعالج الفساد الاقتصادى، وبذل كل جهد فى الإقناع وبين الآثار الإيجابية للاستجابة والآثار السلبية لعدم الاستجابة، ولم يكن للقوم من سبيل يردون بها دعوة شعيب إلا قولهم له: **﴿قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** (سورة هود: آية ٨٧).

موسى - عليه السلام -: دعا بنى إسرائيل إلى التوحيد، ورسم لهم سبيل الهداية فما كان من قومه إلا الإعراض والصدود والرفض، وكانت العلة الكبرى للرفض ما ذكره القرآن الكريم عنهم: **﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾** (سورة يونس: آية ٧٨).

وأما فرعون: فقد أعرض وأعرض معه حاشيته، وكانت علة الإعراض قولهم: **﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾** (سورة الأعراف: آية ١٢٧).

محمد - صلى الله عليه وسلم -: حين دعا قومه إلى التوحيد، وذكر لهم الأثر الطيب المترتب على الاستجابة دنيا وآخرة، أبوا قبول دعوته، وكانت علة الرفض قولهم: **﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشىء عجاب ● وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾** (سورة ص: الآيات ٥-٧).

لقد ظهر جليًا أن موروثات الآباء كانت مانعًا من موانع الاستجابة لدعوة المرسلين عليهم السلام، كما ذكر القرآن ذلك بحق آخرين لا يتسع المقام لذكرهم بالتفصيل.

الحديث بصيغة العموم عن الموروث الثقافى السلبى:

إذا كانت الشواهد السابقة بحق أنبياء وأمم بذواتهم، فإن القرآن قد نص فى كثير من الآيات على أن الموروث الثقافى السلبى قد حجب أممًا عن الاستجابة، وكانت علة الرفض موروثات الآباء، نقرأ فى ذلك قول الحق سبحانه: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾** (سورة البقرة: آية ١٧٠).

وفى سورة الزخرف ورد قول الحق حاكيًا حال المكذبين **﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ● وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ● قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾** (سورة الزخرف: الآيات ٢٢ - ٢٤).

لقد عدل المكذبون فى كثير من الأحيان عن الإجابة المواجهة إلى التعلل بموروثات الآباء فقط، لأنه لا مجال للعقل أمام الموروث الثقافى فى كثير من الأحيان.

الموروث الثقافى الإيجابى:

إذا كان الإسلام قد نهى عن تقاليد الآباء وميراثهم السلبى، فإنه قد أوجب الأخذ بالموروث الإيجابى، وأخص ذلك بالذكر، النص الموحى به، بل إن القرآن قد أوجب ذلك أحيانًا وامتدح فاعليه أحيانًا أخرى.

ما ورد على سبيل المدح:

أثنى القرآن على الأنبياء لأسباب عدة، منها: أنهم قد ورثوا أتباعهم خير تركة، وأخذوا عليهم العهد بالالتزام والرعاية والعناية، بل العجب كل العجب أن الله لم يجعل ميراث الأنبياء مالاً لذويهم وإنما جعله علمًا لمتبعيهم، وفى الحديث **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»**.

وقد دخل أحد الصحابة سوق المدينة، فوجد الصحابة يتجرون بالبيع والشراء فقال لهم: أنتم ها هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد، فأسرعوا الخطى إلى المسجد ليروا هذا الميراث، فلم يجدوا إلا حلق العلم، فسألوه قائلين: أين ميراث رسول الله؟ قال لهم مشيرًا إلى حلق العلم: **«هذا هو ميراث رسول الله»**.

ومن الذين ذكرهم الله فى ميدان الموروث الثقافى الإيجابى، ما نص عليه القرآن بحق كل من:

١- **إبراهيم** - عليه السلام -: وذلك فى حديث الحق عنه **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** (سورة البقرة: آية ١٣٢).

٢- **يعقوب**: أجرى اختبارًا لأبنائه حال حياته، كما ورد فى قول الحق سبحانه **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾** (سورة البقرة: آية ١٣٣).

٣- **يوسف** - عليه السلام -: بذل كل جهد ممكن فى تصحيح الموروث لدى صاحبيه فى السجن، وسألهم أسئلة عقلية، ثم أقام لهم الدليل العلمى على صحة الاختيار، فمما قاله لهم **﴿يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ● ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾** (سورة يوسف: الآيتان ٣٩، ٤٠). وبين حاله قائلاً لهم **﴿إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ● واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾** (سورة يوسف: الآيتان ٣٧، ٣٨).

٤- **أنبياء بنى إسرائيل**: **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾** (سورة المائدة: آية ٤٤).

٥- **سليمان** - عليه السلام -: وذلك فى قول الحق: **﴿وورث سليمان داود﴾** (سورة النمل: آية ١٦).

٦- **عيسى** - عليه السلام -: ذكر أنه متبع لموسى، وما جاء إلا ليصحح ما أصاب الوحى السابق من زيادة أو نقصان أو وقوع خلاف، مع التصريح بنبوة محمد ﷺ، وبهذا ورد قول الحق سبحانه: **﴿وإذ قال**

عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدى من التوراة ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (سورة الصف: آية ٦).

٧- **محمد** - ﷺ - : أمر باتباع من سبق من الأنبياء والمرسلين، والاهتداء بهديهم، وذلك بعد أن ذكر الحق سبحانه قصص بعض الأنبياء والمرسلين، ثم قال له لـ: **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾** (سورة الأنعام: آية ٩٠).

وأمة رسول الله ﷺ قد أمرت أن تنتفع بالميراث الإيجابى من السابقين أجمع، وهذا الأمر جاء فى القرآن وجاء فى السنة.

فمما جاء فى القرآن قول الحق سبحانه: **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾** (سورة الممتحنة: آية ٤).

امتدت الأيدى إلى النصوص المقدسة فى الأمم السابقة إلى حد استبدال الوحى الإلهى بالفكر الإنسانى

ومما أوصانا به الرسول ﷺ أن نقدم ميراثه على ميراث غيره، وفى الحديث الشريف: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلو أبداً: كتاب الله وسنتى. عضو عليها بالنواجذ»** ودعانا ﷺ إلى أن نطلب الحكمة فنحن أولى الناس بها، وفى الحديث **«الكلمة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»**.

الموروث الثقافى وموقف القرآن والسنة منه:

لم تكن العقول خالية من المعرفة وقت نزول النص القرآنى، بل امتلأت العقول بموروث ثقافى باطل فى مجال العقيدة والشريعة والأخلاق، فمن تعدد للآلهة عند الوثنيين إلى وصف الإله بما لا يحمد عند الإسرائيليين إلى تثليث الإله عند المسيحيين فضلاً عن عقيدة البنوة والصلب... إلخ.

وفى مجال الشريعة، قام الحل والحرمة على أساس من المنفعة، وتم استحلال مال الغير، ولويت النصوص أو حذفت أو حرفت لتطابق هوى فى النفس، وكان استحلال المال عن طريق الإغارة دليلاً على الشجاعة والفروسية، وعدلت نظم ورسوم الصلاة والزكاة والحج عما تركه إسماعيل فى مكة، وعما ورثه أتباع موسى وعيسى عن نبييهما، وأما الأخلاق فحدث ولا حرج.

فى ظل هذه الظروف جاءت الدعوة الإسلامية لتصحح المفاهيم، وتقوم الموروث الدينى، وترد الفكر إلى الصحة، والعقل إلى الصواب، وجاء هذا التغيير غاية فى الدقة وعالج جميع مناحى الحياة، وكان حرص القرآن واضحًا على تصحيح المفاهيم عن طريق التخلية والتحلية واتباع سنة التدرج وتوفير الأدلة العقلية، والبراهين الدامغة، حتى إن الموروث الثقافى بشأن الألوهية قد استغرق عشرة أعوام، لم ينازعه فى ذلك تكليف شرعى ولا أداء عبادى، حتى كانت الصلاة سنة عشر ثم الصيام والزكاة بعد الهجرة.. إلخ.

ميادين التغيير كما ورد فى القرآن والسنة (نماذج):

ألف العرب بعض الكلمات وبعض السلوكيات وبعض الأدعية والمسميات وبعض العلوم والفنون.

وكل ما وافق الوحى، ولم تكن فيه مخالفة بقى على أصله، وما كانت فيه مخالفة كانت الدعوة إلى تغييره مع ذكر العلة حينًا وتركها أحيانًا أخرى. فنذكر من ذلك على سبيل المثال:

١- النهى عن استخدام كلمة بعينها، حتى لا يمكن خصوم الإسلام من استخدامها بصورة تسيىء إلى الرسول ﷺ قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾** (سورة البقرة: آية ١٠٤).

٢- النهى عن إصدار أحكام بالكفر على من ألقى السلام أو أظهر الإسلام لأن سرائر الناس موكولة إلى الله، قال تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة**

الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾ (سورة النساء: آية ٩٤).

٣- ترك تقاليد الجاهلية فى النداء بدون ألقاب ولا كنى، أو التكنية بناء على المال أو الجاه أو النسب، وذلك بحق الرسول ﷺ فقد كان العرب يأتون إليه منادين «يا محمد» اخرج إلينا، فنزل قول الحق سبحانه **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** (سورة النور: آية ٦٣).

٤- عدم الإقدام على التحليل والتحريم بناء على موروثات الآباء وتقاليد الجاهلية بمثل ما ورد فى سورة الأنعام بحق الذبائح، وما ورد فى سورة المائدة بحق بعض الدواب **﴿ما جعل الله من بحيرة...﴾** وإنما الاعتماد فى التحليل والتحريم على الوحى الإلهى فقط **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾** (سورة النحل: آية ١١٦).

٥- النهى عن القول على الله بغير الحق، وذلك فى قوله تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾** (سورة النساء: آية ١٧١).

٦- تصحيح مفهوم الموت فى سبيل الله، والنهى عن معاملة المتوفى فى ميدان القتال معاملة الميت على سريره، فالأول شهيد، وهو حى ولهذا لا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن فى ملابسه، وبهذا ورد النهى **﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾** (سورة البقرة: آية ١٥٤).

٧- النهى عن الغزل بما يستقبح من الكلام، أو التصرف تصرفًا غير مشروع وبخاصة إذا لم يكن العقد قد تم، قال تعالى: **﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرًا إلا أن تقولوا قولاً معروفًا﴾** (البقرة: آية ٢٣٥).

٨- النهى عن البقاء فى منزل الرسول ﷺ بعد الفراغ من تناول الطعام، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق﴾** (سورة الأحزاب: آية ٥٣).

٩- النهى عن الانصراف قبل الاستئذان من الرسول ﷺ قال تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾** (سورة النور: آية ٦٢).

السنة والموروث الثقافى:

إذا كان القرآن قد أبطل كثيرًا من موروثات الآباء البالية، فإن السنة النبوية قد عالجت كثيرًا من الموروث الثقافى فى عصر التنزيل، ومن الأمثلة على هذا ما يلى:

١- تصحيح مفهوم المفلس فى الإسلام: حيث إن العرب قد عرفوا المفلس بأنه الذى لا يملك دينارًا ولا درهمًا، فإذا برسول الله ﷺ يقول لهم: إن المفلس من يأتى بصلاة وصيام وزكاة وحج وقد سب هذا وشتم هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا لم يبق من حسناته شىء أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار.

٢- تغيير تحية الجاهلية وإحلال تحية الإسلام محلها، فعندما أتاه آت وقال له: عم صباحًا أخا العرب، قال له ﷺ: إن الله قد أبدلنا تحية خيرًا من تحيتك: السلام عليكم.

٣- نهى ﷺ أن يقول الإنسان عن نفسه: خبثت نفسى، لأن فى ذلك عونًا للشيطان على الإنسان.

٤- نهى ﷺ عن السير مع القطيع بحق أو باطل، وحث على استقلال الذات فى رأيها وفى الحديث **«لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا أسأنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا.....»**.

٥- صحح الرسول ﷺ مفهوم نصرة الإنسان لأخيه ظالمًا أو مظلومًا وحين حث على نصرته ظالمًا، بين مفهوم النصرة «أن تمنعه عن ظلمه» وفى هذا إعلاء لنفسه الخيرة على نفسه الأمارة بالسوء.

٦- وفى السنة الكثير مما تم النهى عنه من ميراث الجاهلية، والحث على إحلال غيره محله، مثل حديث: الشفاء فى ثلاث، وحديث النهى عن التصوير، وحديث النهى عن السبق إلا فى ثلاث...... إلخ.

الأسرة والتشريع الإسلامي

- الإسلام وتعدد الزوجات
- الإسلام صنع قمماً نسائية صاحبن رسول الله ﷺ

الإسلام وتعدد الزوجات

د/ سالم عبد الجليل

لقد أصبحت قضية تعدد الزوجات من القضايا الحساسة والحرجة فى واقعنا المعاصر، خاصة فى محيط العنصر النسائى، فأغلب النساء المتزوجات أو غير المتزوجات، ينزعجن من مجرد طرق هذه القضية على مسامعهن، وينحون بها منحى الكرامة الشخصية، وعدم المساواة، وظلم المرأة وبخس حقوقها، وغيرها من الدعاوى التى شاعت، وخاصة إذا كان المتحدث فى القضية رجل .. فإنه لا يسلم من سيل الاتهامات، فهو المحور الرئيس فى القضية، ومن ثم، يرى من الأسلم له ألا يدلى بدلوه فيها .

إن قضية التعدد اعتبرها أعداء الإسلام ثغرة ينفذون منها إلى مآربهم الخبيثة، ولعب الإعلام - للأسف - دورًا كبيرًا فى تغيير ثقافة المجتمع نحو هذه القضية؛ إذ عرضت المسلسلات والأفلام التى تظهر أن التعدد ظلم للمرأة وإهانة لها وخيانة من قبل الرجل، وصورت الرجل الذى يعدد على أنه قاس وظالم ومتعمد إهانة الزوجة الأولى.. إلخ. مما أحدث انحرافًا كبيرًا فى فهم البعض لقضية التعدد؛ إذ شوهت صورته وعُرض عرضًا منبتًا عن أبعاده الإيمانية، ساعد على ذلك سوء تصرفات من ينتمون إلى الإسلام من الرجال الذين أساءوا إلى المرأة باسم إباحة التعدد.

ولا شك أن الإعلام صور واقعًا لبعض المسلمين الجهلة بالدين، الذين عددوا دون وعى بالمستلزمات الشرعية لذلك، من أداء للحقوق وصيانة لكرامة المرأة، والحرص على عفافها واتقاء الله فى حسن معاملتها. والخطأ الذى ارتكبه الإعلام - فى تصورى - هو أنه سلط الضوء على الجانب السلبى، ولم يعرض الجانب الإيجابى فى مقابل عرضه وتركيزه على الجانب السلبى الذى نسلم به جميعًا.

١ - تصحيح المفاهيم حول موضوع التعدد:

١ - إن الإسلام لم يبتدع التعدد، إنما كان شائعًا فى كثير من الأمم القديمة، وكان معروفًا لدى الفرس والروم والآشوريين والبابليين وغيرهم من الأمم. وشريعة بنى إسرائيل كانت تبيح للرجل أن يتزوج بما شاء دون تقيد بعدد، دل على ذلك ما ورد فى سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادى عشر: **(وكان له - أى لسليمان عليه السلام - سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السرارى)**. وفى سفر التثنية (٢١ : ١٥ - ١٦): «إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة البكر على ابن المكروهة البكر». وهذا النص لا يبيح التعدد فقط، بل يبين ما يتفرع عنه من أحكام. كما لا يوجد نص فى

الإنجيل يصرح بمنع التعدد. والعرب فى جاهليتهم كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويذهبون فيه كل مذهب، ولا يقفون به عند حد. فقد روى عن قيس بن الحارث قال: أسلمت وعندى ثمان نسوة، فأتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: **«اختر منهن أربعًا»** رواه أبو داود وابن ماجه.

وعن عبد الله بن عمر قال: أسلم غيلان الثقفى وتحته عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبى ﷺ أن يختار منهن أربعًا. رواه أحمد والترمذى وابن ماجه. وعن نوفل بن معاوية قال: أسلمت وتحتى خمس نسوة فسألت النبى ﷺ، فقال: **«فارق واحدة، وأمسك أربعًا»** رواه الشافعى والبيهقى.

٢ - موقف الإسلام من مشكلة التعدد موقف يشهد ببراعته، ويدل على دقته وحكمته، فهو يمنع تعدد الأزواج لأنه ينافى الفطرة السليمة، ويعادى الطبيعة المستقيمة. لكنه بجانب هذا يبيح تعدد الزوجات دون أن يرغب فيه أو ينهى عنه، ويشترط لإباحته ضمان العدل وأمن الجور. وفى هذا يقول المولى: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾** (سورة النساء: آية ٣). ونفهم هذه الآية فى ضوء ما رواه البخارى عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها قال لها: يا أماه **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى﴾** إلى **﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** قالت عائشة: **«يا ابن أخت، هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص من صداقها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء»**. ففى ضوء هذا الأثر نستطيع أن نقرر: أن الآية نص فى التعدد ودليل على أن الله أباح لنا أن نتزوج من النساء إلى أربع بشرط أن نتيقن العدل معهن ولا نظلم واحدة منهن، فإن خفنا عدم العدل وتوقعنا الشطط فلا يباح سوى واحدة ويكون الاقتران بأخرى عند ذلك ممنوعًا.

إباحة الإسلام للتعدد تعالج أدواء المجتمع علاجًا سليمًا وتقضى على ألوان الفساد.

٣ - العدل الذى يشترطه الإسلام هو الداخل فى نطاق الوسع والطاقة من النفقة والمبيت، وليس المراد به ما يشمل ميل القلب، فهذا أمر خارج عن الطاقة، وقد رفعه الله عن العباد **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾**، **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**، **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**. وسنة الرسول ﷺ تقرر هذا وتؤكده، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتحرى العدل بين أزواجه فى القسم، ولا يميز واحدة على أخرى، ثم يعتذر عما لا يقدر على التصرف فيه وهو ميل الفؤاد، ورغبة النفس واتجاه القلب. روى الأربعة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: **«اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك»** - يعنى القلب - هذا ما قرره الرسول ﷺ وفهمه الصحابة، وجرى عليه العمل إلى عصرنا، ولا يعقل أن يتوسع المولى فيفتح لنا باب التزوج برابعة مع أن الثانية فى نظر من يحرمون التعدد ممنوعة لامتناع شرط الإباحة وهو إقامة العدل بين الزوجات.

٤ - تحريم التعدد على إطلاقه قول فى دين الله بغير علم، بل الإسلام يبيحه وينظمه، ويؤكد هذا أن الإسلام عمل

على تنظيمه، فبعد أن قال المولى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (سورة النساء: الآية ٢٣)، نظم فى سرد المحرمات ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ (سورة النساء: الآية ٢٣)، فالآية الكريمة تدل على منع الجمع بين الأختين، ويحمل عليه ما شابهه مما أشارت إليه السنة، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**»، فتحريم هذا الجمع وإباحة ما سواه تنظيم للتعدد ودليل على جوازه. ومثل هذا ما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**»، فهذا الحديث يصرح بوقوع التعدد ولا يمانع فيه، إنما يمانع فى الجور ويعاقب عليه.

٢ - شبهتان وجوابهما:

الأولى: قد يقول البعض : إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (سورة النساء: الآية ٣)، وفى آية أخرى يقرر أن العدل غير مستطاع فيقول سبحانه: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (سورة النساء: الآية ١٢٩)، فمجموع الآيتين يفيد حظر التعدد ويمنع إباحته.

والجواب يكمن فى تمام الآية ذاتها يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ (سورة النساء: الآية ١٢٩). إن مثيرى هذه الشبهة كمن يقرءون قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ ويدع قوله تعالى بعدها: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

فلئن كان المولى جل جلاله نفى القدرة على العدل بمعناه الشامل:

المادى (العدل بين الزوجات فى القسم ، وعدم تمييز واحدة على أخرى) .

المعنوى (ميل القلب).

فقد طالبنا بالأول وهو مقدور عليه ولم يطالبنا بالثانى وهو أمر غير مستطاع ، ولا يكلف به الإنسان لعموم قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا﴾، إنما طالبنا بعدم الميل، فقال تعالى: ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالمعَلَّقَةِ﴾ أى إذا كنا لا نطلب منكم توخى العدل تماما فى سائر النواحى وهو ليس فى طاقتكم وإن حرصتم، فعليكم بالقصد والتوسط فى كل أعمالكم، فلا تميلوا لواحدة ميلا كليًا وتهملوا الأخرى كل الإهمال فتذروها كالمعلقة.

وقد صدر الله تعالى الآية بنفى الاستطاعة، فقال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ لكى يثير المخاوف فى قلب الإنسان حتى يفكر طويلاً فى شرط التعدد، ويتثبَّت من مقدرته على العدل بين الزوجات، فلا يتسرع فى الزواج بأخرى لشهوة طائشة أو رغبة جامحة أو وهم كاذب ينخدع به.

الثانية: النبى ﷺ رفض أن يتزوج علىٌّ على فاطمة ابنته، والحديث رواه البخارى ومسلم، عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «**إن بنى هشام ابن المغيرة استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنما هى مضغة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها**».

الجـــواب :

● هذا الحـديث صـحـيح وهو يبـيح التعدد ويزيد عليه إباحة الطلاق، عندما لا ترضى الزوجة بضرة.

● النبى ﷺ استهجن الجمع بين بنت رسول الله وبين بنت عدو الله أبى جهل، كما صح فى رواية مسلم. وهذا أبشع ما يكون من الجمع .

● موقف النبى ﷺ جارٍ على مقتضى عـاطفـة الأبوة التى أرادت فـاطمـة أن تثيره ، فقالت له كما فى صحيح مسلم: **«إن قـومك يتـحـدثون أنك لا تغـضب لبناتك»**. فهو يشارك ابنته فيما أهمها ويطيب خاطرها بعد أن أثارت عاطفته، فأفسح صدره لشكايتها وأعانها بالحيلة والقول الحسن، وما كان ينتظر منه كمثل أعلى للوالد البـار الحنون أن ينهـرهـا ويغلظ لهـا القـول ويتنكر لهـا فى هذه السـاعـة. فهل يلام فى اسـتـرضـائه لفـاطمـة ابنتـه الوحـيـدة؟! وهى أولا وأخيرًا بنت خديجة التى أعانته فى دينه ودنياه، وقد مـاتت أمها وأصبح الرسول مـلاذها الوحيد وعليه أن يبرها لأنها لا ملجـأ لهـا سـواه، ومن حق كل بنت على أبيـهـا أن يسـرى عنهـا فى مـثل هذه الظروف العـارضـة، ويحـاول بفطنتـه أن يجد لها مخرجا.

● مـوقف الرسـول ﷺ لا يغـيـر فى الحكم الشـرعى فـهـو لا يحل حـرامًـا ويحـرم حـلالا، ولهذا قـال: **«إنى لا أحـرم مـا أحله الله»** أى لا أحـرم التـعـدد الذى أباحه الله، ولكن إذا استؤذنت كوالد لفاطمة لا آذن بالتزوج عليـهـا، وهذا من حق كل والد، وله أن يجتـهـد فى مـعـالجـة مشكلات ابنتـه على الوجـه الذى يظن فيـه الخيـر، ولهذا قـال: أرى أن يطلق ابن أبى طالب ابنتى ويتزوج ابنتهم ما دامت نفسـه تطيب بذلك، وهذا الذى عـرضـه الرسـول كـان اجـتـهـادًا منه لصالح ابنته دفعه إلى ذلك خوفه عليها من أن تفتن فى دينهـا وتقـصـر فى حقـوق زوجـهـا، ورغـبـة أيضا فى أن يفسح الطريق أمام علىّ إن قوى ميله إلى أخرى وأصر على الاقتران بها .

يُلزم الشرع الرجل بإقامة العدل بين الزوجات ليعيش الجَميع فى سلام ووئام.

إن الإسلام حين أباح التعدد أراد أن يتـمـشى مع ظروف كل إنسـان ، ويلائم الناس جـمـيـعـا فى كل زمـان ومكان، ويعـالج أدواء المجتمع عـلاجًـا سليمًا، ويقضى على ألوان الفساد قضاء مبرمًا.

فمن الناس من يصلح حاله بواحدة، ومنهم من يحتاج لأكـثـر، فـبدلاً من أن ينجـرف وراء نزوته البـهـيمـيـة، ويعيش عيشـة الحيوانات لا يربطه بالنساء شىء سوى اللذة البهيمية حتى إذا قضى وطره منها تركها وشـأنهـا فـريسـة الأوهام والأحـزان لا يعـتـرف لهـا بحـق ، ولا يقـر لولدهـا ببنـوة، ولا يتكلف لها ما يتكلفه الأزواج لزوجاتهم ، ولا يهتم بأولادها كما يهتم الآباء بأولادهم، فتكون النتيجة أن ترمى المرأة بهم فى قـارعـة الطريق دفـعًـا للعـار وتخلصًـا من أوزاره، أو فى أحسن الأحـوال لعجزها عن القيام بمتطلباتهم لعلهم يجدون من يرعاهم ويكفلهم.

أقـول: بدلاً من ذلك أباح الله التـعـدد ـ بضوابطه ـ لتكون كل امرأة فى عصمة رجل يصونها ويرعى شئونها . ويحـافظ على نسلها .

إضافة إلى هذا: نظر الإسلام نظرة رحمة وإشفاق إلى من ابتلى بزوجة عقيم أو مريضة، فأباح له أن يأتى بأخرى تحقيقًا لهدفه من النكاح ورغبة فى حصوله على النسل، ورحم الأولى فلم يفجعها بالطلاق وحرص على راحتها وهناءتها فاشترط لها العدل. وترك لها الحرية فإما أن تعيش معه على النحو الجديد معززة مكرمة، وإما أن تطلق بالمعروف **﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾** (سورة النساء: آية ١٣٠).

ويلزم الشرع الرجل بإقامة العدل بين الزوجات ليعيش الجميع فى سلام ووئام، فإذا اضطرب ميزان العدالة فى يد الرجل اضطرب البيت، وانقلب جحيمًا على من فيه وتحللت الأسرة، وتقوضت دعائم المجتمع، وأصبح ضرر التعدد أكثر من نفعه، وهذا لا يمكن أن يقره الإسلام أو يرضى عنه .

المخادنة والفجور أم التعدد بضوابطه.

نعم، إما أن نقر التعدد بنظامه المشروع وتبعاته المقررة.. وإما أن نرتضى المخادنة بأساليبها المنكرة، وحقوقها المهدرة بديلاً عنه. ولن يوجد عاقل يؤثر الرذيلة على الفضيلة، أو يقدم الشر على الخير.

وحسبنا دليلا على بعد نظر الإسلام ما حل بالغرب من سوء الحال نتيجة تحريم التعدد حتى ضج عقلاؤهم بالشكوى وطالبوا بإباحته حفظًا لكرامة المرأة، وصونًا للنسل من الضياع.

يقول جوستاف لوبون: «إن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقى فى الأمم التى تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطًا، ويمنح المرأة احترامًا وسعادة لا تراهما فى أوروبا»(١).

ونقل عن امرأة غربية قولها عن بنى جنسها من النساء: «لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة ترانى أنظر إلى هاتيك البنات وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى، وإن شاركنى فيه الناس أجمعون، لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة، وهو الإباحة للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوروبى على الاكتفاء بامرأة واحدة»(٢)، وتقول: «أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعارا وعالة على المجتمع فلو كان تعدد الزوجات مباحًا لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون ولسلم عرضهن وعرض أولادهن، إن إباحة تعدد الزوجات يجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين»(٣) .

ويذكر الأستاذ عباس العقاد أن «وسترمارك» العالم فى تاريخ الزواج قال: «**إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى إلى القرن السابع عشر وكان يتكرر كثيرا فى الحالات التى لا تحصيها الكنيسة والدولة**»(٤).

ويقول الشيخ رشيد رضا: «وقد فشا التعدد فى الرومان فعلاً لا قانونًا حتى حظره جوستنيان فى قوانينه، ولكنه ظل فاشيًا بالفعل، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الإسلام كشرلمان ملك فرنسا الذى كان معاصرا للخليفتين المهدى والرشيد من العباسيين(٥).

ويقول المستشرق الفرنسى «إتيين دينيه» الذى أسلم وسمى نفسه «ناصر الدين»: هؤلاء ملوك فرنسا دع عنك الأفراد الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات

وفى الوقت نفسه كان لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام(٦). ويقول أيضًا: إن نظرية التوحيد فى الزوجة، وهى النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هى الدعارة والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين، وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية(٧).

وفى عام ١٩٤٨م أوصى مؤتمر الشباب العالمى فى ميونخ بألمانيا بإباحة تعدد الزوجات حلا لمشكلة تكاثر النساء وقلة الرجال بعد الحرب العالمية الثانية(٨)، وتقول إحدى الألمانيات: «إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو إباحة تعدد الزوجات»(٩)، فالتعدد - على ما به - رحمة بالمرأة، فحياة برجل، أفضل للمرأة من حياة بلا رجل، كما أن المرأة قد تختار التزوج برجل معه امرأة أخرى عن رضا واختيار، إعجابًا به، تقول أستاذة ألمانية: «إننى أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه، إن هذا ليس رأيى وحدى، بل هو رأى كل نساء ألمانيا»(١٠).

إننا لا ننكر أن الزواج الثانى شديد على نفسية الأولى، وبغيض إليها، ولكن ماذا نفعل أمام الضرورات؟، لا بد أن تتجرع الزوجة الكأس مع ما فيها من مرارة فذلك أخف الضررين.

٤ - التعدد نافذة ضيقة لحالات استثنائية:

الشريعة الإسلامية فى إباحتها للتعدد إنما اعتبرته نوافذ ضيقة لحالات استثنائية اضطرارية وأدوية محدودة لحالات قائمة، وقد سلكت فيه مسلكا سائغا ومقبولا، لا غلو فيه ولا إفراط، ولعل فيما هو منتشر الآن من فوضى جنسية واستباحة الأعراض والتفسخ الأخلاقى والتخالل السرى والعلنى - فى البلاد التى لا تسمح نظمها بالتعدد وتحتم على أتباعها الاقتصار على واحدة مهما كانت الظروف والأسباب، ما يكفى كدليل قاطع على سمو التشريع الإسلامى وحكمته التى يلتقى فيها مع الإنسان فى فطرته وواقعه، ويتوافق مع شئونه وملابسات حياته لأنه ينظر إليها من جميع زواياها القريبة والبعيدة.

وفى العدد القادم: الحكمة فى تعدد أزواج النبى ﷺ.

الهوامش:

(١) حضارة العرب - ٣٩٧ ترجمة عادل زعيتر ط الرابعة.
(٢) حقوق النساء فى الإسلام للشيخ رشيد رضا ص٧٥ نقلا عن جريدة لندن تروت بقلم إحدى الإنجليزيات.
(٣) المرجع السابق.
(٤) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه /١٧٨ ط الهلال.
(٥) حقوق النساء فى الإسلام أو نداء إلى الجنس اللطيف ط المكتب الإسلامى ١٣٩٥،١٩٧٥م، ص ٦١.
(٦) كتاب «محمد رسول الله» تأليف «إتيين دينيه» سليمان إبراهيم ص٣٩٤ هامش، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، ط ثانية سنة ١٩٥٨م نهضة مصر.
(٧) المرجع السابق.
(٨) محاضرات فى الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال /١٦٠ط الثالثة دار الشعب بالقاهرة.
(٩) المرجع السابق.
(١٠) المرجع السابق.

الإسلام صنع قمماً نسائية صاحبن رسول الله ﷺ

د. سامية منيسى

لم تبلغ المرأة درجة من التقدم والرقى فى المكانة والمعاملة ونيل جميع الحقوق الخاصة بها فى أى عصر من العصور، وأى حضارة من الحضارات السابقة أو اللاحقة على الإسلام، كما بلغت فى الشريعة الإسلامية.

فقد أكرمت الشريعة الإسلامية المرأة إكرامًا عظيمًا أكثر مما كانت تتوق إليه، واهتمت اهتمامًا عظيمًا بالمرأة ومكانتها فى المجتمع منذ مولدها وحتى وفاتها، بل وبعد وفاتها حيث الجزاء والثواب والعقاب حسب عملها.

فقد عرض القرآن الكريم الكثير من شئون المرأة فيما يزيد على عشر سور من سور القرآن الكريم، منها سورتان: عُرفت إحداهما بسورة «النساء الكُبرى»، وعُرفت الأخرى بسورة «النساء الصغرى»، وهى - سورة الطلاق -، كما نزلت سورة «مريم» لتحمل اسم امرأة طاهرة نقيّة اصطفاها الله وطهّرها واصطفاها على نساء العالمين، وقد ذكر الإمام السهيلى أن اسم «مريم» ورد فى ثلاثين موضعًا فى القرآن الكريم. كذلك سور «المجادلة» و «الممتحنة».. وغيرها من سور القرآن الكريم التى ذكرت شئون المرأة.

وبعد أن كانت المرأة غير مرغوب فيها فى المجتمع العربى قبل الإسلام، وبعض المجتمعات الأخرى، بل أغلبها، نزلت آيات القرآن الكريم لتردّ على ذلك، وتُكرّم المرأة فى كل موقف من مواقف حياتها، وتنظم المجتمع المسلم الجديد على أُسس جديدة تقوم على العدل وكرامة الإنسان.

فقد حمى الإسلام المرأة من الوأد ونهى عن ذلك نهيًا مطلقًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ سورة التكوير الآيتان ٨، ٩. فحفظ لها حق الحياة.

وجعل الإسلام للمرأة ميراثًا بعد أن كانت تورث مثل المتاع، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ سورة النساء الآية ٣٢. وقال أيضًا: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ سورة النساء الآية ٧. وقال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ سورة النساء الآية ١١. كما تساوت المرأة مع الرجل فى الثواب والعقاب، والحدود مثل: حد السرقة، والزنا، والقذف، والقتل.. وغيرها. ولم يفضل الرجل على المرأة أو المرأة على الرجل إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقد خُلقت المرأة من الرجل من نفس واحدة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ سورة النساء الآية ١.

ويقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ سورة الحجرات الآية ١٣.

ويقول أيضًا: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ سورة النحل الآية ٩٧.

وحينما سألت إحدى الصحابيات ـ وهى أم عمارة الأنصارية نسيبة بنت كعب ـ رسول الله ﷺ قائلة له: ما أرى كل شىء إلا للرجال وما أرى النساء يُذكرن بشىء.

أجابها الله جلّ وعلا مُكرمًا كل النساء فى آياته الشريفة فى القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٥.

وكما كرم الله تعالى المرأة فى القرآن الكريم، كرم رسول الله محمد ﷺ المرأة فى أحاديثه وسُنته، فى كل موقف من مواقف حياته سواء فى الحياة العامة للمجتمع المسلم، أو فى حياته الخاصة مع أزواجه وأهل بيته.

فمن أحاديثه ﷺ قوله: «**إنما النساء شقائق الرجال**» أخرجه أبو داود كما فى الجامع الصغير (حديث رقم ٢٣٢٩). واحترم رسول الله ﷺ المرأة احترامًا كبيرًا، وقد منحه الله تعالى الإناث ـ حيث لم يعش له ذكر ـ فى مجتمع يتفاخر بالذكور، فكان ﷺ يسعد كثيرًا ببناته ويحنو عليهم حنانًا كبيرًا. وأوصى ﷺ بالنساء فقال: «**استوصوا بالنساء خيرًا..**» صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء.

بلغت المرأة فى الإسلام درجة من الرقى والتقدم لم تبلغها فى أى دين أو حضارة سابقة أو لاحقة على الإسلام

كما شبهها ﷺ بالقارورة لرقّتها وشدّة الحرص عليها، فكان يقول لأنجشة وهو يقود الركب ويحدو، فيشتّد فى سيره: «**ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير**» رواه أنس فى صحيح البخارى، كتاب الأدب، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبى ﷺ بالنساء..

كما كان ﷺ يأمر بحُسن رعاية البنات وتربيتهم، فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس لأحد من أُمتى يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيُحسن إليهن إلا: كُنّ له سترًا من النار**» البيهقى، شعب الإيمان (٥٢٤٨). كما أمر ﷺ بتعليم البنات، وكان يأمر إحدى الصحابيات وهى الشفاء بنت عبد الله أن تُعلم أم المؤمنين حفصة الكتابة.

وقد منح المرأة الحق فى البيعة له بالإسلام امرأة امرأة، مثلها فى ذلك مثل الرجل، وهذه البيعة تعتبر بيعة دينية لنبىّ الأمة، وسياسية لزعيم الأمة الإسلامية وهذه أول مرة فى التاريخ تبايع المرأة بنفسها ويُعتّدّ بها.

وأصبح للمرأة حقوق كثيرة، فلها الحق فى حرية العبادة، فلم يرغم الإسلام أية امرأة على أن تغيّر دينها المسيحى أو

اليهودى، ولكن تركها لحرية الاختيار فى أن تدخل فى الإسلام أو تبقى على دينها.

وهذا ما حدث مع زوجات النبى ﷺ: صفية وكانت على اليهودية، ومارية وكانت على المسيحية، ولكنهما اختارتا الإسلام.

كما كان يأمر الرجال أن يتركوا النساء يرتدن المساجد لحضور صلاة الجماعة، والجُمع والأعياد، بل كان ﷺ يأمر بحضور النساء صلاة العيدين لينضموا إلى جماعة المسلمين ويسمعن خطب رسول الله ﷺ ويتفهّمن حقيقة دينهن ومجتمعهن.

كما كان للمرأة الحق فى أن تستأمن، وقد استأمنت زينب ابنة رسول الله ﷺ لزوجها حينما استجار بها - قبل إسلامه - حينما أسره المسلمون ومعه تجارة لقريش، فأقرها النبى ﷺ، كما استأمنت أُم حكيم بنت الحارث بن هشام لزوجها عكرمة بن أبى جهل يوم الفتح فوافق النبى ﷺ على ذلك، واستأمنت أم هانئ بنت أبى طالب لرجلين من أحمائها من بنى مخزوم فأقرها النبى ﷺ على ذلك... وغيرهن كثير. كما كان لها الحق فى أن تقضى الدين أو النذر عن أمها أو أبيها، ولها الحق فى طلب العلم، والحق فى مشاركة الرجل فى المسجد، والحق فى العمل، والحق فى أن يوكل إليها أو أن توكل غيرها عنها، والحق فى الذمة المالية المستقلة، والحق فى الصداق... وغير ذلك من الحقوق، بالإضافة إلى الأحوال الشخصية داخل مملكتها الخاصة مع زوجها، حيث جعل الإسلام المودة والرحمة بينهما أساس العلاقة الزوجية، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ سورة الروم الآية ٢١. وقبلها حقها فى اختيار الزوج، كما نظم الإسلام القوامة داخل الأسرة وحقوق وواجبات كل من الزوجين، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٨).

كذلك كان رسول الله ﷺ يستشير النساء كما يستشير الرجال، ولنا مع أُم المؤمنين خديجة رضى الله عنها مواقف عديدة خاصة فى مساندتها للنبى ﷺ فى أخطر المواقف - سنذكرها بمشيئة الله فى حينها - كذلك موقفه من أُم سلمة رضى الله عنها فى «الحديبية» حين استشارها عام ٦ هـ.

نزلت آيات القرآن الكريم تكرم المرأة فى كل موقف من مواقف حياتها وتنظم المجتمع على أسس العدل

كما شاركت المرأة الرجل فى الدفاع عن أمتها ضد العدوان الخارجى عليها، وشاركت أيضًا فى كل ميادين الحياة داخل الدولة الإسلامية.

هذا، وإذا كانت المرأة المسلمة قد شاركت وحصلت على كل ذلك إلا أن الإسلام حرص على عفّتها، فكما نظم لها كل أمور حياتها نظم أيضًا الأمور التى تستر بها مفاتنها لتظل فى أعلى درجات العفاف، فلا تظهر زينة المرأة إلا لزوجها ومحارمها، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ سورة النور الآية ٣١.

وسوف نذكر بمشيئة الله تعالى نماذج من القمم النسائية فى صدر الإسلام وعهد النبوة مبتدئين بأزواج الرسول ﷺ ودورهن فى المجتمع الإسلامى ثم الأدوار البارزة لصحابيات الرسول ﷺ تباعًا.. والله الموفق.

الدعوة والخطاب الدينى

- حق المساواة فى الإسلام
- وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة
- فضيلة الحياء فى الإسلام
- الغيبة والنميمة من الأمراض الخبيثة
- دور الشعر فى المسيرة الإسلامية (٨)

حق المساواة فى الإسلام

د. أحمد عمر هاشم

يراد بالمساواة المماثلة، وعدم التفاوت بين الناس فى الأمور التى لا تتميز خصائص الناس وأعمالهم فيها بالمنافسة والاستزادة فى أعمال الخير، فمن رشحته خصائصه ومواهبه فتنافس فى الخير وزاد عمله وجدّه واجتهاده على غيره، فهذا من الأمور الخاصة التى يأخذ كل إنسان فيها حقه بقدر عمله واجتهاده.

أما إذا كان الناس سواسية فى العمل والاجتهاد ولا تمييز لأحد على الآخر، فلا يصح أن يكون هناك تفاوت بينهم فى حقوقهم.

فالناس ـ مثلاً ـ فى أصل خلقتهم وفطرتهم خلقهم الله تعالى من نفس واحدة، فهم متساوون فى هذا الأصل قال الله جل شأنه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ (سورة النساء: آية ١)

فجميع الخلق يرجع أصلهم إلى أب واحد، وأم واحدة، والكل يرجع إلى آدم أبى البشر - عليه السلام - كما قال الله سبحانه وتعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** (سورة الحجرات: آية ١٣).

وتتجلى المساواة بين الناس فى أن ربهم واحد وأن أباهم واحد فلا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»**(١).

ويتساوى الناس جميعًا فى مسئوليتهم أمام الله سبحانه وتعالى كل حسب موقعه، ومهمته التى هو قائم عليها، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**(٢).

وقال ﷺ فى حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد»**(٣).

والناس جميعًا سواسية فى الجزاء والعقوبة لا فرق بين

شريف وغيره، ولا غنى وفقير، ولا رئيس ومرءوس.

عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **«أتشفع فى حد من حدود الله؟»** ثم قام فاختطب فقال: **«يا أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**(٤).

وهكذا أرسى رسول الله ﷺ قاعدة ثابتة فى المساواة بين الناس، على ضوئها تحل مشكلة المحسوبية والتمييز العنصرى، بتطبيق عملى حازم، لا تعرف الدنيا له مثيلاً، وبهذا نرى كيف كان للإسلام فضل السبق فى إرساء قواعد الحق والعدل، وتطبيق المبادئ السامية التى لا تفرق بين إنسان وإنسان، فلا تمييز ولا محاباة، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح.

وقد وجه الرسول ﷺ المسلمين إلى تطبيق المساواة بحيث لا يكون هناك فرق ولا تمييز بين إنسان وآخر، ولا بين جنس وجنس، ولا بين لون وآخر فعندما قال أبو ذر - رضى الله عنه - لأحد الناس: يا ابن السوداء، قال له النبى ﷺ: **«طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»**.

وفى رواية أخرجها البخارى: **«أعَيَّرْتَهُ بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم»** - أى - خدمكم - **«جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس»** ولذا كان أبو ذر يُلْبس غلامه بعد ذلك مثل لبسه، وفى رواية للحديث أن أبا ذر قال للرجل الذى قال له: يا ابن السوداء: قم فطأ على خدى ووضع خده على الأرض، تكفيراً لذنبه واسترضاء للرجل واعتذاراً له.

وقرر الإسلام المساواة بين الناس فى تولى المناصب والأعمال، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول ﷺ: **«من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»**(٥). والعصابة هى الجماعة من الناس.

وعن يزيد بن أبى سفيان قال: قال أبو بكر رضى الله عنه حين بعثنى إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن

أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة راسخة فى المساواة بين البشر بتطبيق عملى حازم لا تعرف الدنيا له مثيلاً

رسول الله ﷺ قال: **«من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم»**(٦).

وإذا ما تحققت المساواة تحقق العدل والأمان والاستقرار فى الأرض، وإذا ضاعت المساواة، وكانت المحاباة والتفرقة بين الناس كان الاضطراب وكانت الفتن التى تؤذن بالنهاية.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم جاء أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين أراه السائل عن الساعة؟» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضُيّعت

جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من نفسه قدوة للمسئولين والحكام ليطبقوا المساواة بينهم وبين الناس ولا يميزوا أنفسهم عن غيرهم

الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[7].

هذا، وإن رسول الله ﷺ جعل من نفسه قدوة للمسلمين فى استيفاء الحقوق ليؤكد على جميع المسئولين والحكام والولاة من بعده أن يطبقوا المساواة بينهم وبين الناس وألا يميزوا أنفسهم على غيرهم، فها هو ذا رسول الله ﷺ خرج أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن عباس وعلى بن أبى طالب حتى جلس على المنبر ثم قال:

«**أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه، ولا يخش الشحناء من قبلى، فإنها ليست من شأنى، ألا وإن أحبكم إلىّ من أخذ منى حقاً إن كان له، أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس، ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى**»[8].

وقد اقتدى أبو بكر الصديق رضى الله عنه برسول الله ﷺ فى تطبيق المساوة بينه وبين الناس، وتطبيقها بين الناس بعضهم مع بعض فلا تمييز لأحد على أحد، فقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه إبّان تَوليه الخلافة:

«إنى ولّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسدّدونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، وإن عصيته فلا طاعة لى عليكم، ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه».

وشهدت الحياة العملية تطبيق المساواة من الخلفاء الراشدين ومن الصحابة أجمعين رضوان الله تعالى عليهم، ولا فرق بين واحد من عامة الناس وبين واحد من المسئولين فالكل سواسية لا فرق بين إنسان وآخر، وكانوا يطبقون الحقوق والواجبات فى عدالة ومساواة بين الجميع، عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، فقال: عذت بمعاذ، قال: سابَقْت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربنى بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضى الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصرى؟ خذ السوط فاضرب ابن الأكرمين، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس فضرب، والله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصرى: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذى ضربنى وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى.

الهوامش

١- رواه أحمد.

٢- رواه البخارى ومسلم.

٣- رواه البخارى ومسلم.

٤- رواه مسلم.

٥- رواه الحاكم.

٦- رواه أحمد.

٧- رواه البخارى.

٨- رواه الطبرانى فى المعجم الكبير.

وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة

الشيخ/ شوقى عبد اللطيف

• يعتقد البعض أن العمل الدعوي عمل سهل يستطيع أن ينهض به أى فرد من أفراد الأمة وهذا الزعم الخاطئ هو الذى أدى إلى تصدى بعض الجهال وأنصاف المتعلمين للدعوة بهدف تحقيق مآرب شخصية، وهذه جريمة لا تغتفر، لأن تصدى غير المؤهلين أضر بالدعوة والدعاة، وكان سببًا فى الضلال والإضلال، وفقدان الثقة والمصداقية فى العلماء.

• ومن هنا تحتم علينا أن نبين مفهوم الداعية، لأن هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق وتحديد خاصة فى هذه الآونة الأخيرة بعد أن دخل الساحة أدعياء الدعوة والذين ركبوا موجتها واتخذوها شعارًا لتحقيق مآربهم.

• إن الإسلام دين يحب النظام ويدعو إليه ويحث على التخصصات حتى يؤدى كل فرد من الأمة رسالته بدقة وإتقان، والكون الذى نعيش فيه ونراه من حولنا هو خير دليل على دقة العمل واحترام التخصص قال تعالى: **﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾** سورة يس الآية ٤٠ .

• ولقد دعا القرآن الكريم إلى إرساء قاعدة التخصص منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان قال تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾** سورة التوبة الآية ١١٢ .

• وجاء فى مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن المقداد بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: **«يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»**(١).

• وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**.

• فالداعية الحقيقى صاحب رسالة سامية، وثقافة عالية، إنه مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة والحديث العادى والعمل الجاد فى سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل الدعوة فى تجرد وإخلاص، فهو قدوة قبل أن يكون كاتبًا أو خطيبًا أو محدثًا يؤثر فى الناس بعمله وشخصه وهو بمثابة طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة وهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.

• وهو رفيق وصديق وأخ للغنى، والفقير، وعون للكبير، والصغير، تتدفق الرحمة من عينيه وتجرى المواساة على لسانه ويديه، والداعية قائد محنك، وسياسى بارع فى بيئته وزعيم لفكرته، وقبل هذا أو ذالك هو عبد ربانى ذا صلة قوية بربه قال تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

• ومن لم تتوفر فيه تلك الشروط لم يؤت الحكمة وفصل الخطاب، ولم يكن لدعوته أثر أو ذكر.

● إن الداعية الصادق يجب أن يشعر بأن دعوته حية فى عروقه، متوهجة فى ضميره تسيل فى دمائه، وتصيح فى وجدانه فتمنعه من الراحة وتدعوه إلى الحركة والعمل وتشغله عن نفسه وماله، إنه الذى أثرت الدعوة على شخصه فانعكس أثرها على حركته وإشارته وماء وجهه، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الداعية هو من يصل كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمور دعوته.

● نعم إن من واجب كل فرد من الأمة المحمدية أن يكون داعيًا إلى الله ومبلغًا عن رسوله ولكن كل فى حدود إمكانياته ومؤهلاته المعرفية ذكرًا كان أو أنثى فيما هو واضح وبين كأن يبين المسلم لأخيه المسلم حرمة الخمر، وحرمة الزنا، وحرمة الربا، عملا بقوله تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾** سورة آل عمران الآية ١١٠ .

● أما فيما يتعلق بخصوصية الدعاة فإن الدعوة لها أصولها ومنهجها وشروطها ولهذا فقد حمل لواءها مجموعة أخصهم الله واصطفاهم عملاً بقوله تعالى : **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾** سورة سبأ الآية ٣٢ .

● وهذه الفئة لابد أن يتوافر فيها الموهبة الدعوية فضلاً عن المسلك العملى للدعوة من تعلم جميع العلوم التى تتعلق بفن الدعوة من حفظ وفهم جيد لكتاب الله تعالى فضلاً عن التسلح والتزود ببعض العلوم وعلى رأسها الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامى وفروعه.

● وسنقف فى هذا البحث على معرفة الوسائل التى يحتاجه الداعية لتبليغ دعوته وكذا الأسلوب الذى يتبعه فى الوسائل وربط هذ الوسائل بين الأصالة وبين ما أنتجه العصر من وسائل باتت جزءًا مر حياة الناس مثل التليفزيون، والراديو، والفيديو، والشبكة العنكبوتية وغيرها من الوسائل التى ظهرت حديثًا.

١ - تعريف الوسائل والأساليب :

٢ - الوسيلة لغة :

● جاء فى لسان العرب أن الوسيلة مأخوذة من الفعل «وسل» وتأتى «وسل» بمعنى : رغب وتقرب، وسل إلى الله : عمل عملا تقرب به إليه سبحانه.

والوسيلة التوسل إلى الشىء الذى يرغب فيه، والوسيلة ذرية النبى ﷺ فى الجنة.

٣ - الوسيلة فى الاصطلاح :

● مجموعة الطرق المحببة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصال بالمدعوين والتأثير عليهم وتوجيههم.

● **تعريف الأسلوب :**

تأتى كلمة الأسلوب فى اللغة بمعنى : الطريق، والوجهة، والمذهب، وأسلوب فلان : طريقته ومذهبه.

● **وفى الاصطلاح :**

مجموعة الطرق العملية المتبعة فى عرض الأفكار التى يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس.

وهناك تقارب بين الوسيلة والأسلوب ولكن هناك فرق بينهما من حيث الاصطلاح.

الوسيلة : هى الأداة الناقلة للخطاب من الداعى إلى المدعوين.

الأسلوب : طريقة عرض الفكرة للناس.

والوسيلة : فى مفهوم الإسلام بصفة عامة لابد أن تكون نبيلة ومشروعة لأن الغاية نبيلة ومشروعة فالوسيلة تخدم الغاية وتحققها وليس كما هو مشهور فى الفلسفة الغربية (الغاية تبرر الوسيلة) فالغاية النبيلة لا بد لها من وسيلة نبيلة.

قال تعالى : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** سورة الكهف الآية ١١٠ .

وتفيد الآية أن من رغب فى لقاء ربه لابد أن يتبع أسلوبًا ووسيلة نبيلة ومشروعة وهى العمل الصالح وعدم الشرك بالله.

والوسائل المباحة مثل : الصحيفة، والخطابة، والإذاعة، والتليفزيون، والراديو فهذه الوسائل وأمثالها لا حرج فى استخدامها فقد استخدم رسول الله ﷺ كل ما كان مباحًا من الوسائل مثل : الخطابة، والكتابة، والحوار، والتجمعات فى الأعياد والمناسبات وهناك وسائل محرمة جاءت بها نصوص شرعية مثل : «الكذب، والغش، والخداع، والموسيقى الماجنة والمعازف»، عند جمهور العلماء فلا تصلح أن تكون وسيلة للدعوة.

أقسام وسائل الدعوة :

يمكن تقسيم وسائل الدعوة إلى ثلاثة أقسام أساسية هى:

١ - وسائل كتابية.

٢ - وسائل كلامية مسموعة.

٣ - وسائل مرئية.

الوسائل المكتوبة كثيرة منها :

١ - الكتاب :

وهو أهم وسائل الخطاب قديمًا وحديثًا وذلك لأنه يعرض الأفكار عرضًا منطقيًا متسلسلاً ويحشد من الأدلة ما يجعل القارئ يصدق ما يعرضه من صحة الأفكار والمفاهيم والقيم التى يدعو إليها.

والكتاب هو الذى يخاطب العقل والوجدان معا فيؤثر فى العقل بالإقناع، ويؤثر فى الوجدان والعاطفة بالتفاعل والاستجابة، وهو وسيلة فاعلة إذا أحسن استخدامها فى نشر الدعوة، وظلت الكتب قرونا طويلة مؤثرة فى الأجيال فى شتى ضروب المعرفة ولا زالت.

ولعل من حكمة الله أن جعل للديانات الكبرى كتبًا يرجع الناس إليها مثل: التوراة، والإنجيل، والقرآن.

وعلى الداعية أن يختار اللغة التى يخاطب بها من يريد دعوتهم ويراعى مستوى المدعوين وثقافتهم حتى يؤثر فيهم.

والكتاب المفيد يبقى نفعه وأجره بعد وفاة صاحبه لقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية»(٢).

وقد استخدم رسول الله ﷺ الرسائل، والكتب إلى الملوك والأمراء لتبليغ دعوته.

المقال: «الصحافة» :

اصطلح الناس حديثا على قوة الصحافة بأنها السلطة الرابعة التى تؤثر على تكوين الرأى العام، وكم من مقالات صحفية أثرت على الرأى العام وغيرت مجرى الحياة ولهذا أصبحت الصحافة فنا ودراسة، وعلى الدعاة أن يدركوا أن هذا النوع من الوسائل يحتاج إلى تمويل كبير، وإدارة ناجحة تعرف قيمة الدعوة حتى لا يكون الضر من حيث يراد النفع، مثل الإثارة والأخبار التى تحمل بين طياتها التشهير بالمسلمين وتشويه السمعة، والإساءة إلى الإسلام والعمل على إثارة الفتن.

وليس المراد باستخدام الصحافة كوسيلة للدعوة أن تكون هناك صفحة دينية تهتم بالفتوى فقط؛ بل يجب أن يكون هناك صحيفة تعمل فى مجال الدعوة بنشر الأخبار والمقالات وسائر فنون العمل الإعلامى.

● **الوسيلة الكلامية المسموعة:**

إن اختلاف هذه الوسائل تختلف باختلاف حال من تقدم له الدعوة فقد تصلح وسيلة مع فئة معينة وقد لا تصلح هذه الوسيلة لفئة أخرى.

ولكن تظل الكلمة المسموعة ذات أثر معنوى فى النفوس حيث تؤثر شخصية المتكلم وهيئته ونبرات صوته، وإدراك صدقه وإخلاصه وتجعل هذه الوسيلة حية منها حركة وحيوية فى نفوس المتلقى للرسالة الإعلامية.

ولا تزال الخطب والكلمات التى يلقيها الدعاة والمصلحون ذات أثر كبير وفعال، ولأن جميع المسائل الأخرى تنقل خطب وكلمات المشهورين فى العالم لما لها من صدى وتأثير وقد استخدم رسول الله ﷺ وسيلته الأولى فى الدعوة، وخطب النبى ﷺ هى التى صاغت أمة الإسلام فى جميع شئون الحياة فكريًا وثقافيًا وسياسيًا ولا ينكر أحد ما تؤديه خطبة الجمعة من توعية ثقافية ودينية تساهم فى بناء الفرد والجماعة.

فالخطيب الناجح يتفاعل مع كلامه ويجعل الجماهير التى تسمع هذه الكلمات تتفاعل مع خطبته حسب مجريات الأحداث فهو يراعى مقتضى الحال ففى بعض الأحوال كان رسول الله ﷺ إذا خطب

احمرت عيناه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول: **«صبحكم ومساكم»** البخارى.

- **والخطب المنبرية أنواع :**

١ - منها خطب الوعظ والإرشاد التى تعتمد على النصوص ذات التأثير لغرس التقوى إما للعمل الصالح أو ترك المعاصى. ومن أعظم الأمثلة فى ذلك الخطبة التى خطبها رسول الله ﷺ لما دخل المدينة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

٢ - الخطب القضائية: ما يقوم به المحامون والقضاة وهى تقوم على البينة.

٣ - الخطب السياسية والنيابية.

٤ - الخطب العسكرية وغيرها من أنواع الخطب.

وحتى تستخدم هذه الوسيلة استخداما ناجحًا تحتاج إلى تدريب وإعداد جيد من حيث العلم واللغة وقوة الشخصية. حتى قيل إن عناصر بناء الخطبة هى:

١ - قلب مفكر.

٢ - بيان مصور.

٣ - لسان معبر.

وعلى الخطيب الناجح أن يراعى حال المستمعين له وأن لا يثير قضايا خلافية من شأنها إثارة الفتن، وأن لا يستخدم نصوصا قد يفهم منها غير المراد. وإن اضطر لعرض بعض القضايا الشائكة عليه أن يشرحها شرحا وافيا حتى لا يساء فهمها، ويستحسن أن تكون الخطبة ارتجالا لا من ورقة إلا لضرورة، وأن تكون معانى الخطبة حاضرة فى ذهنه قبل إعدادها حتى يستطيع أن يعبر عنها بأسلوبه وأن يتجنب الإطالة فإن الإطالة باعثة على السآمة والملل، وجاء فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كنت أصلى مع النبى ﷺ ، فكانت صلاته قصرًا، وخطبته قصرًا»[٢] وكان الرسول ﷺ يقول: **«إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه»** مئنة معناها علامة.

المحاضرة :

وهى وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، والمحاضرة كالخطبة ولكن أسلوبها يميل إلى الجانب العلمى الموثق، وتخاطب العقل فى كثير من الموضوعات، وقد يكون موضوع المحاضرة واحدًا ولها أهداف محددة، وتلقى بصوت هادئ وهى أنواع:

١ - محاضرات دينية تغرس القيم، والمبادىء، والأخلاق الإسلامية، وتبين الحلال والحرام.

٢ - محاضرات علمية بها معلومات علمية دقيقة.

٣ - محاضرات ثقافية تدور حول موضوعات تهتم بالثقافة العامة مثل الحريات وعادات وتقاليد الشعوب.

٤ - محاضرات سياسية تهتم بعرض قضايا سياسية تهدف إلى كسب رضاء المجتمع.

وغيرها من المحاضرات التى تلقى بالجامعات، بهدف تدريس مقررات محددة يمتحن فيها الطلاب وفيها تقيم الدرجات.

وحتى تنجح المحاضرة يستحسن أن يستعين المحاضر بالوسائل الحديثة مثل المعارض والحاسوب والصور والأرقام والإحصاءات العلمية الموثقة حتى تؤثر فى المستمعين وموضوعات الدعوة متعددة، ولكل موضوع أفلام خاصة به، فالمحاضرات فى الإعجاز العلمى لها أفلام مساعدة تؤكد وتبرهن على الإعجاز وهى متوفرة فى الأسواق فى أشرطة فيديو وسى دى.

المسرح :

وسيلة لم تعرف عند العرب فى العصور الأولى، بل هى من نتاج اليونان القدماء، ولذا قل استخدام المسرحيات فى الدعوة الإسلامية، وكثر التمثيل فى السينما والتليفزيون.

والمسرح وسيلة ناجحة فى نشر وتعميم الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية وهو من الفنون الحديثة التى شاعت فى العصر الحالى وأحبها الكبار والصغار والشباب وهناك موضوعات مهمة لكى تقدم فى المسرح مثل قضايا الجهاد والصدق والأمانة والعفة والصبر ومفارقة الباطل ونماذج من تاريخ الإسلام.

وقد استخدم أعداء الأمة الإسلامية هذه الوسيلة لتدمير شباب المسلمين خاصة والمراهقين منهم عن طريق المسرحيات الهابطة التى تعتمد فقط على الضحك والهزل والمجون.

● وعلى الدعاة ومن وقف خلفهم أن يستخدموا هذه الوسيلة بإعداد الكوادر التى تتقن هذا الفن الرفيع من كتاب ومخرجين للتأثير على القطاعات المختلفة.

الإذاعة :

بعد أن تم اكتشاف الإرسال الإذاعى عد ذلك طفرة إعلامية حتى تم استخدام الإذاعة فى بث المعلومات للجماهير خاصة المعلومات السياسية، معلومات الحرب العالمية الثانية ثم إدخال الترفيه فى الرسالة الإعلامية.

ولا تزال الإذاعة تؤثر فى قطاعات كبيرة من المجتمع خاصة بعد أن انتشرت أجهزة الراديو وقلت تكاليفها وسهل حملها، وإمكان الاستماع إليها فى حالة الاستقرار والحركة داخل البيت وداخل السيارة وكثير من أجهزة الجوالات بها جهاز راديو يستقبل عدداً كبيراً من الموجات القصيرة والطويلة.

وقد فطن أصحاب الدعوات المختلفة إلى أثر الإذاعة فاستخدموها كوسيلة من وسائل الدعوة فأنشئت محطات تخدم الدعوة مثل إذاعة القرآن الكريم فى مصر والسعودية والسودان وتقدم عدد من الإذاعات فقرات خاصة عن الإسلام وتاريخه.

ولكن الاستفادة من هذه الوسيلة إذا أحسن أمن استخدامها يمكن أن تقدم الحياة الإسلامية الشاملة إضافة إلى القرآن الكريم والتفسير.

تشمل الأخلاق العامة فى شكل مسلسلات من الحياة اليومية تمدح الصدق والأمانة والصحبة الحسنة وحسن الجوار بأساليب مشوقة

التليفزيون :

التليفزيون والقنوات الفضائية يدخلون فيما أطلق عليه تقنيات الاتصال الحديث وقد استهدفت التقنيات الحديثة فى مجالات الاتصالات المختلفة زيادة قدرة الوسائل الاتصالية المتاحة مع الأوضاع الحديثة لجماهيرها، وذلك بهدف رفع كفاءتها وزيادة قدرتها التأثيرية، إضافة إلى توسيع نطاق التغطية الجغرافية حتى تصل وسائل الاتصال هذه إلى الجماهير فى مختلف الأماكن نظرا لزيادة رغبة هذه الجماهير فى معرفة المعلومات التى تحدث فى كل أنحاء العالم.

وذلك من ظهور البث المباشر عبر الأقمار الصناعية وقد ظهر التليفزيون فى الدول العربية فى ستينيات هذا القرن وظهرت معه فتاوى عدد من العلماء تؤكد حرمة استخدام التليفزيون، وهذه الفتاوى قد تلاشت وذهبت أدراج الرياح فى هذا العصر، وسبب هذه الفتوى هو ما كان يقدم فى التليفزيون من برامج ترفيهية وأفلام ومسلسلات هابطة تعمل على نشر الفساد بين الناس ولكن بدأت الجماهير تعى أن هذا الجهاز لا يعاب لذاته إنما هو مباح وقد يستخدم للحق كما يمكن أن يستخدم للباطل وأصبحت كل دولة تعمل على تقديم خدمة إعلامية متطورة من خلال جهاز التليفزيون وتعدد القنوات الأرضية الفضائية، ولا ينكر أحد أن لهذه القنوات أثره الفاعل فى تقديم خدمة إعلامية فائقة.

ومما يحمد لجهاز التليفزيون :

١ - أنه يستخدم حاسة السمع والبصر وبذلك يكون أكبر تأثيرا من غيره.

٢ - سرعة الانتشار مقارنة بالندوات والدروس والخطب ونقل المحاضرات والندوات.

٣ - ينقل المعلومة إلى المتلقين فى منازلهم.

٤ - عدد المستفيدين منه أكثر من الوسائل الأخرى. وتقدر الإحصاءات أن بعض القنوات العالمية يقدر مشاهديها بـ (٣٠٥) مليونا يوميًا.

٥ - ساعد التليفزيون فى تثقيف أعداد كبيرة من المسلمين واستطاع نقل أخبار ومعلومات عن الدول الإسلامية وعن المسلمين فى بقاع العالم حيث لا يمكن الوصول إلى هذه المعلومة بسهولة، وقد استطاع نقل المناسبات الدينية مثل الحج والوقوف بعرفة فى مكة وعرضه لكل سكان العالم حين تتوحد المشاعر المسلمة وتزداد شوقا.

وهناك قنوات رائدة فى مجال الدعوة مثل قناة الرسالة واقرأ، والمجد، والرحمة وغيرها من القنوات حيث قدمت هذه القنوات القرآن الكريم تلاوة، وتجويدا، وتفسيرا، وفتاوى إسلامية وموضوعات إسلامية معاصرة.

وجهاز التليفزيون يعد وسيلة فاعلة جدا إن أحسن استخدامه، ولأهمية التلفاز قامت بعض الجامعات بتدريس هذا العلم لطلابها لتأهيلهم وإعدادهم كمقدمى برامج، وأصبح من بين التخصصات الجامعية تخصص إذاعة وتليفزيون تخرج المؤهلين أكاديميًا فى هذا المجال، ولو أضيف إلى ذلك الثقافة الإسلامية والحس الدعوى، لاستفدنا جدا من هذه الوسيلة.

الإنترنت - الشبكة العنكبوتية :

وتعنى هذه الكلمة ترابط عدد من الأجهزة الحاسوبية معا من خلال وسائل الاتصال المختلفة والمتنوعة المتكاملة.

وهو شبكة واسعة تربط ملايين من المشتركين حسب نوع الخدمة التى يراد الاستفادة منها.

وهى تعنى شبكة الشبكات وشبكة المعلومات.

الآثار الإيجابية للانترنت :

١ - سرعة وصول المعلومات إلى الجماهير.

٢ - سهولة الاتصال بين العلماء.

٣ - تسهيل الحياة المعيشية عن طريق البيع الإلكترونى.

٤ - العمل على نشر اللغة التى يمكن بها استخدام الشبكة.

الآثار السلبية للإنترنت :

ظهرت دراسة حديثة من الدكتور/ نورمان سارتوث - رئيس الجمعية العالمية للطب النفسى تقول بأن ثورة التكنولوجيا الحديثة، وثورة الاتصالات عامة وظهور الحاسوب والإنترنت والمحمول والفيديو خاصة سوف تفرز أمراضا نفسية عديدة منها : «الاكتئاب، والقلق والاضطرابات العصبية وذلك لدورها فى عزلة الإنسان وانطوائه وإنهاء علاقته وترابطه الأسرى وكذلك هذه المعلومات إذا أسيىء استخدامها سوف تكون وبالا على البشرية بانتشار الجريمة والعنف واضطرابات السلوك، ولكن يختلف الأمر إذا تم استخدام هذه الوسيلة فى الدعوة ونشر الفضيلة والحث على الترابط الأسرى ومحاربة الجريمة والناس عطشى للأخلاق والمثل والحياة الفاضلة والسعادة الدنيوية.

وهناك مواقع إسلامية لها خدمات مميزة للزائرين بهذه المواقع مثل إسلام أون لاين، والمنبر، المشكاة وغيرها من المواقع.

السينما :

بدأت السينما فى أمريكا بدعم من الرؤساء حيث سجل التاريخ كلمات «روزفلت» حيث قال فى هوليود : (إذا أردتم لأمريكا الرفعة والمجد فاهتموا بالفيلم الأمريكى) وأصبح الفيلم الأمريكى الأكثر انتشارًا فى العالم وساد راعى البقر هازم الهنود الحمر، والأفلام التى تصور الأمريكى الذى يهزم الأعداء وقدمت السينما حروب أمريكا فى فيتنام والحروب التى تقودها أمريكا ضد روسيا. وهوليود أصبحت أكبر مدينة إعلامية فى العالم، وجاءت كذلك موسوعة ديزنى بأفلام الكرتون وقد انتشرت أفلام (توم وجيرى) كل بلدان العالم بكل لغات العالم.

والسينما فن جماهيرى خطير يسلب المشاهد ساعات طويلة إرادته وتوحى إليه بما تريد وقد صورت السينما الخمر والمرأة المتعرية كنوع من الحضارة.

وعلى المسلمين أن يتجهوا إلى تفعيل دور السينما كوسيلة لنشر المبادىء والأخلاق الإسلامية وأن تمول الأفلام التى تدعو للإسلام وما تركه فيلم «عمر المختار» من أثر قوى لما قدم باللغة العربية والإنجليزية، وكذلك فيلم «الرسالة» وفيلم «ظهور الإسلام» وما كان لهما من نجاح ملموس فى نفوس العرب والغرب.

والذى يحزن أن الأفلام الأمريكية والهندية والبوذية تملأ دور السينما فى العالم العربى وأن ما تقدمه الأفلام العربية يفسد أكثر مما يصلح.

ونؤكد أن صناعة السينما ليست بالأمر السهل وتحتاج إلى تمويل ضخم وصبر طويل حتى تنتج أفلاما تجد مكانتها فى العالم.

أساليب الدعوة :

هذه الوسائل المختلفة تحتاج لأساليب مؤثرة ومتنوعة. والأساليب التى تستخدم فى الدعوة أساليب مميزة بعدة ميزات منها :

١ - أساليب فطرية وهى انسجام هذه الأساليب مع الفطرة الإنسانية مما يلامس قلب المدعو ويؤثر فى عواطفه.

٢ - التنوع : فأحيانا يستخدم أسلوب القوة والشدة وأحيانا يستخدم أسلوب اللين وهذا يتوقف على قدرة الداعية الحكيم فهو يعرف متى يستخدم هذا الأسلوب.

٣ - التدرج فقد يبدأ الأسلوب فى الدعوة بالأقل ثم الأكثر أثرا قال تعالى : **﴿واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾** (سورة النساء الآية : ٣٤).

فقد تدرج العقاب بالوعظ، واللين، ثم بالهجر، ثم إن لم يفلح هذا ولا ذاك فالضرب غير المبرح. والوسائل إن تعددت للدعوة فكذلك الأساليب، وهذه نماذج من الأساليب الدعوية التى يمكن الاستفادة فى الوسائل بحسب الحاجة.

الرفق واللين :

الرفق لغة : ضد الضعف والمراد به لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، واللين ضد الخشونة، ولين الجانب حسن الخلق كثير الاحتمال عديم الإسراع فى الغلط، وليس المراد بذلك أن يكون الداعية مداهنا حيث يلقى الفاسق المعلن لفسوقه فلا ينكر عليه ولو بقلبه، وقد ذكر القرآن اللين والرفق فى الدعوة قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾** (سورة آل عمران الآية : ١٥٩)، قال تعالى : **﴿فقولا له قولا لينا﴾** (سورة طه الآية : ٤٤).

فإذا كان موسى وهارون عليهما السلام وهما أحب خلق الله إليه أمرا باللين فى القول مع عدو الله وهو أبغض خلق الله فما بال غيرهما من الدعاة فى دعوتهم مع الناس.

وقال رسول الله ﷺ : «**إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه**».(٤)

والسيرة النبوية مليئة بأمثلة كثيرة من رفق رسول الله ﷺ ودعوته وقصة الأعرابى الذى بال فى المسجد دليل على حسن ورفق النبى ﷺ.

الترهيب والترغيب :

والمقصود بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والترهيب كل ما يخف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. وآيات القرآن الكريم تدل على استخدام هذا الأسلوب فى بث ونشر الدعوة الإسلامية قال تعالى : **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ● يرسل السماء عليكم مدرارا ● ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾** (سورة نوح الآيات : ١٠ : ١٢).

وقال تعالى : **﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون﴾** (سورة الأعراف الآية : ٤). وأحاديث النبى ﷺ كانت تدور حول هذه المعانى مثال : «**من غشنا فليس منا**»، «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

والداعى الناجح عليه أن يستخدم أسلوب الترغيب للمدعوين إذا رآهم متكاسلين عن أفعال الخير مثل صلاة الجماعة والإنفاق فى سبيل الله وصلة الأرحام.

وكذلك أسلوب الترهيب إذا كانوا منغمسين فى المعاصى مثل الغش والسرقة وقطع الأرحام، ومن الترغيب التذكير بنعم الله ووصفه الجنة وما فيها من نعيم، ومن الترهيب بيان عاقبة المكذبين ووصف النار وما بها من عذاب.

هناك وسائل وأساليب لم نفصلها تركناها لفطنة القارئ وهذا ظننا به أنه يعرف الكثير عن وسائل وأساليب الدعوة.

وفى الختام أسأل الله أن يوفق الدعاة إلى ما فيه خيره ورضاه، وأن يرزقهم الإخلاص فى القول والعمل، ويجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الهوامش :

١ - المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ج١ ص ١٠٩ .

٢ - سنن الترمذى ٢/٦٦٠ .

٣ - مسلم بشرح النووى ١٦، ص ١٥٢ .

٤ - صحيح مسلم ١٤/٢٠٠٤ .

فضيلة الحياء فى الإسلام

فضيلة الشيخ/ خالد الجندى

الحياء سيد الأخلاق الحميدة وسلطان الأخلاق الرشيدة، ودستور الأخلاق المجيدة، وله ثمار كثيرة، وحسنات عظيمة، فهو مفتاح لكل خير وسعادة، ومغلاق لكل شر وتعاسة، مفتاح لكل الطاعات والحسنات، مغلاق لكل المعاصى والموبقات، مغلاق للنار،

فالإسلام دين خلقى رفيع، يدعو إلى معالى الأخلاق، ويبعث فى النفس مشاعر الفضيلة والحياء، وقد بين رسول الله ﷺ الغاية من بعثته فقال: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[١]، إن الإسلام جاء محاربًا لكل الرذائل والمنكرات، محرمًا لسائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وهدف الإسلام أن يقيم مجتمعًا فاضلاً، تنعدم فيه مظاهر الإثم والجريمة وأسباب الفحش والآثام، بحيث يغدو هذا المجتمع نظيفًا من كل ما يدعو إلى الوقاحة والدناءة والفجور.

ولقد جاهد الإسلام طويلاً، فى سبيل إقامة هذا المجتمع الطاهر، وجعل الحياء أساسه وعماده.

فإذا تخلق الإنسان بخلق الحياء، كان ذلك دليلاً على حسن أدبه وسلوكه وصلاح ظاهره، ونقاء سريرته، وكمال إيمانه وتمامه.

وحينما يفقد الإنسان خلق الحياء، يكون قد حُرِم خيرًا كثيرًا، وخسر خسرانًا مبينًا.

والحياء انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهى، فلا يكون كبهيمة الحيوان.

فالحياء أداة مانعة من ارتكاب المعاصى والآثام، حائلة بين المرء وبين فعل ما لا يليق من القبيح المرذول، وإن كان صغيرًا، فهو أصل لكل فضيلة وخير، وعصمة من كل معصية وشر.

ويعد الحياء من الأخلاق النبيلة التى تحول بين من يتمتع به وبين فعل المحرمات وإتيان المنكرات، ويصونه من الوقوع فى الأوزار والآثام وهو كذلك الامتناع عن فعل كل ما يستقبحه العقل الصحيح ولا يقبله الذوق السليم، والكف عن كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق فإذا تحلى المسلم بهذا الخلق، صحت سريرته وظاهره، وعامل الخلق بما يرضاه مولاه، وكذلك فإن هذا المسلم الحيى لا يقبل إلا الحلال من كل شىء فى المطعم، والمشرب، والملبس وغير ذلك كما يعد الحياء دليلا صادقا على مقدار ما يتمتع به المرء من أدب وإيمان، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«الحياء من الإيمان»**[٢].

ولقد حث الشرع الحنيف المسلمين على التحلى بفضيلة الحياء وبين النبى ﷺ أن هذا الخلق الشريف هو من أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل فقال عليه الصلاة والسلام: **«إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء»**[٣] وإذا استحكم خلق

الحياء فى نفس المسلم، صده عن كل سيئ وقاده إلى كل أمر حسن طيب، والحياء لا يأتى إلا بخير، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها لذا قال ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[٤] ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فى التمسك بخلق الحياء، فقد قال الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى - رضي الله عنه - واصفا رسول الله ﷺ **(كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه)**[٥] لما يبدو عليه من أثر الحياء والفضيلة، وكان أرق الناس طبعًا، وأنبلهم سيرة وأعمقهم شعورًا بالواجب ونفورًا من المثالب وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما، أنه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يبكى قال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: **«أخبرنى جبريل عليه السلام، أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه، أفلا يستحى العبد أن يذنب وقد شاب فى الإسلام»**[٦].

إن هذا الحديث ينطبق على أولئك الذين شابت رءوسهم وأصبحوا على حافة قبرهم وهم فى حياتهم غافلون، وعلى الدنيا مقبلون، ولجمع المال عاكفون، لا يذكرون الله حقًا، ولا يصلون فرضًا، ولا يؤدون زكاة، ولا يحجون بيتًا، ولا يتعففون عن منكر، فما أقل حياء هؤلاء القوم وما أشد غرورهم وما أعظم غفلتهم وجهلهم.

وإذا كان الحياء من الناس خلقا حسنا، فإن الأفضل منه كثيرا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يقى الإنسان من المعاصى دائما، وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال لأصحابه: **«استحيوا من الله عز وجل حق الحياء»** فقالوا: يا رسول الله إنا لنستحى من الله والحمد لله، قال: **«ليس كذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء»**[٧] وانظر إلى شدة حياء صحابة النبى ﷺ فعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: إنى لأغتسل فى البيت المظلم فأحنى ظهرى إذا أخذت ثوبى حياءً من ربى - عز وجل - وعنه أيضًا: ما أقمت صُلبى فى غُسلى مُنذُ أسلمت[٨]، وقال أبو بكر الصديق قال وهو يخطب الناس: يا معشر المسلمين استحيوا من الله فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء مغطى استحياء من ربى[٩].

الحياء هو انقباض النفس عن القبائح وتركها، والمانع من التقصير فى حق ذى الحق

ومن أجل أن يكون الحياء شعارًا ودستورًا يتخلق به كل مسلم ومسلمة، والطهر والعفاف صفات كل مؤمن ومؤمنة، حض الإسلام على التحلى بالمكارم والفضائل، والتخلى عن الموبقات والرذائل، وحرم كل تكشف وسفور، وحارب بشدة كل فحش ومنكر وفجور، حتى يكون المجتمع الإسلامى مثالاً للوقار والعفة، والحياء والفضيلة، والشرف والغيرة، وطهارة الضمائر والنفوس والقلوب.

ولكى يوفر الإسلام للحياة الاجتماعية داخل المجتمع، قواعد الحياء والفضيلة ومعالم الطهر والعفة حرم السفور ونهى عن التبذل، وفرض الحجاب وضرب حول المرأة سياجًا من الفضيلة والعفاف وحصنها بالشرف والحياء سدًا لذرائع الفتن والمفاسد وقطعًا لأسباب الفجور ودواعى الفسوق والانحراف والبعد عن طاعة الله تعالى وفراقها لحظيرة المؤمنين. قال الله تعالى: **﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾** (سورة الأحزاب آية ٣٣).

تعريف الحياء:

قال الحافظ ابن حجر: الحياء: خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق[١٠].

وحقيقة الحياء كما ذكره النووى: خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق[١١].

وقال الراغب: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركه[١٢].

وليس هناك تعارض بين التعريفين، بل يوضح أحدهما الآخر فيمكن القول إن الحياء هو انقباض النفس الذى يؤدى إلى ترك القبائح ويمنع من التقصير فى الحق.

وقال ابن رجب: الحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقًا وجبلةً غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التى يمنحها الله العبد ويجبله عليها، ولهذا قال ﷺ: **«الحياء لا يأتى إلا بخير»**[١٣] فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

والثانى: ما كان مكتسبًا من معرفة الله، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان. وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه ورؤية التقصير فى شكرها، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزى، لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة. فصار كأنه لا إيمان له[١٤].

علاقة الحياء بالحياة:

قال ابن القيم رحمه الله: الحياء مشتق من الحياة، والغيث يسمى حيًا - بالقصر - لأن به حياة الأرض والنبات والدواب وكذلك سميت بالحياة حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه فهو ميت فى الدنيا شقى فى الآخرة[١٥].

والنظرة اللغوية لمعنى الحياء تشير إلى بعد آخر هو العلاقة اللفظية الواضحة بين الحياء والحيا والحياة؟ إذ الحياء مدد للفضائل والقيم، كما أن الحيا هو المطر يحيى الأرض وينشر الخير والخصب، وإذا كانت الحياة تعنى الحيوية والعطاء والنمو والتأثير، فإن الحياء يعنى ذلك كله بالنسبة للمنهج الأخلاقى فى كل أعراف البشر والشرائع السماوية.

أنواع الحياء:

وقد ذكر الماوردى أن الحياء فى الإنسان يكون من ثلاثة أوجه:

الأول: حياؤه من الله. فيكون بامتثال أوامره.

الثانى: حياؤه من الناس فيكون بترك الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.

الثالث: حياؤه من نفسه، فيكون بالعفة وصيانة الخلوات[١٦].

من فضائل الحياء:

للحياء فوائد حميدة، وفضائل كثيرة وثمار مديدة لا تحصى نذكر منها:

١- الحياء مفتاح كل خير:

فى الصحيحين: عن عمران بن حصين قال: قال النبى ﷺ: **«الحياء لا يأتى إلا بخير»**[١٧].

يقول ابن حجر رحمه الله: إذا صار الحياء عادة وتخلق به صاحبه يكون سببًا يجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب[١٨]. فالحياء أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه ويكون بلاء على صاحبه.

٢- الحياء مغلاق لكل شر:

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[١٩].

قال الخطابى: الحكمة فى التعبير بلفظ الأمر دون الخبر فى الحديث أن الذى يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور بارتكاب كل شر[٢٠].

قال ابن القيم: خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء[٢١].

إن الحياء فى حقيقته شجاعة تملأ القلب فتمسك بتلابيب النفس حتى لا تنغمس فى شهواتها وتتورط فى هواها وتنطلق تتعدى الحدود وتحطم القيود وتنغمس فى الهوى.

نلاحظ هنا: أن الحياء الحقيقى هو الذى يغلق أمامك كل أبواب الشر ويفتح لك أبواب الخير.

٣- الحياء مفتاح لكل الطاعات:

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**[٢٢].

وقد سمى الحياء من الإيمان؛ لكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية فإن قيل لِمَ أفرد بالذكر هنا؟ أجيب بأنه - الحياء - كالداعى إلى باقى الشعب - أى شعب الإيمان[٢٣].

معنى ذلك أن الحياء الحقيقى والصحيح يحفزك على فعل باقى شعب الإيمان الكثيرة وجميع الطاعات الوفيرة التى بها يستحق العبد رضا مولاه.

٤- الحياء مفتاح محبة الله تعالى:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى إذا أنعم على عبد يحب أن يرى أثر النعمة عليه ويكره البؤس والتباؤس ويبغض السائل الملحف ويحب الحيى العفيف المتعفف»**[٢٤].

فالله تعالى يحب الحياء وبالتالى يحب أهل الحياء ومن أحبه الله تعالى صار سعيدًا فى كل حياته وعند مماته وفى قبره ويوم لقاء الله تعالى.

٥- الحياء من مفاتيح الزينة والبهاء:

عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه»**[٢٥].

وقال القرطبى: من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يُوقر غيره ويتوقر هو فى نفسه[٢٦].

الحياء الحقيقى الصحيح هو الذى يحفزك على إتيان شعب الإيمان الكثيرة وجميع الطاعات الوفيرة التى يستحق العبد بها رضا مولاه

٦- الحياء من مفاتيح الأمن يوم القيامة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[٢٧].

نلاحظ فى هذا الحديث أن قوة الحياء الحقيقية ومدى الإيمان الداخلى فى القلب متوافر فيهم جميعًا، ويأتى من بينهم هذا الرجل المؤمن كامل الإيمان كامل الحياء الذى تعرض لفتنة عظيمة ألا وهى فتنة النساء وما أدراك ما فتنة النساء؟! امرأة كاملة الأوصاف من مال وجمال ومنصب تدعوه إلى الزنا، ومن العجب أنها مع الجمال والمنصب هى التى تدعوه إلى الفاحشة، ولكن قوة الحياء من الله تعالى تمنعه، ويقول: إنى أخاف الله،

فكان الجزاء من جنس العمل فأظله الله فى ظل عرشه يوم الفزع الأكبر يوم تشيب فيه الرءوس.

قال القرطبى: قوله: «**إنى أخاف الله**» إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ويقين وتقوى(٢٨).

٧- الحياء من مفاتيح الجنة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار**»(٢٩).

الحث على الحياء:

وقد وردت النصوص الكثيرة التى تحض على الحياء وترغب فيه وتدعو إليه منها ما رواه البخارى بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه(٣٠) أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار - وهو يعظ(٣١) أخاه فى الحياء فقال رسول الله ﷺ: «**دعه، فإن الحياء من الإيمان**»(٣٢) أى أثر من آثار الإيمان وثمرة من ثماره.

ومنها ما رواه البخارى أيضًا بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»(٣٣).

وفى رواية مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٣٤). ففى هذا الحديث بيان من الرسول ﷺ بأن الحياء شعبة من الإيمان. فإن استشكل بأن الحياء من الغرائز كيف جعل شعبة من الإيمان.

والجواب بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقًا، ولكن استعماله على وقفة الشرع تحتاج إلى اكتساب علم ونية فهو من الإيمان لهذا، ولكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية ولا يقال: رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير لأن ذلك ليس شرعيًا(٣٥).

بل إن الحياء هو ميراث الأنبياء كما روى البخارى بسنده عن ابن مسعود(٣٦) - قال: قال النبى ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٣٧).

ففى هذا الحديث إخبار من الرسول ﷺ أن الأنبياء عليهم الصلوات والسلام يتفقون على استحسان الحياء، فما من نبى إلا ندب إليه وبعث عليه.

ومعنى قوله: فاصنع ما شئت كما قال ابن حجر الهيتمى: فإنك ستجازى عليه. فهو إما تهديد ووعيد لمن ترك الحياء أو المراد به الخبر ومعناه أن عدم الحياء يوجب الاستهتار والانهماك فى هتك الأستار. أو المراد ما لا يُستَحَى من الله ولا من الناس فى فعله إذا ظهر فافعله وإلا فلا فهو أمر إباحة. ثم قال: والأول أولى وأظهر(٣٨) - وفى الحديث دلالة على عظمة الحياء وأهميته.

وقد وضح النبى ﷺ حقيقة الحياء بأنه يشمل جوارح الإنسان، فقد روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: يا نبى الله إنا نستحى والحمد لله قال: ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.

فمن فعل ذلك فقد استحى يعنى من الله حق الحياء(٣٩).

حياء الرسول ﷺ وأصحابه:

ولقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى الحياء - ومن ذلك ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال: كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه فى وجهه(٤٠).

فكذلك الصحابة رضى الله عنهم فهم أولى بهذه الصفة الكريمة عن غيرهم وكان عثمان رضي الله عنه من أشد الصحابة حياء. فقد قال فيه الرسول ﷺ: ألا تستحى من رجل تستحى منه الملائكة(٤١). وقد روى مسلم بسنده عن سعيد بن العاص أن عائشة زوج النبى ﷺ وعثمان حدثاه: أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط(٤٢)

عائشة فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: اجمعى عليك ثيابك. فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: إن عثمان رجل حيى وأنى خشيت إن أذنت له على ذلك الحال ألاَّ يبلغ إلىَّ حاجته[٤٣].

الخليفة عمر بن عبد العزيز والحياء:

قيل لعمر بن عبد العزيز: إذا ذهب الحياء ذهب نصف الدين، قال: لا، إذا ذهب الحياء ذهب الدين كله، إن كان الحياء جميلا فى الرجال فهو فى النساء أجمل وأزين، ووالله إذا فقدت المرأة حياءها لباطن الأرض خيرا لها من ظاهرها.

قال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما فى العيش خيرٌ
ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يحيى المرء ما استحى بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاءُ

حياء فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى فى موتها:

وليرى وليتعلم كل نساء الأمة ورجالها كيف تضرب سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد ﷺ مثلا للعفاف والحياء كما ينبغى أن يكون، ونسمعها ونتعلم منها وهى تقول وتحاور أسماء بنت عميس: يا أسماء إنى لأستحى أن أخرج غدا على الرجال من خلال هذا النعش جسمى، وكانت النعوش عبارة عن خشبة مصفحة يوضع عليها الميت ثم يطرح عليه الثوب فيصف حجم الجسم.

خشيت فاطمة - رضى الله عنها - إذا هى ماتت أن تحمل على مثل هذه النعوش، فيكون ذلك خدشا لحيائها وحشمتها، قالت أسماء: أولاء نصنع لكِ شيئا رأيته فى الحبشة، فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه بما يشبه الصندوق ثم طرحت عليه ثوبا فكان لا يصف الجسم .. فلما رأته فاطمة فرحت به وقالت لأسماء: ما أحسن هذا وأجمله، سترك الله كما سترتنى.

قال ابن عبد البر: هى أول من غطى نعشها فى الإسلام على تلك الصفة[٤٤]، وهذا درس لنساء الأمة حتى نعرف مدى تحمل المؤمنة لَهِمِّ حيائها وعفافها وحجابها حتى بعد مماتها، تريد أن تعيش عفيفة، وتموت عفيفة، وتحشر إلى الله وهى عفيفة، إن الحياء والصون والعفاف عند المؤمنة قضية لا تحتمل النقاش، وهم لا يقبل المساومة، إنه طاعة لله، واستجابة لأوامر الله، وانقياد لحكمة الله، إنه الثغر الذى تتحصن به المسلمة، فلا تتسرب من خلاله رذيلة، وفاحشة إلى المجتمع، ولا تستباح محرمات، ولا تدنس أعراض، إنه عنوان صلاح المرأة، ودليل اعتزازها بدينها، وشعارها الذى ترفعه فى وجه أعدائها، وكل من يخالفها.

الهوامش:

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/٦٧٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبى فى التلخيص: على شرط مسلم، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/٥٧٣) وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. رواه البزار إلا أنه قال: **«لأتمم مكارم الأخلاق»**، ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوذانى وهو ثقة.

(٢) متفق عليه: صحيح البخارى (١/١٧) بلفظ: قال أخبرنا مالك عن أنس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء فقال رسول الله ﷺ: (دعه فإن الحياء من الإيمان)، وصحيح مسلم (١/٦٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٩٩)، ومسند أبى يعلى (٦/٢٦٩)، والجامع الصغير وزيادته (١/٣٩٢) وقال الشيخ الألبانى: (حسن) انظر حديث رقم: ٢١٤٩ فى صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة (٢/٦١٦).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/٢٢٦٨)، بلفظ: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا منصور عن ربعى بن حراش حدثنا أبو مسعود قال: قال النبى ﷺ **(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)**.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخارى فى صحيحه (١٣٠٦/٣)، ومسلم (١٨٠٩/٤)، و(العذراء) البكر سميت بذلك لأن عذرتها وهى جلدة البكارة باقية. و(خدرها) سترها، وقيل: الخدر ستر يجعل للبكر فى جانب البيت. والتشبيه بالعذراء لكونها أكثر حياء من غيرها والتقييد بقوله (فى خدرها) مبالغة لأن العذراء يشتد حياؤها فى الخلوة أكثر من خارجها لأنها مظنة وقوع المعاشرة والفعل بها. و(عرف فى وجهه) تغير وجهه ولم يواجه أحدا بما يكرهه فيعرف أصحابه كراهته لما حدث.

(٦) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٣٨٦/٢) بلفظ: عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: أخبرنى جبريل عن الله تعالى أن الله - عز وجل - يقول: وعزتى وجلالى ووحدانيتى وفاقة خلقى إلى واستوائى على عرشى وارتفاع مكانى إنى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام ثم أعذبهما ورأيت رسول الله ﷺ يبكى عند ذلك فقلت: ما يبكيك يا رسول الله فقال: بكيت لمن يستحى الله منه ولا يستحى من الله تعالى. لم يروه عن مالك إلا أبو سلمة الأنصارى تفرد به عنه يحيى بن خدام، إثبات صفة العلو (٦٥/١).

(٧) حسن: أخرجه الترمذى فى سننه (٦٣٧/٤)، والحاكم فى المستدرك (٣٥٩/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى فى التلخيص: صحيح، والمعجم الكبير للطبرانى (٢١٩/٣)، ومسند أبى يعلى (٤٦١/٨)، وشعب الإيمان (١٤١/٦)، الجامع الصغير وزيادته (٩٤/١) من حديث ابن مسعود قال الشيخ الألبانى: (حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٥ فى صحيح الجامع.

(٨) مصنف ابن أبى شيبة - (١٢٩/١)، الزهد لابن حنبل ص ١٩٨، فتح البارى لابن رجب - (٤٩/٢)، عمدة القارى شرح صحيح البخارى (٢٠٠/٦).

(٩) مصنف ابن أبى شيبة - (١٢٩/١).

(١٠) فتح البارى: (٦٨/١).

(١١) رياض الصالحين من ٣٠١-٣٠٢.

(١٢) المفردات ص ١٤٠.

(١٣) أخرجه البخارى فى صحيحه، برقم: (٦١١٧).

(١٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: ٢٧٩.

(١٥) الداء والدواء: ٩٦.

(١٦) أدب الدين والدنيا لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البارودى، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٩٣ هـ. س ٢٤١ - ٢٤٣ بتصرف.

(١٧) متفق عليه: أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٢٦٧/٥)، وصحيح مسلم (٦٤/١).

(١٨) فتح البارى: (٥٣٩/١٠).

(١٩) أخرجه البخارى (٢٢٦٨/٥).

(٢٠) فتح البارى: (٥٤٠/١٠).

(٢١) مفتاح دار السعادة ص٢٢٧.

(٢٢) متفق عليه: أخرجه البخارى فى صحيحه (١٢/١)، وصحيح مسلم (٦٣/١).

(٢٣) انظر: فتح البارى لابن حجر: (٦٨/١).

(٢٤) صحيح: شعب الإيمان للبيهقى (١٦٣/٥)، صحيح (١٧١١).

شرح بعض معانى الحديث:

قوله: **(إن الله إذا أنعم على عبد نعمة)** وهى كل ملائم تحمد عاقبته، و**(يحب أن يرى أثر النعمة عليه)** لأنه إنما أعطى عبده ما أعطاه ليبرزه إلى جوارحه ليكون مهابا بها مكرما فإذا منعه فقد ظلم نفسه وضيعها **(ويكره البؤس)**: وهو شدة الحال والفاقة والذلة، **(والتباؤس)**: إظهار الفقر وشدة الحاجة، **(ويبغض السائل الملحف)**: أى الملازم الملح **(ويحب الحيى العفيف)** أى المنكف عن الحرام والسؤال للناس، **(المتعفف)**: أى المتكلف العفة قال الحرالى: التعفف تكلف العفة وهو كف ما يبسط للشهوة من الآدمى إلا بحقه ووجهه وفيه أنه يندب لكل أحد بل يتأكد على من يقتدى به تحسين الهيئة والمبالغة فى التجمل والنظافة والملبوس بجميع أنواعه لكن التوسط نوع من ذلك بقصد التواضع لله تعالى أفضل من الأرفع إلا إن قصد به إظهار النعمة والشكر عليها كما اقتضاه هذا الحديث والتوسعة على العيال لكن بغير تكلف كقرض لحرمته على فقير جهل المقرض إلا إذا كان له ما يتيسر الوفاء منه إذا طولب.

انظر: فيض القدير (٢٠٢/٢).

(٢٥) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٤٩/٤)، ومسند الشهاب (١٦/٢).

(٢٦) الفتح (٥٣٨/١٠).

(٢٧) متفق عليه: أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٣٤/١)، وصحيح مسلم (٧١٥/٢).

(٢٨) فتح البارى (٦٦٠/٢).

(٢٩) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٦٥/٤) وقال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن عمر وأبى بكرة وأبى أمامة وعمران بن حصين هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (١٤٠٠/٢)، السلسلة الصحيحة للألبانى (٨٩٣/١).

(٣٠) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٣١) يعظ: هنا يعاتب.

(٣٢) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، الفتح ٧٤/١.

(٣٣) صحيح البخارى كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، الفتح: ٥١/١، ورواه كذلك أبو داود فى سننه، كتاب السنة، باب فى رد الأرجاء: ٤٣٢/١٢.

(٣٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان: (٦٣/١).

(٣٥) المرجع السابق.

(٣٦) أبو مسعود هو عقبة بن عمرو الأنصارى.

(٣٧) صحيح البخارى كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، الفتح ٥٢٣/١٠.

(٣٨) فتح المبين لشرح الأربعين، لأحمد بن حجر الهيتمى، مطبعة عيسى البابى الحلبى.

(٣٩) سنن الترمذى، صفة القيامة، باب ١٤، قال الترمذى: هذا حديث غريب، التحفة: ١٥٤/٧ - ١٥٥. وهذا الحديث قد رواه أيضاً أحمد فى مسنده: ٢٨٧/١ وقد رمز إليه السيوطى بالصحة، الجامع الصغير ٤٠/١.

(٤٠) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من لم يوجه الناس بالعتاب، الفتح ٥١٣/١٠.

(٤١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان: ١٨٦٦/٤.

(٤٢) مرط بكسر الميم وسكون الراء قيل: كساء من صوف، وقيل: هو الإزار، راجع شرح النووى على صحيح مسلم: ١٦٩/١٥.

(٤٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان ١٨٦٦/٤ - ١٨٦٧.

(٤٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٦١٤/١)، أسد الغابة (١٣٩٨/١)، وفتح البارى لابن حجر (٥٣٠/٨).

الغيبة والنميمة من الأمراض الخبيثة

فضيلة الشيخ: أحمد عبد اللطيف الكلحى

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات الآية ١٢).

إن الإسلام عالج الأمراض التى تصيب جسد الأمة وحماها من كل الأمراض حتى تحيا الأمة حياة طيبة بعيدة عن الأسقام والعلل. فالإسلام يعلم أن الصدور إذا أوغرت تغيرت وإذا تغيرت تحولت فكان علاج فالإسلام بالبُعد عن هذه المناطق المحرمة، فالغيبة هى أن تذكر أخاك بما لا يرضى وبمالا يتمنى أن يسمعه فلا يذكر الإنسان أخوه الإنسان بشىء يكرهه ولو كان هذا المُغتاب صادقًا فى وصفه. إنما النميمة فهى تُطلق على من ينقل قول الإنسان إلى أخيه ومنها قالة السوء وإفشاء الأسرار ومنها البُهتان والكذب والشائعات المغرضة والسعاية بين المسلمين واختلاق الكذب عليهم والله ذم الغيبة فى كتابه وسوء الظن وقُبح التجسس على الناس ونقل الكلام الذى يُفسد العلاقات بين الناس فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ سورة الحجرات الآية ٦، ولا بد أن نتساءل لماذا حرم الإسلام الغيبة والنميمة فالإجابة واضحة جاءت على لسان أحد الأعراب وكان أعرابيًا قح، قيل له: لماذا آمنت بمحمد ﷺ؟ فقال: إنى قد آمنت بمحمد ﷺ لأن محمداً ما أمرنى بشىء وقال العقل ليته ما أمر، وما نهانى محمد عن شىء وقال العقل ليته ما نهى.

فالإسلام يريد منك أن تكون عف اللسان عذب الحديث محب ومحبوب تألف وتؤلف ولا يكون ذلك إلا بالبُعد عن أخبار الناس والبُعد عن تتبع عوراتهم انظر إلى القرآن كيف يتكلم عن الغيبة ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الحجرات الآية ١٢. انظر واعتبر كيف صور القرآن الكريم صورة المُغتاب لأخيه المسكين الغافل الذى لا يدرى ما يدور من حوله وكأن المغتاب يأكل لحم أخيه وهو ميت، وماذا يعنى هذا بأنه يأكل من لحم أخيه بعد أن أصبح جيفة كريهة ولها رائحة منتنة فهل يطيب لأى مسلم أن يقبل على هذا الطعام السيىء الردىء وكأن القرآن الكريم يصور بأن الذى يغتاب الناس أصبح مثل الكلاب والطيور الجارحة التى تقبل على الرمم والجيف والعياذ بالله، فإذا أراد الذى كان يغتاب الناس أن يتوب ويرجع إلى الله فلابد أن يترك هذه الأشياء الخبيثة حتى يعود إنسانًا طاهرًا نظيفًا لا يتعاطى إلا الحلال المباح ولا يتكلم إلا بما يرضى الله عز وجل ويعلم بأنه مسئول عن كل كلمة يتكلم بها وعن كل لفظ يلفظ منه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ سورة ق آية ١٨؛ لأن الغيبة والنميمة من أعمال الشيطان فهى توغر الصدور وتقطع العلاقات وتدمر البرىء بالكذب لأن المؤمنين الطاهرين لهم أخلاق وسلوك فلا يظنون بأحد شرًا ولا يتهمون أحداً بسوء أو مكروه تبعًا لأهوائهم حتى يتبين لهم ذلك أو تظهر لهم بوادر الشقاق والشحناء ولذلك يرسل لنا النبى ﷺ إشارة كلها تحذير فقال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة امرئ مسلم ليفضحه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى عقر بيته»**. وقد صح فى كُتب السُنة أن جماعة حضروا مجلس رسول الله ﷺ فجعلوا يتحدثون والرسول يسمع فقال رجل من الحاضرين: إن فلانًا لا يطعم حتى يطعم ولا يحسن حتى يحسن إليه فلامهم النبى ﷺ على قولهم هذا فى حق أخيهم وقال لهم: والله لقد اغتبتموه فقال الرجل صاحب الغيبة: **يا رسول الله، إنما قلنا ما فيه من عيب ونقيصة، فقال النبى ﷺ: «يا هذا حسبك ذنبًا أن تذكر أخاك بما فيه»** ومعنى ذلك أن النبى كره

لأصحابه أن يذكروا إخوانهم بعيب أو قبيح حتى ولو كانت فيهم هذه القبائح أو هاتيك العيوب.

قال العتبى رحمه الله وكان من الحكماء المجيدين: مر على أبى وعندى رجل يغتاب صديقا لنا فنظر إلىّ نظرة شزراء ملئها الغيظ والغضب ثم قال لى ويحك وما قالها لى قبل ذلك قط فخفت غضبه وقلت له ما الذى أغضبك يا أبى فقال ينصحنى يا بُنى نزه سمعك عن الغيبة والخنا كما تنزه لسانك عن النطق بها فإن السامع شريك القائل واعلم يا بنى أن هذا المُغتاب الذى يجلس إلى جوارك قد عمد إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو كان خيرًا لكلمك بكلام الأخيار، ولو كان طاهرًا بارًا لأسمعك أخبار الأطهار والأبرار. واعلم أنه قد سعد بك بقدر ما شقيت به فلا تكن من جلسائه بعد اليوم فو الله ما فارقتنى نصيحة أبى.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: **«أربع يؤذون أهل النار على ما هم فيه من العذاب والجحيم وعلى ما ينادون به من الويل والثبور، وأهل النار يتأففون عنهم ويقولون: ما بال هؤلاء قد أذونا على ما نحن فيه من غساق وحميم فأولهم رجل مغلق عليه تابوت من جمر تجر أمعاءه يسيل فمه قيحًا ودمًا فيسأل عنه أهل النار فتقول لهم الملائكة إنه كان يغتاب المسلمين ورجل يتقطع لحمه ثم يعود فتذيبه النار فيسألون عنه الملائكة فيقولون إن هذا الرجل مات وفى عنقه أموال الناس وكان يستطيع سدادها ورجل قد وُكِلَ جبار من الزبانية بتعذيبه فيسألون عن الملائكة فيقولون إنه كان لا يستتزه من بوله ورجل يأكل الزقوم ويشرب الحميم فلا طعامه ينفذ ولا بطنه يشبع فيسألون عنه الملائكة فيقولون هذا رجل كان يستمع المغتابين ويلذه كلامهم كما يستلذ الرجل الرفث»**. وصح أن رجلا اسمه الأسلمى جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكى وينتحب من

السامع للغيبة شريك قائلها؛ لأنه ألقى إليه بأذنيه وشجعه على قوله

شدة البكاء ويصيح بأعلى صوته يا رسول الله قد أصبت حدا فاقمه على (أى قد زنيت) فأعرض النبى ﷺ عنه أربع مرات وتجاهل أمره حتى يعود من حيث جاء وحتى لا يقيم الرسول ﷺ عليه حد الزنا وكان حد الزنا فى حقه الرجم حيث أنه محصن متزوج ولكن الرجل أصر أن يطهر نفسه من رجس الشيطان واختار عقوبة الدنيا تطهره فى الدنيا قبل أن يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فلما رأى النبى ﷺ إصراره على الاعتراف بجريمته أقام عليه الحد ورجمه فلما فرغ النبى من رجمه سمع رجلاً يقول لصاحبه إن هذا أحمق فانظر إليه وقد ستر الله عليه فأبى ألا أن يفضح نفسه ويكشف ستره أمام الناس حتى رُجم مثلما يرجم الكلب فسكت النبى ﷺ عنهما حتى قاموا من هذا المجلس فصحب النبى ﷺ إلى وجهته وبينما هم فى الطريق إذا رأى النبى ﷺ كلبًا ميتًا على جانب الطريق فنظر النبى ﷺ إلى القائل والمستمع له وأشار إلى جيفة الكلب وقال لهما أتُحبان أن تأكلا من هذه الجيفة فغضب الرجلان وقالا يغفر الله لك يانبى الله ومن ذا الذى تطاوعه نفسه حتى يأكل من هذه الجيفة فأجابهم النبى ﷺ **«إنما نلتما من عرض الأسلمى آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة فو الذى نفسى بيده إن الأسلمى الآن ينعم فى رياض الجنة فقد طهره الله تطهيرا»** وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه يومًا: «**أتدرون من المُفلس ؟**» فقالوا: المُفلس من لا درهم له ولا دينار، فقال لهم النبى ﷺ: **«ذلك فى الدنيا وأما فى الآخرة فهو الذى يأتى يوم القيامة بصلاة كثيرة وزكاة وأعمال صالحة وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته ويعطى ذلك من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من حقوق الناس أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح فى النار»**.

أرأيت يا أخى كيف يحافظ الإسلام على حرمة المسلم مهما كانت الإساءة يسيرة ومهما كان صاحبها صغيرًا أو كبيرًا. إن الإسلام لا يُفرط فى حرمة المسلمين فى سعة وضيق ولا يستهن بها فى شدة ولا رخاء. وقبل أن نختم هذا الباب نود أن نشير إلى أقوام أباح الإسلام حرمتهم وأحل للمسلمين غيبتهم لأن الضرورة تقتضى ذلك وأول هؤلاء الذين أباح الإسلام الغيبة فيهم التظلم من طاغية جبار فلو توجه مظلوم إلى قاضٍ لينصفه جاز أن يقول فى حق ظالمه ما يوضح مظلمته ولا يعده الإسلام غيبة وتباح الغيبة عند تغيير

المُنكر، فلو رأينا رجالاً يصنعون منكرًا كشرب خمر مثلا جاز لنا أن نتكلم فى شأنهم ونغتابهم حتى نفضح أمرهم للناس أو يرجعوا عن مُنكرهم، وكما ذم الله الغيبة فى كتابه العزيز وسوء الظن وقُبح التجسس على الناس، ذم النميمة والسعاية بين المسلمين واختلاق الكذب عليهم ونقل البهتان عنهم وإلصاق التُهم بهم وهم منها أطهار وأبرياء، لم يرتكبوا إثمًا ولم يقترفوا ذنبًا ولم يأتوا منكرًا ولا قبيحًا وقد حذر الله عباده من خطر هؤلاء الأشرار المُفسدين وأمر بالبحث وراءهم والتحرى عنهم والتثبت من سلامة أقوالهم والكشف عن نواياهم السيئة وفضح مؤامراتهم الدنيئة، بل سماهم الله بالفاسقين المارقين تنبيهًا على ضررهم وتحقيرًا لشأنهم ولكى يخرج أضغانهم وأحقادهم، حتى لا يعودوا إلى الشر، ولا يحترفوا الكيد والإيقاع بين المسلمين، واستمع إلى قول الله تعالى فى شأن النمامين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ سورة الحجرات الآية ٦.

فكُن يا أخى المسلم عفيف اللسان نقى البيان بعيدًا عن حرمات المؤمنين وإذا رأيت عورة فاسترها، وتلك هى مناقب السلف الصالح من السابقين الأولين وتأمل هذا الحديث الشريف تجد فيه نور قلبك وهداية عقلك، فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «**من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم وسعى بهم إلى السلطان جىء به يوم القيامة أزرق العينين ينادى بالويل والثبور يعرفه أهله ولا يعرفهم**» وقيل لسعيد بن جبير: إنا لا نراك تعيب أحدًا فقال رضي الله عنه: لست عن نفسى براض فأتفرغ لذم الناس وفى هذا المعنى يقول أحد الحكماء.

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

ورحم الله كثير عزة فقد روي التاريخ أنه لما تغالى فى حُبها وأسرف فى وصف جمالها أثار أحقاد النساء عليها فتآمرن عليها وسعين إليه ليذكرن له الكثير من معايبها، فما كان جوابه على هذه السعاية إلا أن قال:

وسعى إلى بعيب عزة نسوة
جعل الإله خدودهن نعالها

وقال جعفر الصادق: النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها.

ولقد صدق أبو العتاهية فيما قال.... فما استعرت الفتن ولا اشتعلت الحروب ولا تفرقت الأهل ولا تباعدت الأقارب ولا تباغض الأزواج إلا والنميمة من وراء ذلك تضرم غيظ الفريقين تؤجج نار الطرفين فالسعاة الأوغاد والنمامون الوشاة لا يتركون أريحا صحيحًا ولا يسعدهم أن يروا أخوة متحابين ولا يهنيهم أن يتركوا جماعة مؤتلفين، بل لا تنام لهم عين ولا ينعم لهم بال ولا يقر لهم قرار إلا إذا شاهدوا الفتن محتدمة والصدور موغرة والخصومة على أشدها بين الأفراد والجماعات ولقد سماهم الإسلام بأسماء تناسب أفعالهم وخلع عليهم من صفات القُبح والنقص ما يليق بهم، فاستمع إلى قول النبى ﷺ فى حقهم: «**إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا يوم القيامة**» وها هو القرآن الكريم يصفهم بما هم أهله من الشناعة والتقبيح فيقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ سورة القلم الآيات ١٠ ـ ١٣.

ومعنى ذلك أن النميمة من صفات الأخساء والأدنياء والذين لا أخلاق لهم، وقد أبغضهم الله بقدر ما أبغضهم الناس، ويكفى أنهم أبعد الخلائق منزلة من رسول الله ﷺ يوم القيامة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**أقربكم منى منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، والموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وأبعدكم منى منازل يوم القيامة أراذلكم أخلاقًا المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة ....**» وحق للرسول ﷺ أن يبعدهم عنه، فقد أبعدتهم الناس عن مجالسهم وأقصوهم عن مجامعهم فلا يتكلم واحد من العقلاء أمامهم كلمة ولا يتفوه فى مجلسهم بخير ولا يذيع بين يديهم سرًا مكنونًا لأنهم لا يؤمنون على شىء من هذا فهم تجار أخبار ومذيعا أسرار وأنباء حتى وإن كانت هذه الأسرار من أخص أسرار المنازل والبيوت التى يضر نقلها ويحرم إفشاؤها.

دور الشعر فى المسيرة الإسلامية (٨)

محمد التهامى

تضطرب مسيرة الحياة بالناس وتأخذ خطواتها إلى الأمام وفيها من التقلبات ما لا يتمشى مع منطق الإنسان العادى، وكما قدمنا فإن المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام تناولته أحداث خطيرة ومضت به فى خطوات وإن بدت ظاهريًا وماديًا مفهومة؛ فإنها باطنيًا ومعنويًا تدق على الأفهام وتسير فى تناقض غير مستساغ يؤدى إلى قلق نفسى شديد يعيش فيه ويعبر عنه ويسجله الشعر الذى يعتبر أصدق مرآة لهذه الحياة التى أدت تقلباتها إلى أن تعطى زمام السلطان فيها بعد الخلفاء الراشدين إلى الأمويين الذى انتزعوه من الهاشميين المفروض فيهم أنهم أصحاب الحق الأصيل فيه ميراثًا عن النبى [، وقد بلغ الصراع ذروته بقتل سيدنا الحسين بن على وفاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم، ثم توالت خطوات هذا الطريق المعوج فانتزع بنو العباس أبناء العمومة السلطان وواصلوا اضطهاد العلويين، وواكب الشعر المسيرة بكل دقائقها وعاش مع الناس فيها وهو يتعمق الأمر ويقلبه على وجوهه المختلفة.

ومما برز فى هذه الآونة شعر الشاعر الكبير الشريف الرضى وهو قريب النسب إلى حد كبير من النبى ﷺ، والمتأمل فى شعره يستشف العناصر المتعددة التى شكلت المسيرة الحياتية فى وقتها، ومنها أن الكيان العلوى الذى عانى اضطهاد الأمويين ثم اضطهاد العباسيين قد ألف العدوان عليه، وتضاءل طمعه فى السلطان الدنيوى، وأصبح اعتماده أكثر على الصلة الروحانية التى تربط الأرض بالسماء، فهو شامخ روحانيًا ومعنويًا وإن كان لا يملك مالا ولا جاها ولا سلطانًا، وهذا العنصر واضح أشد الوضوح فى شعر الشريف الرضى، فهو يفخر بانتمائه العلوى وهو يحمل على الأمويين ويحمل على العباسيين حملات متعددة ضارية فيها الكثير من الحيرة والاضطراب؛ إذ يرى أن انتزاع الأمويين للسلطة يكاد يتمشى مع طابع الحياة العربية من تنازع الكيانات المختلفة، ولكنه فى حملته على العباسيين كان يبدى الكثير من العقاب المر؛ حيث إنهم كلهم هاشميون من أسرة واحدة ما كان ينبغى أن يمزقهم الصراع على السلطان، ولكن أقسى ما كان يقف عليه فى مسيرة الصراع هى مأساة مقتل الحسين سيد الشهداء.

ويميز الشريف الرضى بشكل عام أنه شاعر عبقرى مقتدر يمتاز شعره عن شعر غيره من الشعراء المعاصرين له وغير المعاصرين ببراعة الإبداع، كما تمتاز مواقفه بالفخر والاعتداد والشموخ، فهو يقول فى رثاء أمه:

آباؤكِ الغُـرُّ الّذين تَفَـجَّـرتْ
بِهِمُ ينابيعٌ من النَّعْـمـاءِ
مِنْ نـاصـرٍ للحقِّ أو داعٍ إلى
سُبُلِ الهُدَى أو كاشِفِ الغَمَّاءِ
مِنْ كُلِّ مُسْتَبِقِ اليدين إلى النَّدَى
ومُسـدَّدِ الأَقْـوالِ والآراءِ
يُرْجَى على النَّظرِ الحديد تكرّمًا
ويُخَافُ فى الإطْراقِ والإغْضَاءِ
دَرَجُوا على أَثَرِ القرُونِ وخَلَّفُوا
طُرُقًا مُعَبَّدةً مِنَ العَلْيَاءِ

وقال فى رثاء خاله أحمد بن الحسين:

ومـا المدْحُ إلاّ فى النَّبـى وآلِه
وَلاَ يَشْكُرُ النَّعْمَاءَ إلاّ المُهَذَّبُ
أرَى الشعْر فيهم بَاقِيًا وكأنما
تُحَلِّقُ بالأشعارِ عَنْقاءُ مُغْربُ
وقالوا عجيبٌ عُجْبَ مثلى بنفسه
وأين على الأيَّامِ مِـثْلُ أبِى أبُ
أعُد بِفَخْرى فى المَقَامِ مُحمَّدًا
وأدْعـو عليّـا للعلا حين أركَبُ

وفى عهد الأمويين حكم لمدة قصيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان فى حكمه وسيرته مخالفا لسياسة الحكام الأمويين وسلوكهم، وكان يحب العلويين ويعطف عليهم ويساعدهم سرّا حتى لا يغضب الأمويين، وقد نقل إلى الشريف الرضى أن جعفر الصادق قال: «كان العبد الصالح أبو حفص يهدى إلينا الدراهم والدنانير فى زقاق العسل خوفا من أهل بيته»، وقد تأثر الشريف الرضى بذلك، وقال شعرًا يصور هذا الموقف الدقيق بكل أبعاده وما فيه من تناقض دفع الشاعر إلى أن يمدح الخليفة عمر بن عبد العزيز ويهجو أسرته فى نفس الوقت، مما يدل على أن الشعر بكل ما يحمل من إيحاء كان يتابع تفاصيل الحياة المعاشة بكل دقة وإحاطة شاملة ورقة وإحساس صادق عميق فقال:

يا ابن عَبْدِ العَزيز لو بكت العَينُ فَتى مِنْ أُمَيَّةَ لبكيْتُكْ
أنت نَزَّهْتَنا عَنِ السَّبِّ والقَذْفِ فلو أمكن الجزَاءُ جَزَيْتُكْ
ولو أنّى رأيتُ قَبْركَ لاستَحيَيْتُ مِنْ أن أُرَىَ وما حَيَّيْتُكْ
أنتَ بالذِّكْرِ مِنْ عَيْنى وقَلْبى
إنْ تَدانيتُ مِنْكَ أو قد نَأيْتُكْ
وإذا حَرَّكَ الحَشَا خاطرٌ منك تَوهَّمْتُ أنَّنى قد رَأيْتُكْ
وعجيبٌ أنّى قَلَيْتُ بَنى مَرْوانَ ضُرّا وأنَّنى ما قَلَيتُكْ
فلو أنىّ مَلَكْتُ دَفْعًا لما نَابَكَ من طَارِقِ الرَّدَى لفدَيْتُكْ

وهنا تتجلى روعة الشعر حين ينطلق من أعماق النفس ويصور المشاعر الصادقة الدقيقة العذبة التى تتخطى أسباب العداوة والبغضاء وتبارك من يستحق الحب وتكرّمه وترتفع به عن مستويات العداوة والشحناء.

وقد وقف الشاعر طويلا عند مأساة مقتل الحسين التى أدمت قلبه وحركت مشاعره وكان وقودها انتماءه القريب للأسرة العلوية وتطلعه للثأر من الأمويين وحقده عليهم وما وصله من أخبار عن بشاعة المعركة ومحاولة التمثيل بالجثة، وقد صادف ذلك كله عمق مشاعر الشاعر وعبقريته ومقدرته الخارقة على التعبير.

ويقول الدكتور زكى مبارك فى كتابه «المدائح النبوية فى الأدب العربى» ص ١٥٨: (للشريف الرضى فى بكاء الحسين خمس قصائد طوال: الأولى رائية قالها فى سنة ٣٧٧، والثانية لامية قالها سنة ٣٨٧، والثالثة دالية قالها سنة ٣٩٠، والرابعة دالية أيضًا قالها سنة ٣٩٠، والخامسة مقصورة لم يذكر لها تاريخ).

ومأساة الحسين تتمحور حولها قضية العلويين وما نالهم من عدوان آثم على يد الأمويين ثم استمرار العدوان على يد العباسيين، ولها أبعاد كثيرة منها بشاعة القتل وسبى الحرائر من الهاشميات، ومنها اهتزاز خيوط النور التى تربط المسلمين كافة بالنبى ﷺ وعترته الطاهرة، ومنها فى موقفنا هذا عبقرية الشاعر ومقدرته الخارقة، ومن أمثلة ما قاله الشريف الرضى حول هذه المأساة فى الرائية:

كأنّ بيضَ المَوَاضى وهى تَنْهَبُهُ
نار تحكّمُ مِنْ جِسْمٍ من النّورِ
لِلّه مُلْقَى على الرّمْضَاءِ عض به
فَمُ الرّدَى بين إقْدامٍ وتَشْمِيرِ
تَحْنو عليهِ الرُّبَا ظِلاًّ وتَسْتُرُهُ
عَن النّوَاظِرِ أذْيَالُ الأعَاصِيرِ
تَهابُهُ الوحْشُ أنْ تَدْنو لمصرَعِهِ
وقد أقَامَ ثَلاثًا غيرَ مَقْبُورِ

ويشير الشاعر هنا إلى أن الجثة ظلت ملقاة ثلاثة أيام لم تدن منها الوحوش كأن الطبيعة كانت تحميها.

ويقول فى اللامية يصف مصرع الحسين:

قَبّلَتْهُ الرِّماحُ وانْتَضَلَتْ فيه المَنَايا وعانَقَتْهُ النُّصُولُ
والسَّبايا على النَّجائبِ تُستَاقُ وقد نَالتْ الجيُوبُ الذُّيولُ
مِنْ قلوبٍ يَدْمى بها نَاظرُ الوَجْدِ ومِنْ أدْمعٍ مَداها الهُمُولُ
قد سُلِبْنَ القِنَاعَ عَنْ كلِّ وَجْهٍ
فيه للصّوْنِ مِنْ قِنَاعٍ بَديلُ
وتَنقّبْنَ بالأنَاملِ والدَّمْعُ على كُلِّ ذى نِقَابٍ دَليلُ
وتَشَاكيْنَ والشّكَاة بُكاءٌ وتَنَادَينَ والنِّداءُ عَويلُ

ويضيف:

يا غريبُ الدِّيارِ صَبْرى غَريبٌ
وقَتِيلُ الأعْداءِ نَوْمى قَتيلُ
بى نِزاعٌ يَطْغَى إليك وشَوْقٌ
وغَرامٌ وزَفْرَةٌ وعَويلُ
ليت أنّى ضَجيعُ قَبرِكَ أو أنَّ ثَرَاهُ بِمَدْمَعى مَطْلُولُ

وفى قصيدته الدالية الأخرى يتناول أبعاد المأساة الإنسانية والدينية وصلتها بالنبى ﷺ فيقول:

شَغَلَ الدموعَ عَنِ الديارِ بُكاؤُنا
لِبُكاءِ فاطِمةٍ على أوْلادِها
كانَتْ مآتمُ بالعراقِ تَعُدّها
أمويّةٌ بالشّامِ مِنْ أعيَادِها
ما راقَبتْ غَضَبَ النبىِّ وقد غَدا
زَرْعُ النبىِّ مظَنَّةً لحَصادِها
باعتْ بصَائرَ دينها بضَلالِها
وشَرَتْ مَعَاطِبَ غَيِّها برشادِها
جعلتْ رسَولَ الله من خُصَمَائِها
فلبئسَ مَا ذَخَرتْ ليوم مَعَادِهَا
نَسْل النبىِّ على صِعابِ مَطِيِّها
ودَمُ النبىِّ على رُءوس صِعَادِها

الدين والحياة

- أمراض الصداع بين الطب والدين
- علم البصريات فى الإسلام

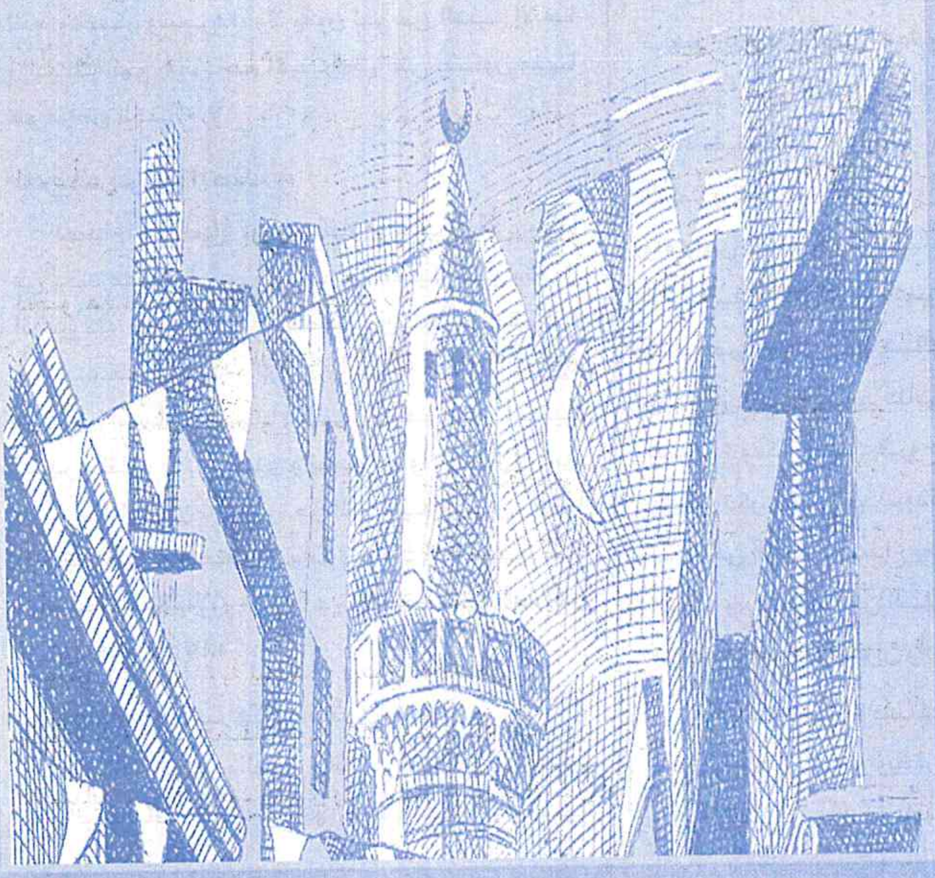

أمراض الصداع بين الطب والدين

د. عبد المعبود عمارة

الأمراض نوعان: مرض القلوب كما جاء فى قوله تعالى: ﴿فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ (سورة البقرة آية ١٠)، وقال تعالى: ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ (سورة المدثر آية٣١)، أما النوع الثانى: فهو مرض الأبدان كما جاء فى قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة آية ١٩٦).

وأمراض القلوب والأبدان ترتبط ببعضها، فكثير من مرضى القلوب يتأثرون صحيًا بأمراض كثيرة إذا ما انغمسوا فى الشهوات والملذات وحب الدنيا، فإن التوتر والعصبية والهلع والخوف والوساوس تكون من نصيبهم، وتصيبهم الأمراض العضوية كارتفاع ضغط الدم والسكر وغيرها، ولا يكون لهم من الدنيا إلا ما أراده الله لهم، ومن أهم الأعراض التى يشكون منها هو مرض الصداع.

تعريف مرض الصداع:

الصداع: هو ألم أو شعور بالقلق يصيب الرأس، ويبدأ فى أحد مناطق الرأس وينتشر تدريجيًا حتى يشمل الرأس كله، ومنه الصداع النصفى ويسمى الشقيقة ويصيب نصف الوجه والرأس، وأسباب الصداع كثيرة، ومن أهم أسبابها الصداع النفسى، وهو يحدث بسبب التوتر والقلق، واتباع الهوى والوساوس، والانشغال بالمادة، وجمع المال بدون أن يؤتى حق الله فيه ويقول: **﴿إنما أوتيته على علم عندى﴾**، وإذا قدمت له النصيحة **﴿أخذته العزة بالإثم﴾**، وإذا دخل جنته قال: **﴿ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾!!!**

وللصداع أسباب كثيرة أخرى منها:

إصابات الرأس والوجه وأمراض الفكين والأسنان، وهناك أسباب تنشأ من التهاب الأعصاب أو أغشية المخ أو الحبل الشوكى كما فى الحمى الشوكية المعروفة بالالتهاب السحائى، كما يؤدى زيادة الضغط داخل الجمجمة كما فى الأورام والنزيف والجلطات المخية - إلى الصداع، كما يحدث الصداع بسبب تمدد الأوعية الدموية ويسمى الصداع الوعائى، وارتفاع أو انخفاض ضغط الدم عن المعدل الطبيعى، ويحدث نتيجة وجود أمراض أخرى كأمراض العيون مثل الجلوكوما وهى زيادة ضغط العين وقصر النظر وطول النظر ومرض الأنف والجيوب الأنفية والتهاب الفقرات العنقية وأمراض الدم مثل الأنيميا وأمراض الكلى والأمراض العصبية كالصرع وبعض أمراض الغدد الصماء كأمراض السكر والإمساك المزمن والمعدة والقولون. وقد ذكر ابن القيم فى كتاب الطب النبوى أسبابا كثيرة للصداع وذكر منها: قروح تكون فى المعدة، ومن ريح غليظة تكون فى المعدة، وذكر نوعا يحدث من امتلاء المعدة من الطعام، وصداع يحدث من شدة الحر وسخونة الهواء، وما يحدث من السهر وحبس النوم، وما يحدث من شدة الجوع والأحزان والوساوس والأفكار الرديئة.

ويحدث الصداع بسبب التلوث البيئى من صرف صحى وتلوث سمعى وبصرى وضوضائى. ونحن ننادى بأن يتوقف الإنسان عن إفساد البيئة والإساءة إليها.

علاج الصداع:

إن علاج هذا الداء يعتمد أولا على علاج سبب الصداع وإجراء الأبحاث اللازمة بواسطة الأطباء المتخصصين لتحديد السبب وعلاجه، ويجب منع مصادر التلوث البيئى لخطورته على الصحة العامة، ومنع الضوضاء والتلوث البصرى والعمل على نظافة البيئة من الميكروبات والفيروسات والإشعاع لأنها تحدث أمراضًا خطيرة.

وإجراء الأبحاث لمعرفة أسباب الصداع كثيرة ويشترك فيها عدد من الأطباء كل فى مجال تخصصه، وذلك لفحص الفم والأسنان بواسطة المختص، وفحص الأنف والأذن والحنجرة وعمل أشعة على الجيوب الأنفية إن رأى المختص ذلك، كذلك يجب فحص قاع العين ومجال الرؤيا وعمل نظارات لطول النظر أو قصره إن لزم ذلك، كما يجب عمل أشعة على الجمجمة والتأكد من عدم وجود أورام فى الغدة النخامية مثلا، كما يجب الاطمئنان على عدم وجود أى اعتلال بالصدر أو البطن أو وجود إمساك، وعمل صورة دم للتأكد من عدم وجود أمراض بالدم أو أنيميا مثلا، وعمل وظائف الكبد والكلى ومستوى السكر وضغط الدم، وهذا كله يدخل فيما يسمى بالفحص الشامل إن رأى الطبيب ذلك.

علاج الصداع النفسى:

لقد ارتفعت فى هذه الأيام نسبة الصداع النفسى، وهذا يحدث نتيجة للتوتر والقلق والتطلع إلى الثروة وإلى جمع المال، وبعضه يحدث بسبب البطالة لدى بعض الشباب أو بسبب فقد المال أو الولد - والعياذ بالله - أو فقد المنصب أو عدم الشعور بالأمان والخوف. وهذا النوع من الصداع قد يستمر لأيام أو شهور، وعلاجه فى التعلق بالفضيلة والإيمان القوى بالله تعالى وبإرادته ومشيئته وأنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريده وأن ما عند الله خير للأبرار ولنا فى كتاب الله تعالى الأسوة والعلاج فى قوله: ﴿**ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ● الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون● أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ (الآيات من سورة البقرة ١٥٥-١٥٧).

إن التوكل على الله فى الأمور كلها، والإقبال عليه وترك ما يشغل الإنسان بالغد، فصاحب الغد أعلم بما فيه، والتمسك بفضيلة الصلاة والاستغفار والدعاء لقوله تعالى: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا● يرسل السماء عليكم مدرارا● ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾ (الآيات من سورة نوح ١٠-١٢).

والاستغفار والدعاء والصدقة من أسباب الشفاء بإذن الله بشرط الإقلاع عن الذنوب والتوبة الصادقة ورد المظالم إلى أهلها وعدم العودة إلى ما يغضب الله تعالى وطرد الدنيا من القلب وإحلال الإيمان فى القلب بدلا منها، وأفضل الدعاء ما أوثر عنه ﷺ مثل ما جاء فى حديث عائشة، قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها: «**عليك بالجوامع الكوامل، قولى: اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا برحمتك يا أرحم الراحمين**» أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عائشة رضى الله عنها.

المراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الطب النبوى لابن قيم الجوزية تعليق د/ عبد المعطى أمين قلعجى. دار التراث - القاهرة.

٣- إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى الجزء الأول دار الريان للتراث.

علم البصريات في الإسلام

د. أحمد عوف محمد عبد الرحمن

لا شك أن اليونانيين وغيرهم من الشعوب القديمة كان لهم اهتمام بعلم البصريات، وكان لهم فيه آثار طيبة اتكأ عليها العرب المسلمون عند ممارستهم لهذا العلم، فقد نقلوا عن اليونان آراءهم فى انكسار الضوء، والمرايا المحرقة وغيرهم، ولكنهم لم يقتصروا على مجرد النقل بل توسعوا وأضافوا إضافات مبهرة من ابتكاراتهم، واستطاعوا أن يسطروا فى علم البصريات تاريخًا مشرفًا.

ففى أول الأمر كانت البصريات الإغريقية تحوى رأيين متعارضين: **الأول:** هو الإدخال، أى دخول شىء ما يمثل الجسم إلى العينين، **والثانى:** الانبعاث، أى حدوث الإبصار، عندما تنبعث أشعة من العينين وتعترضها الأجسام المرئية.

وقد ظلت الحضارة الإغريقية تتناول البصريات بأخذ ورد بين هذين الرأيين، وكانت مجهودات أرسطو تفتقر إلى تفصيل حتمى، وكذلك إقليدس رغم مجهوداته الملموسة، إلا أن نظرياته كانت قاصرة على تقديم شرح كامل للإبصار، لأنها أغفلت العناصر الفيزيائية والفسيولوجية للظواهر البصرية.

ظلت البحوث فى علم البصريات تدور فى هذا الفلك السابق دون تقدم أو رقى، وبقيت على ذلك حتى جاءت الحضارة الإسلامية فكان لإسهامات المسلمين فى علم البصريات نسق آخر فريد؛ وذلك نظرًا لنبوغهم فى العديد من العلوم المرتبطة بهذا العلم مثل الفلك والهندسة الميكانيكية وغيرهما، إذ إن ابتكاراتهم قد تداخل فيها هذه العلوم.

فقد جاء الفيلسوف أبو يوسف الكندى(١)، والذى يُعد من أوائل العلماء المسلمين الذين طرقوا ميدان علم الطبيعة، فتناول الظواهر الضوئية وعالجها فى كتابه الشهير "علم المناظر"، وكان ذلك أول كتاب عربى يُعْنَى بعلم البصريات.

أخذ الكندى بنظرية الانبعاث الإغريقية، إلا أنه أضاف كذلك وصفًا دقيقًا لمبدأ الإشعاع، وصاغ من خلال ذلك أساس نظام تصورى جديد يحل فى نهاية الأمر محل نظرية الانبعاث، وكان لهذا الكتاب صدى فى المحافل العلمية العربية، ثم الأوروبية خلال العصور الوسطى.

ثم من بعده جاء الحسن بن الهيثم(٢) والذى تعد أعماله العلمية فتحًا جديدًا فى عالم البصريات وفسيولوجية الإبصار، وكانت أعماله هى الأساس الذى بنى عليه علماء الغرب جميع نظرياتهم فى هذا الميدان.

بدأ ابن الهيثم أولا بمناقشة نظريات إقليدس وبطليموس فى مجال الإبصار، وأظهر فساد بعض جوانبها، ثم فى أثناء ذلك قدم وصفًا دقيقًا للعين وللعدسات وللإبصار بواسطة العينين، ووصف أطوار انكسار الأشعة الضوئية، وهو أول من نوه باستخدام الحجرة السوداء التى تعتبر أساس التصوير الفوتوغرافى.

والكتاب الذى خلد اسم ابن الهيثم عبر القرون هو «كتاب المناظر»، و «كتاب البصريات»، ويوضح هذا الكتاب تصور البصريات كنظرية أولية فى الإبصار، مختلفة جذريًا عن فرض الشعاع المرئى الذى حافظ عليه التقليد الرياضى منذ إقليدس وحتى الكندى.

ولقد أدخل ابن الهيثم أيضا منهجية جديدة على هذا التفسير لعملية الإبصار، وبهذا تمكن من صياغة مسائل كانت إما غير مفهومة طبقا لنظرية الشعاع البصرى، أو مهملة من جانب فلاسفة يهدفون أساسًا إلى تفسير ماهية الرؤية أكثر من اهتمامهم بشرح كيفية حدوث الإبصار.

يقـول الأسـتـاذ مـصطفى نظيف فى تصـديره لكتـاب الأسـتـاذ قـدرى طوقـان (الخـالدون العـرب): "لقـد قلب ابن الهـيثم الأوضـاع القـديمـة، وأنشـأ علمًـا جـديدًا أبطل فـيـه علم المناظر الذى أنشأه اليونان، كما أنشأ علم الضوء الحديث، وإن أثره فى الضوء لا يقل عن أثر (نيوتن) فى الميكانيكا، فإن عُـدّ (نيوتن) بحق رائد علم الميكانيكا فى القرن السابع عشر فإن (ابن الهيثم) خليق بأن يُعد بحق رائد علم الضوء فى مستهل القرن الحادى عشر".

اعـتـمـد ابن الهـيـثم فى بحـوثه على منهـجين همـا: منهج الاسـتـقـراء، ومنهج الاستنبـاط، وفى الحـالين كان يعتمد على التـجـربة والملاحظة، وكـان همـه من وراء البحث هو الوصول إلى الحقيقة التى تثلج صدره، وقد حدد الرجل هدفه من بحوثه، وهو إفادة من يطلب الحق ويؤثره فى حياته وبعد مماته.

وكان ابن الهيثم يرى أن تضارب الآراء هو الطريق الوحيد لظهور الحقيقة، وقد جعل من التجربة العملية منهاجًا ثابتًا فى إثبات صحة أو خطأ النتائج العقلية أو الفرضيات العلمية، وبعد ذلك يحاول التعبير عن النتيجة الصحيحة بصياغة رياضية دقيقة.

تقول زيغريد هونكه: "والواقع أن روجر باكون، أو باكوفون فارولام، أو ليوناردو دافنشى، أو جاليليو، ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمى، إنما السابقون فى هذا المضمار كانوا من العرب، والذى حققه ابن الهيثم لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث، بفضل التأمل النظرى والتجربة الدقيقة".

كان ابن الهيثم غزير التأليف متدفق الإنتاج فى شتى أنواع المعرفة، فطرق الفلسفة والمنطق والطب والفلك والبصريات والرياضيات. وفى البصريات ألف ابن الهيثم ما يقرب من أربعة وعشرين موضوعًا ما بين كتاب ورسالة ومقالة، غير أن أكثر هذه الكتب قد فُقِدَ فيما فُقِدَ من تراثنا العلمى، وما بقى منها فقد ضمته مكتبات إسطنبول ولندن وغيرهما، وقد سلم من الضياع كتابه العظيم "المناظر" الذى احتوى على نظريات مبتكرة فى علم الضوء، وظل المرجع الرئيسى لهذا العلم حتى القرن السابع عشر الميلادى بعد ترجمته إلى اللاتينية.

وقد نجح ابن الهيثم وهو بمصر فى تطوير علم البصريات بشكل جذرى، وذلك حين برهن رياضيّا وهندسيّا على أن العين تبصر وترى بواسطة انعكاس الإشعاعات من الأشياء المبصرة على العين وليس بواسطة شعاع ينبثق من العين إلى الأشياء، وبذلك أبطل ابن الهيثم النظرية اليونانية لكل من إقليدس وبطليموس، التى كانت تقول بأن الرؤية تحصل من انبعاث شعاع ضوئى من العين إلى الجسم المرئى.

اعتمد ابن الهيثم فى بحوثه على منهجى الاستقراء والاستنباط اعتمادًا على التجربة والملاحظة

كذلك برهن ابن الهيثم رياضيّا وهندسيّا على كيفية النظر بالعينين معا إلى الأشياء فى آن واحد دون أن يحدث ازدواج فى الرؤية برؤية الشئ شيئين، وعلل ابن الهيثم ذلك بأن صورتى الشئ المرئى تتطابقان على شبكية العينين، وقد وضع ابن الهيثم بهذه البرهنة وذلك التعليل الأساس الأول لما يعرف الآن باسم الاستريسكوب.

وكان ابن الهيثم أول من درس العين دراسة علمية، وعرف أجزاءها وتشريحها ورسمها، وأول من أطلق على أجزاء العين أسماء أخذها الغرب بنطقها أو ترجمها إلى لغاته.

وخلاصة القول: إن ما أتى به ابن الهيثم قبل أكثر من ألف عام شئ كثير يستحق أن ينحنى العلماء أمامه إجلالاً واحترامًا فهو بحق أكبر فيزيائى عربى، وكتابه فى البصريات تضمن أول وصف صحيح للعين بأخلاطها المائية وجسمها البللورى وقرنيتها وشبكيتها وغرفتها المظلمة.

وصفه جورج سارطون ـ وهو من كبار مؤرخى العلم ـ بقوله: "هو أعظم عالم فيزيائى مسلم، وأحد كبار العلماء الذين بحثوا فى البصريات فى جميع العصور". ووصفه أرنولد فى كتاب "تراث الإسلام" يقول عنه: "إن علم البصريات وصل إلى الأوج بظهور ابن الهيثم".

وقد سحرت بحوث ابن الهيثم فى الضوء "ماكس مايرهوف" وأثارت إعجابه إلى درجة جعلته يقول: "إن عظمة الابتكار

الإسلامى تتجلى لنا فى البصريات". أما دائرة المعارف البريطانية فقد وصفته بأنه رائد علم البصريات بعد بطليموس.

وتقول زيغريد هونكه الألمانية[٣]: "كان الحسن بن الهيثم أحد أكثر معلمى العرب فى بلاد الغرب أثرا وتأثيرا..".

والحقيقة أن ابن الهيثم لم يكن وحده فى هذه الحلبة، فقد أتى من بعده علماء مسلمون أفذاذ اقتفوا أثره وساروا على دربه، بل وقدموه للعالم بعد أن لم يكن قد لمع نجمه!!

ومثل ابن الهيثم وغيرهم الكثير من العلماء المسلمين الذين اتصفوا بالموسوعيين، فإن البيرونى[٤] يكاد يكون قد ألَّف فى كل فروع المعرفة التى عهدها عصره، فقد كتب فى الرياضيات والفلك والتنجيم والحكمة والأديان والتاريخ والجغرافيا والجيولوجيا والأحياء والصيدلة، وفى مجال الطبيعيات.

وفيما يختص بسريان الضوء فقد فطن البيرونى إلى أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت، واتفق مع ابن الهيثم وابن سينا فى قولهما بأن الرؤية تحدث بخروج الشعاع الضوئى من الجسم المرئى إلى العين وليس العكس، كما يقرر أن القمر جسم معتم لا يضىء بذاته وإنما يضىء بانعكاس أشعة الشمس عليه، وكان البيرونى يشرح كل ذلك بوضوح تام، ودقة متناهية فى تعبيرات سهلة لا تعقيد فيها ولا التواء.

كذلك عُنِىَ كمال الدين أبو الحسن الفارسى بدراسة علم الضوء، وكان يسمى فى ذلك العصر بـ "علم المناظر"، وانصرفت عنايته بصفة خاصة إلى ما يتعلق بكيفية إدراك صور المبصرات بالانعطاف، ولم يجد فى كتاب إقليدس فى المناظر، ولا فى كتب الفلاسفة بغيته فى موضوع الانعطاف، فذهب إلى أستاذه نصير الدين الطوسى يسأله عن رأيه فى هذا الموضوع.

وكان من أهم إنجازات كمال الدين الفارسى دراسته لكيفية انعكاس الضوء والإبصار فى كرة مشفة واحدة، وفى كرتين مشفتين، وقد أوضح كمال الدين الفارسى بعض مظاهر الخداع البصرى، حين صبغ وجه حجر الطاحون بعدة ألوان وأداره بسرعة فوجد أنه لا يظهر إلا لونٌ واحدٌ لامتزاج الألوان. وطور نظرية قوس قزح، ووضع لها الشكل النهائى فى التراث العربى العلمى ليعلل أمرين فيه هما: الأول: الهيئة التى يظهر عليها قوس قزح فى السماء كقوس أو كقوسين متحدى المركز، والثانى: الألوان وترتيبها فى كل من القوسين، وقد أضاف الفارسى بنظريته إضافة علمية جديدة لعلم الضوء لم يسبقه إليها ابن الهيثم، وسبق بنظريته هذه بحوث ديكارت ونيوتن عن قوس قزح.

كان ابن الهيثم يرى أن تضارب الآراء هو الطريق الوحيد لظهور الحقيقة

وكمال الدين الفارسى هو أول مَن تكلم عن نظرية الضوء الموجية، وله اهتمامات ببعض الظواهر الفلكية مثل: الشفق، والسمت، ودائرة البروج.

ومن أهم مصنفات كمال الدين الفارسى: تنقيح المناظر لذوى الإبصار والبصائر، والهالة وقوس قزح، ومقال: رسالة فى أمر الشفق.

الهوامش

(١) الكندى: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (١٨٥-٢٥٦ هـ/ ٨٠٥-٨٧٣م)، يُعَدُّ - كما يصنفه الكثيرون - مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية، وكان كمعظم علماء عصره موسوعيا، فهو رياضى وفيزيانى وفلكى وفيلسوف، إضافة إلى أنه موسيقى، كما يعتبر واضع أول سلم للموسيقى العربية.

(٢) هو المهندس البصرى أبو على الحسن بن الهيثم، من أصل عربى، وجده الأعلى "الهيثم" أى "فرخ النسر"، معروف عند الأوروبيين بـ(الخازن Alhazen)، ولقب ببطليموس الثانى، وهو عالم موسوعى من أعظم علماء الرياضيات والفيزياء ومؤسس علم البصريات، وأتقن الطب وصنف فيه لكنه لم يمارسه، وكان دائماً يقول: "وإنى ما مُدَّت لى الحياة، باذلاً جهدى، ومستفرغًا قوتى فى مثل ذلك (يقصد الدراسة وتحصيل العلوم)، متوخيًا منه أمورًا ثلاثة: أحدها إفادة من يطلب الحق ويؤثره فى حياتى وبعد مماتى، والآخر أنى جعلت ذلك ارتياضًا لى بهذه الأمور فى إثبات ما يتصوره ويتقنه فكرى من تلك العلوم، والثالث أنى صيّرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم». ولد فى البصرة عام ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥م عاش فيها حياته الأولى، وكان فى طفولته عازفًا عن اللهو مع أقرانه، مقبلاً على القراءة والاطلاع، كثير التساؤل، حيث اهتم بتحصيل العلم والإلمام بما وصلت إليه الفلسفة والعلوم التعليمية، بل والعلوم الطبية أيضا.

(٣) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٤٦، ١٥٠.

(٤) كان البيرونى (٣٦٣-٤٤١هـ) ثالث ثلاثة - بعد ابن سينا وابن الهيثم - ازدهرت بهم الحضارة العربية الإسلامية فى الفترة من منتصف القرن الرابع الهجرى إلى منتصف القرن الخامس الهجرى، ويذهب بعض مؤرخى العلوم مثل الألمانى إدوارد سخاو إلى أن البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ.

القدس حاضرة الأديان فى رحاب الإسلام

- حاضر القدس بين المنظور القريب والبعيد
- تهويد القدس

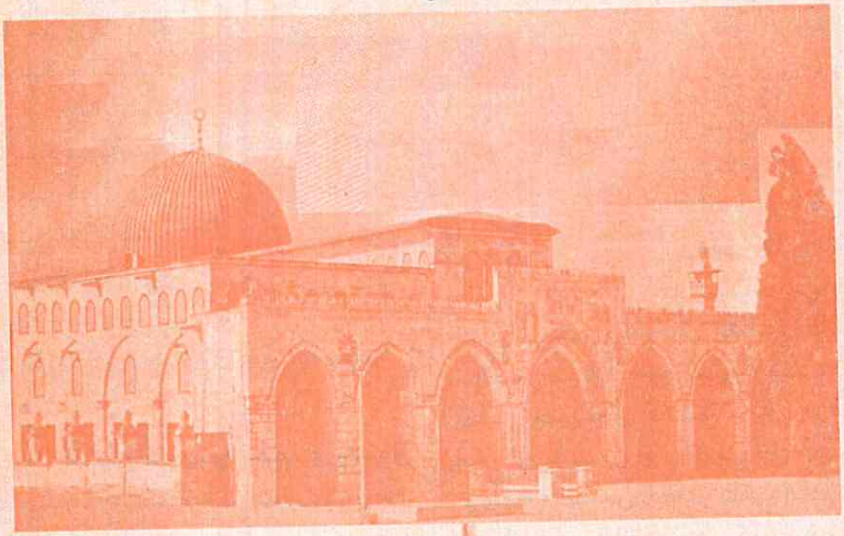

نادت بالتصدى لمحاولات تهويد المدينة المقدسة

ندوة علمية تناقش مستقبل القدس فى المنظور القريب والبعيد

ستظل القدس دومًا وأبدًا حية فى ضمير ووجدان كل عربى ومسلم تنبض بها قلوبهم وتتعلق بها أفئدتهم، مهما حاولت الأيدى الآثمة تغيير معالمها أو طمس هويتها، ومهما تآمر المتآمرون على قهر أهلها أو الخلاص منهم، بمؤامرات تحاك لهم بليل أو تدبر لهم فى غفلة من الزمان.

فالقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ لا يمكن لمسلم أو عربى أن يتنازل أو يتراجع قيد أنملة عن الدفاع عن قضيتها والتصدى لمحاولات طمس هويتها، بكل وسائل الجهاد المادية والمعنوية والفكرية. وإزاء المحاولات اليهودية الصهيونية لتهويد مدينة القدس وفرض الأمر الواقع على ساكنيها وعلى كافة الشعوب العربية والإسلامية عقدت لجنة الفكر الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ندوة بعنوان «مستقبل القدس فى المنظور القريب والبعيد» تحت رعاية الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وزير الأوقاف. إيمانًا منهم بضرورة أن تبقى جذوة القضية مشتعلة فى وجدان كل عربى ومسلم.

«قضية كل المسلمين»

فى البداية تحدث الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وزير الأوقاف - موضحًا أن قضية القدس تشغل بال المسلمين منذ البعثة المحمدية وحتى يومنا هذا لأنها جزء أساسى من موروثات الأمة التى لا يتهاون فى الحفاظ عليها أحد. مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾** (الإسراء: ١).

وهى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهى ليست قضية فلسطينية ولا عربية فحسب بل هى قضية كل مسلم على هذه الأرض.

وقال: إن القدس قد مرت بفترات وحقب دامية، لعل أخطرها تلك الحقبة التى استولى خلالها الصليبيون على بيت المقدس وقتلوا كل من فى المدينة من أبنائها الذين يبلغون سبعين ألف نسمة، وبعد ما يقرب من قرن من الزمان استردها صلاح الدين الأيوبى، لكنه لم يفعل بهم مثلما فعلوا بأهلها وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم دون أن ينتقم منهم، متمثلاً بموقف الرسول ﷺ من أهل مكة عند فتحها والذى قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

«ستون عامًا دون حل»

وأكد الوزير أنه لا توجد قضية فى العصر الحديث ظلت لأكثر من ستين عامًا دون حل سوى قضية القدس والقضية الفلسطينية، فالعالم يسارع إلى حل أى قضية تنشب هنا أو هناك، ولكنه يغض الطرف عن قضية القدس وحتى عندما يقترب الحل - كما يقول - تخرج علينا أصوات ترفض الحل سواء كانت من بيننا أو من الخارج.

> **د. محمود حمدى زقزوق:**
> **قضية القدس جزء أساسى من موروثات الأمة التى لا تهاون فى الحفاظ عليها.**

«اختزال القضية»

وقال الدكتور **زقزوق**: لقد طرحت منذ ما يربو على عشر سنوات مبادرة فى هذه القضية التى لا يجوز لنا أن نتغافل عنها ونعمل من أجلها، ليس بمجرد الكلام وإنما بالعمل المخلص وبالحلول العملية، وكانت رؤيتى تقوم على تنظيم رحلات حج سنوية لآلاف المسلمين إلى بيت المقدس حتى تظل القضية حية ويعرف العالم كله أننا لا يمكن أن نتهاون أو نتراجع عن عروبة القدس، ولكنى اتهمت وقتها من البعض بأننى أنادى بالتطبيع وللأسف اختزلنا قضية القدس فى كونها قضية فلسطينية، ولا تزال الحفريات تحت المسجد الأقصى تجرى على قدم وساق، والمستوطنات تبنى حولها ونحن لا نتحرك إلا بالشعارات.. كفانا مزايدات على أقدس المقدسات، ولنبحث عن حلول عملية، ولنقف وقفة صامدة حتى يعلم العالم كله أن قضية القدس قضية العالم الإسلامى كله.

إننا فى حاجة ماسة إلى يقظة وصحوة وتوحد حتى يمكن للأمة أن تنهض فى عالم لا يحترم إلا القوة.

«مدينة فريدة»

أما الدكتور محمد الشحات الجندى - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - فقد طرح رؤيته حول

القدس من المنظور الحضارى، مؤكدًا أنها قضية تثير شجون وعواطف كثيرة، وقد أطلق عليها زهرة المدائن نظرًا لمكانتها السامية فى النفوس، وهى قضية تستحق أن يحتشد لها العالم الإسلامى كله، وهى مدينة تنفرد دون سائر المدن بأنها تجمع معالم يهودية ومسيحية وإسلامية، مشيرًا إلى أن المسلمين قد حافظوا على التراث اليهودى والمسيحى، ولم يعتدوا على أماكنهم المقدسة لتكون المدينة لجميع الأديان، وأن الحكم الإسلامى للمدينة استمر قرونًا عديدة، وظلت القدس عاصمة للدولة الفلسطينية وللدولة الإسلامية حافظت خلالها على مقدسات الأديان الأخرى. لكن مع صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ سيطرت إسرائيل على الجزء الغربى من القدس تحت مسمى (القدس الغربية) كانت الانتكاسة الكبرى حين سيطرت إسرائيل على كامل القدس بعد حرب ١٩٦٧، مؤكدًا أن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى قامت على أسس دينية حتى تجذب اليهود من كل أنحاء الدنيا.

«الأرض المباركة»

وأوضح الدكتور الجندى أن للقدس مكانة سامية فى الإسلام فقد نزلت سورة كاملة باسم سورة الإسراء، تؤكد على أن هذه الأرض التى أسرى إليها الرسول ﷺ، وعرج منها هى أرض مباركة، كما ورد العديد من الأحاديث التى تشير إلى هذا المعنى؛ فمكانة القدس فى نفوس المسلمين لا يمكن أن يشكك فيها أحد، ولا أن يزايد عليها أحد.

«تسامح إسلامى»

وحذر الدكتور الجندى من الممارسات اليهودية التى تهدف إلى تهويد مدينة القدس منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا، ففى عام ١٩٦٩ اندلع الحريق الكبير فى المسجد الأقصى وثارت ثائرة المسلمين فى العالم كله، لكن سرعان ما تناسينا ذلك - كما يقول - كما أن أعمال الحفر تجرى على قدم وساق تحت جدران المسجد الأقصى، على عكس موقف المسلمين المتسامح مع كل الأديان، فقد رفض الخليفة العادل عمر بن الخطاب الصلاة فى كنيسة القيامة حتى لا يقلده غيره من المسلمين فى ذلك، كما كتب للمسيحيين ما يُسمى بالعهدة العمرية التى أمنهم فيها على مقدساتهم وحريتهم فى أداء شعائرهم.

كما أن المسلمين لم يغيروا أبدًا مكانًا واحدًا كان مخصصًا لعبادتهم.

«التوحد بداية الطريق»

ودعا الأمين العام إلى تكاتف العرب والمسلمين للتصدى لكل الهجمات والمحاولات البربرية لتهويد مدينة القدس، وأن البداية ينبغى أن تكون بالإسلام والتوحيد بين الأخوة الفلسطينيين بعضهم مع بعض فى مواجهة اليهود الذين يوحدون جهودهم تحت مسمى الكفاح المجيد من أجل دولة إسرائيل.

د. محمد الشحات الجندى:

أدعو لعقد مؤتمرات عربية وإسلامية تخصص لمناقشة القضية وبحث تداعياتها.

وتساءل لماذا لا تعقد مؤتمرات قمة عربية تخصص لمناقشة قضية القدس وبحث تداعياتها، من أجل توضيح الصورة أمام العالم كله بعدالة قضيتنا.

«الضعيف يحاكى القوى»

وحذر الدكتور زكى بكر عوض - الأستاذ بجامعة الأزهر - من الانسياق دومًا خلف المقولات والمصطلحات التى يرددها البعض حول قضية القدس والتى من شأنها أن تغير مسار القضية؛ فسُنة الله فى خلقه أن الضعيف يحاكى القوى فى أقواله وأفعاله اقتناعًا أو مداراة، فقد كانت تدعى القضية منتصف القرن الماضى بمشكلة الشرق الأوسط، ثم دعيت بعد ذلك بمشكلة الصراع العربى الإسرائيلى، ثم بالمشكلة الفلسطينية الإسرائيلية، ثم مشكلة القدس، والصراع الإسرائيلى مع حماس إلى آخر تلك المسميات، ولكنها لم تدع فى يوم من الأيام بالصراع الإسلامى اليهودى رغم أن المسلمين جميعًا طرف فى هذا الصراع. وفى الماضى كان يتحرك لهذه القضية مسلمون من مشارق الأرض ومعاربها.

«المواجهة بالعقيدة»

وشدد الدكتور بكر عوض على أن المواجهة مع العدو الصهيونى يجب أن تتغير من الاعتماد بالدرجة الأولى على القومية العربية أولا ثم الدين ثانيًا، لتصبح المواجهة بالدرجة الأولى تقوم على الدين أولا ثم القومية العربية لعدد من الأسباب المهمة..

د. بكر زكى عوض:

ينبغى أن يكون البعد الدينى حاضرًا بالدرجة الأولى فى أى مواجهة مع العدو الصهيونى.

أولا: جعل القضية إسلامية يزيد من ثقلها على المستوى العالمى.

ثانيًا: يجعل المسلمين فى جميع قارات العالم يتحملون تبعتهم تجاه هذه القضية.

ثالثًا: جعل القضية دينية يجعل للنص القرآنى والحديث النبوى الشريف كبير الأثر فى المعاهدات والعقود والفتاوى والأحكام وهو ما نفتقده فى وقتنا الراهن.

رابعًا: أن الأصل فى المواجهة المماثلة، فالعقيدة لا تقابل إلا بعقيدة أخرى، فإذا أضيف إلى العقيدة سلاح؛ فينبغى أن يضاف إلى عقيدة المسلم السلاح؟ والعقيدة بلا سلاح لا تنهض والسلاح بلا عقيدة لا يثبت، والجمع بينهما يكسب النصر إذا التمست أسبابه.

خامسًا: المحرك الأول للوجود اليهودى هو الدين، والرابط الأساسى بين اليهود فى مشارق الأرض ومغاربها هو العقيدة، والعروض التى قدمت لليهود فى وطن لهم كثيرة، إلا أنهم أبوا إلا هذه الأرض على أسس دينية «الخط التوراتى».

سادسًا: يشكل اليهود اليمنيون مركز الثقل فى الكيان الإسرائيلى ولذلك لم تخرج جميع الحكومات مهما كانت مسمياتها عن الخط التوراتى.

سابعًا: فى ذات الوقت الذى يفسد فيه البعد الدينى بحق القدس داخل إسرائيل وخارجها؛ نرى البعد الدينى عندنا يفسر تفسيرات شتى، وتصدر الفتاوى بحق القائمين بعمليات فدائية متضاربة؛ فالبعض يراهم شهداء، ويراهم آخرون منتحرين.

ثامنًا: معظم اللجان التى انشأت لنصرة فلسطين وبيت المقدس على أسس دينية لا تلبث أن تضعف بمضى الزمن وبعضها لا يجتمع إلا كل فترة تزيد على العام، وفى نفس الوقت نرى أن اليهود لا يكتفون بالجماعات السابقة، بل ينشئون كل فترة جماعة أو جمعية على أساس دينى لنصرة اليهود فى حقهم المزعوم كما يدعون؛ فمن الحركة الصهيونية إلى جمعية شهود يهود إلى الحركة الماسونية، ومن جمعية بنات برث إلى حراس المعبد أو الهيكل، ومن الأصولية اليهودية إلى الأصولية المسيحية، ومن حركة كاخ إلى حركة شاس إلى حزب إسرائيل بيتنا، ومن رباط داخلى ببقايا الهيكل كما يزعمون إلى إقناع خارجى، فقلما جاء مسئول غربى خلت زيارته من التوجه إلى حائط المبكى إحياء لذكرى هيكل سليمان، فى الوقت الذى لم نر فيه من المسئولين العرب المسلمين من زار بيت المقدس إلا قليلاً، ليكسب هذا المسجد رباطًا قلبيًا بين رعيته وبين هذا المسجد، فالناس على دين ملوكهم.

«دحض المزاعم بالشواهد العلمية»

وتناول الدكتور يحيى وزيرى - أستاذ الآثار الإسلامية - قضية القدس والتأكيد على عروبتها من منظور علمى يدحض مزاعم الصهاينة فى المدينة باعتماده على نصوص بالية تدعى أن هيكل سليمان يقع أسفل المسجد الأقصى وطارحًا سؤالاً: هل يمكن عن طريق العلم أن نثبت أن هذه المنطقة كانت مسجدًا منذ أقدم العصور؟

> **د. يحيى وزيرى:**
> **صور الأقمار الصناعية تؤكد أن المحور الطولى للمسجد الأقصى يشير إلى مكة المكرمة.**

وأجاب: إن الصور التى أخذت للمسجد الأقصى عن طريق الأقمار الصناعية أكدت أن المحور الطولى للمسجد يشير إلى مكة المكرمة التى هى قبلة المسلمين فى شتى أنحاء العالم.

ومن المعروف أن أسوار القدس الشريف الحالية كانت موجوده منذ عهد هيردوس العظيم المتوفى عام ٤ ق.م، وهو ما كشفت عنه الحفريات التى وصلت إلى أعماق تزيد على ٢٠ مترًا بقيادة تشارلز واين وهو ما يؤكد أن المحور الرئيسى لبيت المقدس يتجه لمكة المكرمة قبل الفتح الإسلامى لبيت المقدس بحوالى ٦٠٠ عام.

«النسبة الذهبية»

وقال: إن هناك أوجه كثيرة للتشابه بين الكعبة والمسجد الأقصى ومن ذلك أن كلا البنائين كان مكشوفًا ودون سقف قبل أن تغطى الكعبة بسقف فى العهد القرشى، كذلك وجد أن أبعاد كل من الكعبة والمسجد الأقصى يندرجان تحت مسمى مختلف الأضلاع أى لا يوجد ضلع يساوى ضلعًا آخر، وأن النسب الهندسية هى نسبة واحدة وتسمى بالنسبة الذهبية لأنها أكثر نسبة تريح العين.

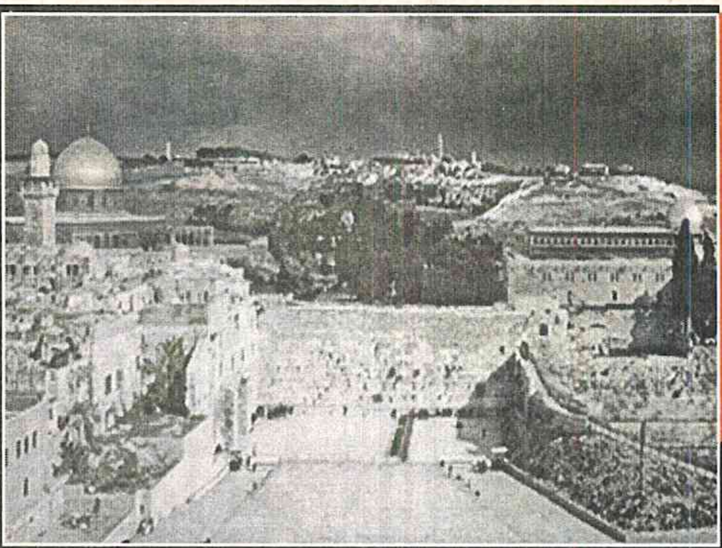

تهويد القدس

د. ربيع خليفة عبد الصادق بيومى

إن تاريخ تهويد المدينة المقدسة مسلسل طويل مرير، سطره اليهود بالغش والخداع، وقابله العرب فى كثير من الأحيان بالغفلة والضعف والخنوع، فكان تاريخا أليما وواقعا زائفا ابتدأ بوعد بلفور ولم تنته فصوله بعد، وفيما يلى موجز مسلسل التهويد:

١ - بدأ اليهود بوضع خطة الإستيلاء على المدينة المقدسة ضمن المخطط العام لاحتلال فلسطين ما بين عامى (١٩٤٧ - ١٩٦٧م ، بوعد بلفور ابتداءً، ثم بتدويل قضية القدس، ثم بتسهيل إحتلال معظم قطاعات المدينة قبل انتهاء الانتداب البريطانى رسميا، وكانت مذبحة دير ياسين إحدى الخطوات التى فرضت الهجرة العربية، وإحدى وسائل الإرهاب الذى مارسته إسرائيل لترويع أصحاب الأرض الأصليين.

٢ - استندت إسرائيل إلى قانون أموال الغائب (١٩٥٠/٣/٣١م) الذى صادرت بموجبه كل أملاك اللاجئين الفلسطينيين وهجَّرتهم.

٣ - حرمت السلطات الإسرائيلية اللاجئين من حق العودة طبقا لقرار الجمعية العامة ذى الرقم (١٩٤)، فى حين فتحت باب الهجرة اليهودية.

٤ - عمدت الحكومة الإسرائيلية بحجة توحيد المدينة إلى هدم السور الجديد الذى كان يفصل بين شطرى المدينة، واستمرت فى استكمال خطتها ونقلت الوزارات العاملة فى تل أبيب مع موظفيها إليها، وغيرت أسماء الشوارع والأحياء.

٥ - صادق الكنيست الإسرائيلى على مشروع قانون يقضى بتعديل قانون أنظمة السلطة والقضاء لسنة ١٩٤٨ م، وبهذا منحت سلطات الاحتلال نفسها حق ضم ما تراه من أرض فلسطين بمجرد إطار مرسوم بذلك، فوسعت سلطتها، وضمت القدس القديمة ومناطق واسعة محيطة بها.

٦ - اصدرت السلطات الإسرائيلية ما سمى بقانون القدس الذى أقره الكنيست فى ٣١ تموز/ يوليو ١٩٨٠م، والذى نص على أن القدس الكاملة والموحدة هى عاصمة إسرائيل، وأن القدس هى مقر الرئيس والكنيست والحكومة، والمحكمة العليا....إلخ.

٧ - بعد أن تحولت إسرائيل إلى كيان ودولة بالقوة، أصبح الاستيطان شغلها الشاغل، وأخذ زعماؤها يخططون لتحقيق التوسع الديموغرافى، حيث تمسكت إسرائيل بمبدأ عدم العودة إلى حدود ٤ حزيران/ يونيو، وامتزجت الحجج الأمنية بادعاءات اقتصادية ودينية، ولتثبيت التوسع الإقليمى شرعت فى إيجاد حقائق استيطانية بشكل مكثف.

٨ - شرعت إسرائيل فى تنفيذ المخطط المعمارى الجديد فى القدس، بهدف هدم قسم كبير من المساكن والعقارات العربية داخل السور بحجة أنها مكتظة بالسكان وغير صحية، وإزالة المبانى القديمة والأحياء العربية الإسلامية الفقيرة، والعمل على إنشاء مركز تجارى فى وسط المدينة.

٩ - صادرت هويات المقدسيين بهدف إخلاء القدس من السكان العرب.

هذا مع تكرار المحاولات التى استهدفت إزالة المسجد الأقصى ومحاولات إحراقه مرارا وتكرارا.

تاريخ الصراع مع اليهود

- ١٩١٧ م : وعد بلفور الذى منح اليهود حق الهجرة إلى فلسطين.
- ١٩٢٥ م : أضرب الفلسطينيون احتجاجا على زيارة بلفور للقدس.
- ١٩٢٩ م: ثورة البراق ردًا على محاولات اليهود تغيير معالم حائط البراق.
- ١٩٣٠ م : عصبة الأمم المتحدة تعين لجنة دولية للتحقيق.
- ١٩٣٣ م : اندلاع اضطرابات فى العديد من المدن والقرى الفلسطينية احتجاجا على استمرار الهجرة اليهودية.
- ١٩٣٥ م : استشهاد الشيخ عز الدين القسام، وهويقود أول عملية مسلحة ضد الإنجليز.
- ١٩٣٦م : إضراب استمر ستة أشهر، وبداية الثورة الكبرى.
- ١٩٣٨/٧/٦م: تفجير سوق حيفا.
- ١٩٣٨/٧/٢٢م: نسف فندق الملك داود.
- ١٩٤٦م: الفلسطينيون يُضربون احتجاجا على الهجرة اليهودية.
- ١٩٤٨م: استشهاد عبدالقادر الحسينى فى معركة القسطل.
- ١٩٤٨م: إعلان قيام الكيان الصهيونى وبداية مأساة الفلسطينيين.

مذابح اليهود فى حق الفلسطينيين:

إن جرائم الإرهابيين والجيش الصهيونى منذ عام ١٩٤٧م حتى الآن كثيرة حيث كانت عصابة الأرجون والهاجانا.

ويحتل النازى آريل شارون رئيس الوزراء السابق قائمة الجزارين الصهاينة، فقد ارتكب ٧٠ مذبحة ضد العرب أشهرها مذبحة صبرا وشاتيلا.. وآخرها مذبحة رام الله وقرية قبية حيث قتل شارون بصفة شخصية أكثر من ٨٠ فلسطينيا بدم بارد، ثم مذبحة جنين حيث قُتل المئات ودفنوا فى مدافن جماعية تحت نظر وسمع العالم الأخرس!!

ولو استعرضنا تاريخ اليهود الأسود فى عجالة لوجدنا أنهم قد سبقوا غيرهم فى قدرتهم على ارتكاب المذابح!

- مذبحة بلدة الشيخ ١٩٤٧/١٢/٣١م، اقتحمت عصابات الهاجانا قرية بلدة الشيخ (يطلق عليها اليوم اسم تل غنان) ولاحقت المواطنين العزل وقد أدت المذبحة إلى مصرع العديد من النساء والأطفال حيث بلغت حصيلة المذبحة نحو ٦٠٠ شهيد.
- مذبحة قرية حواسة ١٩٤٨/١/١م، وتم قتل جميع السكان.
- مذبحة قرية سعسع الجليل ١٩٤٨/٢/١٥م، قام اليهود بمهاجمة البلدة فى منتصف الليل ونسفوا ٢٠ منزلا على المواطنين العزل.
- مذبحة قرية أبو كبير ١٩٤٨/٣/٣١م، نفذ هذه المجزرة إرهابيون من أفراد عصابة الهاجانا التى أصبحت لاحقًا نواة جيش الكيان الصهيونى.
- مذبحة دير ياسين ١٩٨٤/٤/١٠م، داهمت عصابات الشتيرن والهاجانا قرية دير ياسين الواقعة غربى مدينة القدس (تقوم على أنقاضها اليوم مستعمرة إسرائيلية تسمى جفعات شئول) وقتلت ٣٦٠ فلسطينيا معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال وفاخر مناحم بيجن - رئيس وزراء إسرائيل الأسبق - بهذه المذبحة فى كتاب له فقال «أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوى فأخذوا يفرون مذعورين فمن أصل ٨٠٠ ألف عربى كانوا يعيشون على أرض إسرائيل الحالية (فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م) لم يتبق سوى ١٦٥ ألفا).
- مذبحة أبو شوشة ١٩٤٨/٥/١٤م تقع قرية أبو شوشة بالقرب من قرية دير ياسين وراح ضحية المذبحة ٥٠ شهيدا ضربت رءوس العديد منهم بالبلطات.
- مذبحة دار آيس ١٩٤٨/٥/٢١م، وهى قرية كبيرة شرقى غزة أبيد كل سكانها.

• مذبحة اللد الأولى ١٩٤٨/٧/١١م وقعت هذه المذبحة فى قرية اللد وأدت إلى قتل ٤٢٦ فلسطينيا منهم ١٧٦ مدنيا قتلوا فى مسجد دهمش بالقرية ومن بقى حيًا نفته إسرائيل إلى الأردن سيرا على الأقدام مما تسبب فى وفاة الكثيرين.

• مذبحة الطنطورة ١٩٤٨/٨/٢٢م، وقعت هذه المذبحة فى قرية الطنطورة وخلفت أكثر من ٩٠ قتيلا فلسطينيًا دفنوا فى حفرة كبيرة أقيم عليها لاحقا ساحة لوقوف السيارات كمرفق لشاطىء«دور» على البحر المتوسط جنوبى حيفا.

• مذبحة دير ياسين ١٩٤٨/١٠/٩م، قتل ٢٥٠ عربيا ودُفنوا فى مقبرة جماعية.

• مذبحة الدوايمة ١٩٤٨/١٠/٣٠م، بقيادة موشيه ديان قائد الكتيبة ٨٩ حيث قام بذبح ٨٩ عربيا وقتل الأطفال بتحطيم رءوسهم.

• مذبحة قرية عيليون ١٩٤٨/١٠/٣٠م، قامت القوات الإسرائيلية الغاشمة بتجميع الأهالى فى ميدان القرية قبل إطلاق النار عليهم عشوائياً.

• مذبحة البعثة ودير الأسد ١٩٨٤/١٠/٣١م قامت القوات بمحاصرة القريتين وتجميع سكانهما فى السهل الفاصل بينهما من خلال مكبرات الصوت ثم قامت بقتل مجموعة من الشبان وصفتها الأمم المتحدة بأنها مذبحة بشعة وجريمة قتل وحشى ارتكبت دون أى سبب.

• مذبحة اللد الثانية ١٩٤٨/١٢/١١م، حيث قتل ٣٥٠ فردا، والجرحى بالمئات.

• مذبحة صفصف فى الجليل فى ١٩٤٩م.

• مذبحة صفد ١٩٥٠م، حيث ذبحت قوات الهاجانا ٧٠ شابا عربيا.

• مذبحة قبية شرق غزة فى ١٩٥٣/١٠/١٤م، قام الجنرال أرييل شارون - رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق - بمهاجمة قرية قبية وقتل نحو ٦٧ فلسطينيا ونسف ٥٦ منزلا إضافة إلى مسجد القرية ومدرستها وخزان المياه الذى يغذيها.

• مذبحة نحالين ١٩٥٤م، التى استشهد فيها ٩ مدنيين وجرح ١٩.

• مذبحة غزة ١٩٥٥/٢/٢٨م، ومقتل ٤٩ فلسطينيا.

• مذبحة قلقيلية ١٩٥٦/١٠/١٠م، وراح ضحية المذبحة أكثر من ٧٠ قتيلا فلسطينيا.

• مذبحة كفر قاسم ١٩٥٦/١٠/٢٩م ، قتل فى تلك المذبحة ٤٩ مدنيا فلسطينيا من الرجال والأطفال والنساء.

• مجزرة خان يونس ١٩٥٦/١١/٣م، قامت القوات الإسرائيلية بمهاجمة مخيم خان يونس للاجئين الفلسطينيين جنوبى قطاع غزة ١٩٥٦/١١/١٢م، وأسفر الهجوم عن مقتل أكثر من ٢٥٠ فلسطينيا وبعد هذه المجزرة الأولى بتسعة أيام نفذت وحدة من الجيش الإسرائيلى مجزرة وحشية أخرى راح ضحيتها نحو ٢٧٥ قتيلا فلسطينيا فى نفس المخيم كما قتل أكثر من مائة فلسطينى آخر من سكان مخيم رفح للاجئين فى نفس اليوم لتكون حصيلة القتلى بذلك ٥٧٥.

تاريخ اليهود الأسود يؤكد أنهم أسبق الشعوب وأقدرهم على ارتكاب المذابح البشعة

• بداية حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، التى أسفرت عن احتلال اليهود بقية أرض فلسطين والجولان.

• الطيران الإسرائيلى يهاجم ١٥ قرية ومخيم للاجئين شرق نهر الأردن بالنابالم ١٩٦٨م.

• معركة الكرامة ١٩٦٨م.

• إحراق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين ١٩٦٩م.

• مصادمات عنيفة فى يوم الأرض ومقتل ٢٠ فلسطينيا ١٩٧٦.

• اقتحام المسجد الأقصى وإطلاق النار على المصلين ١٩٨٢م.

• مذبحة صبرا وشاتيلا ١٩٨٢/٩/١٨م، نفذها أرييل شارون الذى كان يرأس الوحدة الخاصة (١٠١) فى الجيش الإسرائيلى حيث اقتحم مخيمى صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين حول بيروت وبمساعدة ميليشيا الكتائب اللبنانية وأسفر الهجوم عن مقتل

٣٥٠٠ مدنى فلسطينى معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ.

• اشتعال الانتفاضة وانطلاق حركة المقاومة الإسلامية ١٩٨٧م.

• مجزرة عيون قارة ١٩٩٠/٥/٢٠م، تقع عيون قارة قرب مدينة تل أبيب وراح ضحية المذبحة ٧شهداء جميعهم من العمال الفلسطينيين.

• مجزرة المسجد الأقصى ١٩٩٠/١٠/١٨م، حاول متطرفون يهود يسمون «أمناء جبل الهيكل» وضع حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم فى ساحة المسجد الأقصى مما أدى إلى وقوع اشتباكات أسفرت عن مقتل ٢١ فلسطينيا كانوا يصلون داخل المسجد وجرح أكثر من ١٥٠ فلسطينيا كما أعتقل ٢٧٠ آخرون.

• مجزرة المسجد الإبراهيمى فى الخليل ١٩٩٤/٢/٢٥م، ومقتل ٢٩ مصليا وجرح أكثر من ثلاثمائة.

• مذبحة النفق ١٩٩٦/٩/٢٧م، عمدت الحكومة الإسرائيلية إلى فتح نفق مواز لجدار الأساسات الجنوبى للمسجد الأقصى فوقعت اشتباكات بين قوات الاحتلال والمتظاهرين الفلسطينيين أسفرت عن مقتل ٧٠ فلسطينيا.

• مذبحة مخيم جنين ٢٠٠٢/٤/٢٩م ، بعد أسبوعين من حصار الجيش الإسرائيلى لمخيم جنين قامت القوات الإسرائيلية بحملة إعدامات مكثفة فى صفوف الفلسطينيين ثم قامت الجرافات الإسرائيلية بإزالة المخيم من الوجود وراح ضحية المذبحة نحو ٢٠٠ فلسطينى.

• أثبتت التقارير الحقوقية أنه فى الفترة من ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠ م إلى أول أكتوبر ٢٠٠٨ م أوقعت إسرائيل ٥٥٢٦ شهيدا بينهم ١٠١٠ أطفال و٣٤٠ إمرأة و٦٧٤ من طلبة المدارس و١١ صحفيا و١٠ أجانب من نشطاء السلام.

كما أصاب جيش الإحتلال بالرصاص ما يزيد على ٣٥ ألف فلسطينى، فضلا عن ١٥ ألفا أصيبوا بحالات اختناق وضرب من قبل جنود الاحتلال فضلا عن إحداث إعاقة بشأن ٧٥٠٠ فلسطينى، وتوفى نتيجة الحصار الجائر على غزة ١٤٧ مواطنا ممن لم يستطيعوا الخروج للعلاج، وقد دمر جيش الاحتلال خلال هذه الفترة ٨٣٠٠ منزل وألحق الضرر فى ٧٠٠٠ منزل خلال عملياته الحربية.

• مجزرة ومحرقة غزة ٢٠٠٨/١٢/٢٧م، استمر العدوان ٢٣ يوما، استخدم فيها الجيش الإسرائيلى أسلحة محرمة دوليًا مثل الفسفور الأبيض، وأسلحة تسبب فى إذابة جسم الإنسان وإبقائه هيكلا عظميًا، وخلال الحرب التى شنتها إسرائيل واستمرت من ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨م وحتى ١٨ يناير ٢٠٠٩م، تم تدمير البنية التحتية لقطاع غزة بالكامل وذاق الفلسطينيون مرارة الرصاص الإسرائيلى المصبوب، وعاشوا أياما حالكة السواد، وتسببت الأسلحة التدميرية النووية التى استخدمتها إسرائيل فى إحداث حالة خطيرة من التلوث لجميع مناطق القطاع سوف تمتد إلى أكثر من أربعة ملايين ونصف مليون سنة، كما قال علماؤنا المصريون فى شهاداتهم التى أدلوا بها أمام لجنة حقوق الإنسان فى مجلس الشعب، وأن غزة ستظل ملوثة إلى مالا نهاية!

ولقد أسفر العدوان عن ٥٥٠٠ من الجرحى و١٣١٥ من الشهداء بينهم ٤١٨ طفلا و١١١ امرأة و١٢٣ مسنا و١٦ من طواقم الإسعاف والدفاع المدنى و٤ صحفيين، ودمر العدوان ٢١ ألف منزل، وأكثر من ٢٧ مسجدا، و٦٧ مدرسة.

• ويوميا تشن آلة الحرب الإسرائيلية هجوما على الأجهزة الأمنية والشرطية وأماكن أخرى فلسطينية مما يتسبب فى جرح العديد وإزهاق أرواح الأبرياء.

فضائل بيت المقدس

لبيت المقدس فضائل كثيرة، فقد بارك الله فى المسجد الأقصى وما حوله من أرض وديار، كما جاء فى كتاب الله العزيز: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** الإسراء: ١

واجتمعت فيه فضائل عديدة، منها مضاعفة أجر الصلاة فيه، وفضيلة شد الرحال إليه، وأنه مقام الطائفة المنصورة.

ويضاف إلى ذلك البركة الحسية لتلك الأرض الطيبة، فقد بارك الله فى أرضها بالخصب والثمار والأشجار والأنهار وعذوبة المياه والسهولة والجبال.

أما البركة المعنوية، فمنها ما اختص الله به هذه الأرض من:

١ - القدسية، فهى أرض مقدسة، كما جاء على لسان موسى عليه السلام عندما طلب من قومه

الاستمرار فى الهجرة من مصر إلى أرض فلسطين: **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾** المائدة: ٢١.

٢ - كونها ملجأ الأنبياء عند اضطهادهم من قبل الحكام الجائرين، حيث كانت هجرة سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام من العراق إلى أرض فلسطين كما فى قوله تعالى: **﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾** الأنبياء:٧١

٣ - بسط الملائكة أجنحتها على الشام: فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طوبى للشام». قالوا: يارسول الله، وبم ذلك؟ قال: **«تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام»**[(١)].

٤ - كونها مرقد الأنبياء: حيث يرقد فيها كثير من الأنبياء، وقد ثبت وجود قبر الخليل إبراهيم عليه السلام، ووجود قبر سيدنا موسى عليه السلام، وإن لم يعرف مكانه تحديدا، وهو ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية»[(٢)].

٥ - كونها مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد جعلها الله بوابة السماء عندما طلب من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذهاب إليه، لحكمة يعلمها سبحانه.

٦ - كونها أرض المحشر والمنشر: وتخصيص أرض القدس بهذا الأمر عن بقية بلاد الشام لما رواه الإمام أحمد عن ميمونة بنت سعد مولاة النبى صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبى الله، افتنا فى بيت المقدس، فقال: **«أرض المحشر والمنشر»**[(٣)].

٧ - القدس بقعة من الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: **«من سره أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس»**[(٤)].

لما سبق وتقدم كان العمل لتحرير تلك الديار بما فيها الأقصى الشريف مسئولية المسلمين جميعا.

وقد أجمع العلماء على أنه إذا نزل العدو بأرض المسلمين أو وقف بباب بلادهم فإن الجهاد يصير فرض عين على كل مسلم دون استثناء لقوله تعالى: **﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** سورة التوبة : ٤١ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«وإذا استنفرتم فانفروا»**[(٥)] ، والإسلام لا يعفى أحدا من الجهاد فى حالة النفير العام.

كان المسلمون لهم قصب السبق فى جميع شئون الحياة ومصالحها.. بدءا من صلاح القلوب وإصلاحها.. وتهذيب النفوس بمكارم الأخلاق وحسنها إلى مصالح الناس الدنيوية. لكن الذى يندى له الجبين.. وتدمع له العين.. وينفطر له القلب. ما أصبح عليه المسلمون الآن، وكيف أصبح كثير منهم يقادون. بعد أن كانوا يقودون، ويتبعون بعد أن كانوا يُتبعون، وبكل حال ودون تردد الجواب فى قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾** سورة الرعد: ١١، **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾** سورة محمد: ٧، وقوله: **﴿وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** سورة آل عمران: ١٦٠.

إن الدفاع عن المقدسات الإسلامية أمر واجب على المسلمين جميعا وليس على العرب وحدهم، فنحن جميعا مسئولون عن ذلك أمام الله يوم القيامة!! وليكن دستورنا فى ذلك قول الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾** سورة آل عمران: ١٠٣، وأن نقتدى بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وبما فعله المسلمون الأوائل من أجل نصرة دين الله تعالى، ولعودة قيادة البشرية.

الهوامش

(١) الحديث رواه الترمذى (٢/٢٢١) ، وصححه الألبانى فى تخريج فضائل الشام.

(٢) مجموعة الفتاوى (٢٧/٤٤٥).

(٣) الحديث رواه أحمد فى المسند (٦/٤٦٣) ، وصححه الألبانى.

(٤) الحديث صحيح.

(٥) من حديث رواه الإمام البخارى والإمام مسلم.

أنباء و أخبار
منير بيومى

بروتوكول تعاون مصرى مغربى فى المجالات الدينية

شهد الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وزير الأوقاف توقيع بروتوكول للتعاون الدينى بين مصر والمغرب، وقعه عن الجانب المصرى الشيخ شوقى عبد اللطيف رئيس القطاع الدينى، وعن الجانب المغربى السفير محمد فرج الدكالى سفير المغرب بالقاهرة، ويتضمن البروتوكول المصرى المغربى التبادل المشترك للخبرات والتجارب فى مجالات إحياء التراث الإسلامى ونشر الإصدارات الدينية باللغات المختلفة، ومشاركة الوفود فى المؤتمرات والندوات فى كلا البلدين، والبحث المشترك عن أساليب فاعلة لمواجهة النشاطات المعادية للإسلام وتجارب إعمار المساجد والعناية بالقرآن الكريم، وبرامج إعداد الدعاة وأساليب استثمار الوقف الخيرى. وقد أهدى الوزير السفير مجموعة من الإصدارات الدينية التى نشرتها الوزارة فى الفترة الأخيرة لتصحيح بعض المفاهيم الدينية الخاطئة، ووعد الوزير بإرسال خمسين نسخة من كتاب دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الدينى إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية.

بعد أن أشهروا إسلامهم بالأزهر الشريف

١٢ أسبانيّا يزورون المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بعد أن أشهروا إسلامهم فى مارس الماضى بالأزهر الشريف، زار ١٢ أسبانيّا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تدعيما للعلاقات بين وزارة الأوقاف ممثلة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومسلمى أسبانيا.

استقبل الوفد الأسبانى الذى رأسه السيد سعيد سيف كل من الدكتور سالم عبد الجليل نيابة عن وزير الأوقاف، والدكتورة آمنة نصير نيابة عن الدكتور محمد الشحات الجندى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وقد أوضح د. سالم عبد الجليل وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة الدور الذى تقوم به المؤسسة الدينية فى مصر وما تبذله من جهود لنشر الفكر الإسلامى المستنير داخل مصر وخارجها من خلال وزارة الأوقاف والأزهر الشريف، وأكد على ضرورة التفريق بين التطبيق الخاطئ لأحكام الإسلام الذى يقع من بعض المسلمين وبين شريعة الإسلام السمحة، مشيرا إلى دور المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى التعريف بصحيح الدين من خلال مطبوعاته التى تصدر بلغات مختلفة، منها تفاسير معانى القرآن الكريم باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية والسواحيلية.

وأكدت الدكتورة آمنة نصير الأستاذ بجامعة الأزهر أن الإسلام لم يفرق بين الذكور والإناث فى الحقوق والواجبات مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ وأشارت إلى أن المرأة فى المجتمع الإسلامى تحصل على حقوقها وتحظى بالاحترام والتقدير، فالمرأة فى مصر وزيرة وسفيرة وقاضية.

وفى نهاية اللقاء أهدى د. سالم عبد الجليل الوفد مطبوعات من إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منها ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الأسبانية.

٣١ مايو آخر موعد للتقدم للدراسة بمراكز الثقافة الإسلامية التابعة للأوقاف

أعلن الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وزير الأوقاف أن الوزارة بدأت تلقى طلبات خريجى الجامعات الراغبين فى الالتحاق بمراكز الثقافة الإسلامية التابعة للوزارة فى المحافظات حتى ٣١ مايو، وقال: إن شروط القبول بهذه المراكز هى أن لا يزيد سن المتقدم عن ٥٠ عاما فى أول أكتوبر ٢٠٠٩، وأن لا يكون من خريجى جامعة الأزهر وكلية دار العلوم المسبوقة بالثانوية الأزهرية، وأن يجتاز اختبار القبول فى حفظ خمسة أجزاء على الأقل من القرآن الكريم وعلى دراية بفقه العبادات وسيرة الرسول والمعلومات العامة وحسن المظهر - وأشار د. زقزوق إلى أن الوزارة يتبعها ٢١ مركزًا بالمحافظات، مدة الدراسة بها سنتان ينتظم خلالهما الدارسون ممن يجدون فى أنفسهم الموهبة الدعوية والرغبة فى الاستزادة من الثقافة الإسلامية التى توفرها لهم الوزارة من خلال دراسة منظمة على مدى العامين من خلال كبار أساتذة جامعة الأزهر والمتخصصين فى جميع المعارف الإنسانية لصقل قدراتهم وإعدادهم للاستعانة بالمتميزين منهم كخطباء بالمكافأة فى المساجد التابعة للوزارة، وأوضح الوزير أن اختبارات القبول تعقد بجميع المراكز فى السادس من يونيو القادم وتستمر لمدة عشرة أيام.

خلال لقائه بوفد ألمانى

وزير الأوقاف: من الظلم الربط بين الإسلام كدين وتصرفات بعض المنتسبين إليه

استقبل الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أسقف شتوتجارت فرانك أوتفريد يولى بولاية بادن فورتمبرج الألمانية والوفد المرافق له والذى يضم عددًا من أعضاء برلمان الولاية المهتمين بشئون الحوار والتعليم.

دار حوار مطول بين الوزير وأعضاء الوفد حول أوضاع المسلمين فى ألمانيا والجهود المبذولة لإعداد أئمة المساجد هناك ومعلمين لتدريس الدين الإسلامى للأطفال المسلمين فى المدارس الألمانية، وتطرق الحوار للعلاقة بين الإسلام والغرب وضرورة التقارب والتعاون على جميع المستويات من أجل أمن واستقرار وسلام العالم الذى هو عالمنا جميعًا، كما أوضح الوزير أن الإسلام دين يدعو إلى السلام وأن ظهور بعض الجماعات المتطرفة فى بعض البلاد الإسلامية لا يعبر عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى التسامح بين كل الشعوب والأديان والحضارات من منطلق أن الناس جميعًا قد خلقوا من نفس واحدة كما يؤكد ذلك القرآن الكريم، وأن الخلافات بين الأمم والشعوب لا يجوز أن تكون مصدرًا للنزاع أو الشقاق، وإنما يجب أن تؤدى إلى إثراء الحوار ونشر ثقافة التسامح والإخاء بين الجميع، وشدد الوزير على ضرورة التفرقة بين تعاليم الإسلام وبعض العادات والتقاليد التى تنحرف بهذه التعاليم، وأشار إلى أن مهمة وزارة الأوقاف الأساسية هى توعية المواطنين بصحيح الدين وتصحيح الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة.

مشيرة خطاب وزيرة الأسرة والسكان

- إعداد خريطة سكانية... لإعادة التوازن للتوزيع الجغرافي بالمحافظات والارتقاء بالخصائص السكانية.
- الزيادة السكانية وراء ارتفاع الأسعار.. وتدنى المستوى الاقتصادى يتوازى مع ارتفاع معدلات الإنجاب.

أكدت مشيرة خطاب وزيرة الأسرة والسكان بأن الوزارة تعد حاليا خريطة سكانية للمحافظات لإعادة التوزيع الجغرافى الأفضل للسكان فى محافظات الجمهورية والارتقاء بالخصائص السكانية بما يضمن مكافحة الأمية والتسرب من التعليم وعمالة الأطفال لتمكين المرأة تعليميا وثقافيا واقتصاديا ودعم مشاركتها بالمجتمع، كما سيتم مراجعة السياسات والبرامج القائمة لخفض معدل الزيادة السكانية.

وأضافت بأن الوزارة ستعمل من خلال التنسيق مع جميع الوزارات والهيئات والمحليات والمجالس الشعبية والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدنى والمجلس القومى للمرأة والمجلس القومى للرياضة وكافة مؤسسات الدولة ذات الصلة، وسيتم التعاون الوثيق مع وزارة التربية والتعليم لتفعيل برنامج التربية الوالدية الرشيدة وتغيير ثقافة المعلم وتخفيف المناهج التعليمية لتوفير حيز للرسالة السكانية، كما سيتم التعاون مع وزارة الصحة والسكان لما لها من اختصاص أصيل فى تقديم الخدمة.

وأوضحت وزيرة الأسرة والسكان بأن الزيادة السكانية تسبب ارتفاعًا للأسعار بصورة غير محكومة، والموارد لها حدود ولا تنمو بنفس قدر ارتفاع المعدلات السكانية، مشيرة إلى أن التوزيع الجغرافى المتوازن للسكان يشكل أحد أهم التحديات، وتبذل الدولة جهداً كبيرًا لتحقيق ذلك وهو ما يمثل أحد المكونات الاستراتيجية لمواجهة الزيادة السكانية، وتعطى الوزارة أولوية قصوى لدعم وحشد الجهود الحكومية والأهلية الهادفة لتوفير مجتمعات سكانية أقل ازدحامًا وهو ما يجرى حاليًا للمواقع الجغرافية المستهدفة وذلك للتحرك الفورى ووضع الخطط التنفيذية وتطوير العشوائيات بالمحافظات والارتقاء بأوضاع الفقراء.

اللائحة التنفيذية لقانون الطفل تصدر الشهر المقبل

أعلنت الوزيرة مشيرة خطاب أن اللائحة التنفيذية لقانون الطفل المعدل ستصدر خلال شهر مايو المقبل.

الوزيرة أوضحت أن اللائحة التنفيذية تمشل وضع مواد تفسيرية لأحكام تضمن حقوق الفئات من الأطفال، منها حقهم فى الحصول على تعليم مجانى جيد النوعية يسلحهم بالمهارات الحياتية وحقهم فى التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة والرعاية الاجتماعية.

وأشارت إلى أن اللائحة تتضمن دور ومسئوليات الأسرة عن الوفاء بحقوق أفرادها وتوفير الحماية لهم لتيسير تنفيذه بعد انتهاء وزارة الأسرة والسكان من تدريب جميع وكلاء نيابة الطفل وقضاة محاكم الأسرة والمسئولين بوزارة التضامن الاجتماعى على تطبيقه كشروط إنشاء دور الحضانة والشروط الواجب توافرها فى القائمين عليها.

وأضافت أن اللائحة تشمل أيضا التوسع فى نظام الأسرة البديلة مع وضع ضوابط عليها لما فى ذلك من حد الاتجار فى الأطفال، بالإضافة إلى وضع نصوص تفسيرية تضمن حصول جميع الأطفال على بطاقات صحية دون النظر لالتحاقهم بالتعليم مثل الطفل المعاق.

الوزيرة أشارت أيضا إلى توضيح اللائحة لحقوق الطفل العامل والأعمال التى لا يجوز أن يعمل بها وحقوق الأم العاملة والأم الحامل وتحدد آليات قيد الأم لمولودها المتنازع على أبوته، كما تفسر اللائحة النظام الجديد لمعاملة الأطفال وحماية الأطفال من الخطر لأن الأطفال ضحايا الجريمة والشهود عليها وتحدد آليات قيد الأم لمولودها.

فى يوم اليتيم..

الأوقاف ترسم البسمة برعايتها للأيتام

فى تقليد سنوى أقامت وزارة الأوقاف احتفالاً بيوم اليتيم بالقاعة الكبرى بمسجد النور بالعباسية شهده الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والدكتور عبد العظيم وزير محافظ العاصمة تضمن برنامج الاحتفال إنشاداً دينيًا للأطفال الذين ترعاهم وزارة الأوقاف بمعهدى الزيتون وطرة وبمسجد النور حيث أنشد الأطفال أسماء الله الحسنى ونشيد مصر هى أمى وقام وزير الأوقاف ومحافظ القاهرة بتوزيع الجوائز والهدايا على الأطفال.

وأكد الدكتور عبد العظيم وزير أن هذا الاحتفال بيوم اليتيم لا ينبغى أن يكون يومًا واحدًا فقط فى العام إنما ينبغى أن يكون على مدار العام لأن مصر بلد محب لهذه التقاليد، بلد يحنو على الضعيف والمسكين واليتيم، وكل أبناء مصر يدينون لهذا الوطن وترابه ونيله بالوفاء والحب، مشيرًا إلى أن اليتم ليس عيبًا نتوارى منه بل يجب أن نعتز به ذلك أن رسولنا الكريم ﷺ ولد يتيمًا وجاء برسالة غيرت وجه البشرية فليكن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة. وعلينا أن نكون مخلصين لهذا الوطن لأن مصر فى حاجة إلى كل يد تعمل وكل فكر يرتقى بها مشيرًا إلى أن مكانة الأمة لن تتحقق بقوة السلاح بل بامتلاك ناصية العلم.

وأكد د. عبد العظيم وزير أن المجتمع المصرى مترابط متكاتف ويقف صفًا واحدًا فى مواجهة التحديات، يعتز بالإسلام الذى دعا إلى حب وكفالة اليتيم.

وقال الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف: إن هذا اليوم عيد للأيتام وعيد كل المسلمين لأننا نعتز بهم وحسبنا أن الرسول ﷺ عاش يتيمًا والله ذكره بذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾** والرسول ﷺ يشكر الله على هذا الفضل، كما قال الله له: **﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾**، وهناك كثير من الآيات والأحاديث تحض على حسن معاملة الأيتام والرحمة بهم.

يقول ﷺ: **«خير بيت للمسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فيه يتيم يساء إليه»** مشيرًا إلى أن كل من يكفل يتيمًا فالله سيكفل كافل هذا اليتيم. فليس هناك أعظم شأنًا من الذين يكفلون الأيتام ويبادلونهم الحب والتقدير.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق أن وزارة الأوقاف تقوم بتشييد دار جديدة للأيتام بمدينة السادس من أكتوبر على مساحة ٧ آلاف متر مربع وهى دار نموذجية تسع لـ ٦٠٠ طفل وطفلة مجهزة بأفضل سبل الرعاية حيث ستكون عبارة عن شقق سكنية بها أم بديلة ترعى الأيتام ليشعروا أنهم مع أسرهم مشيرًا إلى أن هذا التكريم واجب حثنا عليه ديننا الحنيف ومهما قدمنا فهذا أقل القليل.

وأشار وزير الأوقاف إلى أن الوزارة تقيم سنويًا معرضًا لإنتاج أبناء معهدى الزيتون وطره يطرح فيه إنتاجهم الصناعى ويحققون من خلاله ربحًا مناسبًا حتى يشعروا أنهم أعضاء فاعلون فى المجتمع وأنهم يسهمون فى تقدم المجتمع بالعمل والعلم لأنه بدونهما لن يكون هناك تقدم.

وحث وزير الأوقاف جميع المؤسسات أن تتضافر لتقديم الرعاية والحب لكل أبنائهم والأيتام جزء من هؤلاء الذين تعتز بهم مصر وبكل أبنائها.

بعد تحولهم إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة

ندوة عن

أطفال الشوارع

تربية النشء تربية صحيحة قضية أولاها الإسلام جل اهتمامه، وجعلها محوراً مهماً من محاور المجتمع المسلم، بل وركناً حصيناً وضع له قواعد وأسس لو أحسن المسلمون تطبيقها لخرَّجنا شباباً تعتمد عليه الأمة ويكون حصنها الحصين فى مواجهة الشدائد والمحن.

ومن ثم فإن ظاهرة أطفال الشوارع التى طفت على سطح الأحداث فى السنوات الأخيرة ما هى إلا صدى حاد لحالة الخلل التى أصابت الأسرة المصرية، وبالتالى انعكست بالسلب على كافة قطاعات المجتمع؛ حيث باتت تشكل معول هدم فى البناء المجتمعى، بل وقنبلة موقوتة قد تنفجر بين لحظة وأخرى لتأتى على الأخضر واليابس.

دائرة الخطر: أطفال الشوارع:

من هنا كان حرص المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على إقامة ندوة فى هذا الشأن من خلال لجنة الأسرة بالمجلس، تحت عنوان «أطفال الشوارع» شارك فيها كل من: د. محمد الشحات الجندى، ود. بدر الدين نورى خطاب، ود. سيدة حامد.

وفى بداية الندوة أكد الدكتور محمد الشحات الجندى أن مشكلة أطفال الشوارع من المشكلات الضاغطة التى يعانى منها مجتمعنا، فقد باتت من الظواهر المقلقة التى أفرزتها التطورات الاجتماعية والاقتصادية والدينية فى حياة المصريين.

وتساءل: ماذا جرى للأسرة المصرية المعروفة طوال تاريخها بالقيم الأصيلة؟ هل تناست تعاليم ربها فى العناية والرعاية والتربية واحتضان أطفالها؟ وهل تبرر هموم الحياة، واحتياجات المعايش والإهمال فى حقوق الأولاد؟!

وحذر الأمين العام من أن بعض الأسر تطلق أطفالها فى الشوارع وتتخلى عن واجبها والتزامها وتتركهم عرضة لرفقاء السوء الذين يستغلون هؤلاء الأطفال فى نقل المخدرات من مكان إلى مكان، ناهيك

عن دخـول الطفل لدائرة الإدمـان إلى غير ذلك من الممارسات المشبوهة.

مسئولية الأسرة:

وعن توجيه الإسلام للأب والأم نحو أطفـالهم أكـد الدكـتـور الجندى أن الإسلام أمر الأب والأم بأداء واجبهم نحـو أطفـالهم، فـالإسلام رعى الطفل منذ كان جنينا فى بطن أمه.

مشـيرًا إلى قضـيـة إلقـاء الأطفـال الرضع فى الشوارع أو تحت أى كـوبرى ويعلن أن الضحية فيها هو الطفل.

فالمسئولية - كما أكد - تقع على الأسرة والتزام الأسرة تجاه أطفالها، فـخروج الأب والأم للعمل وتركهـما لأطفالهما تؤكده لنا هذه الحـوادث التى تقع من زنا المحـارم، بالإضافة إلى ما يرونه على شبكة الإنترنت، فالرقابة الأسرية مفقودة.

ولخص الأمين العـام كـلامـه مـؤكـدًا على عدة حقائق مهمة:

- إن أفـضـل مـا كـنـا نملكه الأسـرة المتـمـاسكة، فلم يكن لدينا صناعـة ولا تجارة، ولكننا كنا نملك أسرة مترابطة.
- تؤكـد الإحـصـائيـات أنه كل سـبـع دقائق تقع حالة طلاق رغم الأموال التى تهـدر فى إقـامـة حـفـلات الزواج فى الفنادق الفـاخرة بسبب الأنانية المفرطة من الشاب والشابة التى تؤدى إلى فشل الحياة الزوجية.
- وجود أنواع مستحدثة من الزواج وكلهـا غـيـر شـرعـيـة، مـثل : زواج الورد وزواج الدم وزواج القـبـلة مما يؤدى إلى بيع أطفـال نتـيـجـة هذه الزيجـات، ومن ذلك أن ثلاثة أطفال قد بيعوا بـ ٣٦ ألف جنيـه، هل هـانت علينا أنفـسنـا لـهـذا الحد؟ أليست هذه قنبلة موقوتة؟

وفى خـتـام كلمـتـه أكـد الأمين العـام أن الحل يكمن فى الالتـزام بنظام الإسـلام فى الحيـاة بقوله تعـالى: **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾** (الجاثية: الآية ١٨) وغير ذلك مما ورد فى سورة لقمان وهو يعلم ابنه.

وبعد .. فإن مـجـتـمـعًـا بلا طفـولة هو مـجـتـمع بلا حـاضـر ولا مستقبل. وأكد د. بدر الدين نورى خطاب إننا لا نقدر هول ما نحن بصدده، فـهناك مـا يزيد على ٢ مليـون طفل بلا مـأوى، والحقـيـقـة الخطيرة التى أعلن عنها د. بدر أن هناك مـا يـسـمـى بأسـر الشوارع الناتجة عن الزواج العشوائى غير الشرعى وغـيـر الآدمى، ومـواجـهـتنا لـهذه الظواهر مواجهة سطحية.

مشكلة أطفال الشوارع من الظواهر المقلقة التى أفرزتها التطورات الاجتماعية والاقتصادية

العزلة الاجتماعية:

وأشـار إلى أن انحـسـار الشـخص فى نفسه يشكل خطورة على المجتمع لأن طفل الشارع عندما ينعزل عن المجتمع يفقد كل الرموز حوله ويفـقـد نفـسـه ويشـعـر بأنه مهمش ولا قيمة له فى المجتمع ويصبح بلا هدف ويفقد التخطيط للمستقبل.

الإنقاذ الاجتماعى:

وعن كيفية الإنقاذ الاجتماعى لهؤلاء الأطفال قال د. بدر : ينبغى أن نقدم لهم الطعـام والرعـاية الصـحـيـة والدواء، ويتم استـقـبـالهم فى مـراكـز استـقـبـال خـاصـة تؤهلهم للاستقرار فترة من الوقت، ثم نبدأ بعد ذلك فى مـرحلة اخـتـلاطهم بالمجتمع وتعليمهم مهنًا يكسبون من خلالها رزقهم.

جناة أم مجنى عليهم؟

وحـذر من أن النظرة لهؤلاء الأطفال على أنهم جناة مع أنهم فى الحقيقة مجنى عليهم، لذا فنحن - كما قال - أحوج ما نكون لتشريع جديد يحفظ حقوق أطفال الشوارع ويحقق لهم الرعاية الاجتماعية الكاملة.

واختتم د. بدر الدين كلمته مؤكدًا: إن مصر ليست الدولة الوحيدة المنكوبة بظاهرة أطفال الشوارع ولكنها منتشرة عالميًا وعربيًا ومحليًا، فـعلى المسـتـوى العـالمى يبلغ عـددهم من ١٠٠ إلى ١٥٠ مليـون طفل يهيمون فى الشوارع حسب إحصائية منظمة الأمم المتحدة للطفولة

«اليونيسيف»، وعلى المستوى العربى من ٧ إلى ١٠ ملايين طفل حسب إحصائية المجلس العربى للطفولة والتنمية.

وقد شاركت الأستاذة الشاعرة سيدة حامد بأبيات شعرية حول قضية أطفال الشوارع وعنوانها: «طفل الشوارع المشرد وضمير المجتمع»

هذا المشرد ساعدوه
مدوا الأيادى وأنقذوه
كم ليلة مرت عليه
جائعًا لم تطعموه
يلبس ملابس بالية
لا تنهروه بل ارحموه
يأوى فى برد الليل إلى
فريش التراب ولم تروه
يا أغنياء الأرض
هذا فقير ساعدوه
بمسكن بملبس
وفى المدارس علموه
يا أغنياء الأرض
من الزكاة فأطعموه
هذا ضعيف بلادكم
لا تبعدوه وساندوه
ببسمة بلمسة
نحو الفضيلة قربوه
إحسانكم لفقيركم
طوق النجاة فألبسوه
تراه وجها صالحًا
ومن الضياع تؤمنوه

وفى الختام فإن ما أطلق عليه أطفال الشوارع الذين يهيمون على وجوههم فى ممارسات خاطئة وتصرفات طائشة لا تتفق مع هوية الدين ونموذجه الراقى فى الحياة، وقد كان من الأنسب أن نصف سلوك هؤلاء الشباب بأنه انعكاس لغياب دور الأسرة المسلمة فى التربية والتهذيب والمتابعة لأجيالها ولأولادها وشعار البيت المسلم **﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا﴾** (الفرقان: الآية ٧٤)، وهو دور لا نجد نظيره فى الشرائع والقوانين الأخرى.

سلوك أطفال الشوارع هو انعكاس لغياب دور الأسرة المسلمة فى التربية والتهذيب

وكما قال الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية: فإنه نظرًا لتراجع منظومة التربية الإيمانية عند الأسرة والمجتمع لأسباب يطول ذكرها، فقد نتج عنها طائفة الأحداث المشردين ونموذج التوربينى والبلطجة التى توجد فى المجتمع المصرى المسلم والمجتمعات الإسلامية.

ونختتم ندوتنا بتذكير بما قاله المتحدثون عن أن القانون المصرى اتخذ من التشريع الإسلامى أصلاً له فأدان واستنكر جناية الاتجار بالأطفال وجرائم استغلال الأطفال فمن باع طفلاً أو اشتراه أو عرضه للبيع أو استغله جنسيًا يعاقب بالسجن المشدد مدة لا تقل عن خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن خمسين ألف جنيه ولا تجاوز مائتى ألف جنيه.

وبعد .. فقد تضخمت هذه الجنايات فى حق الأطفال بالاتجار فى الأعضاء البشرية وامتهان كرامتهم إلى أبلغ حد، والحل كما قلنا سابقًا يكمن فى أخذ هؤلاء المتسببين فى هذه الكارثة بالشدة والحزم حتى ينصلح المجتمع ونبعد عنه داءً استشرى ومصائب حلت، فهل من مجيب؟.

تابع الندوة أحمد فاروق الهلباوى

شخّص الداء.. ووصَف الدواء

فى أول حديث مع أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى لـ«منبر الإسلام»:

د. أكمل الدين إحسان أوغلى:

القدس قضيتنا المحورية وهى من أهم قضايا التضامن والعمل العربى المشترك

يعد د. أكمل الدين إحسان أوغلى واحداً من الذين يتمتعون بذكاء شديد، ودبلوماسية هادئة مكنته من أن يصل إلى رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامى بعد نجاحه كرئيس لمركز اسطنبول للتاريخ والثقافة والفنون «أرسيكا» التابع للمنظمة على مدى أكثر من عشرين عاماً، واستطاع خلال فترة وجيزة أن يعيد للمنظمة دورها القيادى الفاعل على المستوى الدولى خاصة فى ظل تسارع الأحداث العالمية وتأثيرها على العالم الإسلامى، فنجح كربان سفينة للوصول بها إلى مرفأ الأمان، وأصبحت منظمة المؤتمر الإسلامى واحدة من كبريات المنظمات الدولية بعد منظمة الأمم المتحدة حيث بلغ عدد أعضائها حوالى «٥٧» دولة، ومما لا يدع مجالا للشك أن رجلا بثقل د. أكمل الدين إحسان أوغلى على رأس المنظمة أعاد إليها ماضيها التليد مرة أخرى فهو يتمتع بحس عالٍ تجاه مختلف القضايا العربية والإسلامية واضعاً نصب عينيه مصلحة أمته الإسلامية محاولا حل جميع قضاياها فى صبر وتؤدة للوصول إلى مبتغاه.

د. أكمل الدين إحسان أوغلى

حاوره: محمد كامل شاهين

ومن أجل ذلك حرصت «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء على فكر الأمين العام للمنظمة وطموحاته، وعلى الجهود المبذولة من أجل إعادة ترتيب البيت الإسلامى من الداخل، ورؤيته حول إعادة صياغة المنظمة الإسلامية، ودورها السياسى والاقتصادى، فكان هذا الحوار:

الخطوة الأولى

■■ فى البداية نريد أن نتعرف على سيادتكم عن قرب حيث إنه من المعروف أنك مصرى المولد والتعليم.. فهل يمكن أن نتعرف على شخص متعدد الاهتمامات المصرية التركية؟

- بداية يمكننى أن أقول إن للصدف والأقدار تأثيراً كبيراً وأساسيًّا فى حياة الإنسان بما يشكل ملامح شخصيته، وتكوينه وأسلوب حياته، وقد شاءت الأقدار أن أولد لأبوين تركيين فى القاهرة سنة ١٩٤٣م حيث عمل والدى فى دار الكتب المصرية وأسهم فى إنشاء الأرشيف والقسم التركى بدار الوثائق، وكذلك أقسام اللغات التركية بالجامعات المصرية، وبعد إتمامى للدراسة الثانوية التحقت بكلية العلوم - جامعة عين شمس - وقد أمضيت سنين عدة فى مصر، هذا البلد المعروف بقيمه العريقة وثقافته الواسعة، وفى داخل هذا المجتمع كان هناك نسيج فريد من الأتراك الذين جمعتهم الأقدار فى القاهرة ما بين الحربين العالميتين، وفى

هذا الجو العام متعدد الجوانب تعلمت وكونت أول رصيد للحياة، وأعتقد أننى مدين بكثير مما تعلمته لهذه الظروف الخاصة والنادرة بين مجتمعين، وأذكر أننى عشت فى حى الحلمية الجديدة، ومنزلى القديم لا يزال محفورا فى ذاكرتى قبل أن يهدم، فلى فيه ذكريات لا تنسى مع أهل الحلمية الذين أعتبرهم من أفضل من تعاملت معهم فى حياتى.

وبعد وفاة والدى عدت إلى اسطنبول وحصلت على الماجستير، ثم سافرت إلى بريطانيا لنيل درجة الدكتوراه، ولكن لعشقى الموروث عن أبى للتاريخ والفنون الإسلامية أن توليت سنة ١٩٨٢م مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية «أرسيكا» لأكثر من عشرين عاماً قبل أن أتولى رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامى.

نشاط ملحوظ

■ أمضيت أكثر من عشرين عامًا مديراً «للأرسيكا» فهل لنا أن نتعرف على الدور الإسلامى لهذه المؤسسة التاريخية التى تنفرد بها تركيا؟

ـ ما لا يعرفه البعض أن «أرسيكا» التى تعتبر مركزًا مهمًا للتاريخ والثقافة والفنون مؤسسة إسلامية تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى، وقد تشرفت بأن أكون المدير العام المؤسس لها، وأمضيت بالفعل أكثر من عشرين عامًا من حياتى فى خدمتها، فقد أصبحت «أرسيكا» الآن من أكبر المؤسسات الدولية التى تعنى بدراسة التراث الإسلامى، وثقافات الشعوب الإسلامية، وتحقيق التعارف بين الإسلام والغرب، و«لأرسيكا» العديد من النشاطات فيكفى أنها أصدرت خلال الفترة من سنة ١٩٨٠م وحتى نهاية ٢٠٠٤م مائة كتاب فى مجالات عديدة بالإضافة إلى أربع وستين نشرة إخبارية تصدر ثلاث مرات سنويا، وتوزع عشرة آلاف نسخة مكتوبة بثلاث لغات وهى العربية والإنجليزية والفرنسية حول نشاط الأرسيكا، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فتشارك «الأرسيكا» فى معارض الكتاب الدولية وأهمها معرض فرانكفورت بألمانيا، ومعرض القاهرة الدولى للكتاب منذ عام ١٩٨٤م وحتى الآن وهى من أهم معارض الكتاب فى العالم.

مرحلة حرجة

■ يمر العالم الإسلامى بمرحلة حرجة ودقيقة.. فكيف يمكن حل المشاكل التى تعتريه والوصول به إلى مصاف التكتلات الدولية؟

ـ لاشك أن العالم الإسلامى يمر بمرحلة حرجة، حيث هناك العديد من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تقف حجر عثرة فى سبيل تقدمه، وهذه المشاكل نبعت من ضعف العالم الإسلامى لأنه تخلف عن ركب الحضارة، ولم يستطع أن يبنى مكانة لائقة فى الاقتصاد الدولى، فلابد من تنسيق الجهود والمواقف بين دول العالم الإسلامى والخروج بموقف موحد فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

خطوات عملية

■ ماذا عن قضية القدس.. خاصة أن هناك محاولات عديدة لتهويد تلك المدينة المقدسة؟

ـ قضية القدس قضية مركزية للمنظمة

قمة داكار بالسنغال تقر ميثاقا جديدا لمنظمة المؤتمر الإسلامى يواكب متغيرات العصر

ضمن أهم قضايا التضامن والعمل العربى المشترك، ووضع عدة خطوات عملية لدعم القضية ومنها الدعوة إلى دعم بيت مال القدس، وإنشاء صندوق وجامعة الأقصى فى القدس الشريف والمحافظة على موقف موحد من الحل الشامل للقضية الفلسطينية وإعطاء منظمة المؤتمر الإسلامى دوراً أكبر فى جهود تحقيق السلام.

الخطة العشرية أول محاولة جادة من العالم الإسلامى لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين بأسلوب علمى بعيد عن الحماسة والشعارات

مكافحة الإسلاموفوبيا

■■ ظاهرة الإسلاموفوبيا اتخذت أشكالا عديدة فى المجتمعات الغربية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م.. هل اتخذتم فى المنظمة أية خطوات أو إجراءات لمكافحة هذه الظاهرة؟

- الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى اتخذت من محاربة ظاهرة الإسلاموفوبيا، والتمييز وعدم التسامح ضد المسلمين إحدى أهم الأولويات، واعتبر قادة الدول الأعضاء فى قمة مكة سنة ٢٠٠٥م ظاهرة الإسلاموفوبيا والمنحى المتصاعد للتمثيل الخاطئ للإسلام فى الغرب ولاسيما عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م تحدياً من أكبر التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية وكلف برنامج العمل العشرى لمنظمة المؤتمر الإسلامى بوضع خطط وبرامج للتصدى لهذه الظاهرة.

وكان إنشاء مرصد فى الأمانة العامة لرصد أعمال الإسلاموفوبيا وإصدار تقارير بشأنها من أهم ما اتخذ فى هذا الصدد من إجراءات، واستهل هذا المرصد عمله بإنشاء شبكة معلومات وتنظيم اجتماعات مع علماء مرموقين، ومع منظمات إسلامية غير حكومية تعمل فى مجال محاربة الإسلاموفوبيا، وفى أعقاب أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدانماركية وقفت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى موقفاً قوياً ورائداً، وفضلا عن ذلك تم عقد عدة اجتماعات استثنائية لوزراء خارجية دول المؤتمر الإسلامى اتخذ على إثرها إجراء اتصالات مع البلدان الأوروبية والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة وطلب منهم إبداء آرائهم فى صياغة برنامج عمل متكامل للتصدى لهذه الظاهرة، وفى إطار ذلك نظمت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى سنة ٢٠٠٦م للمرة الأولى فى بريطانيا مؤتمراً كبيراً لمناقشة هذه المسألة مع العلماء والدبلوماسيين الغربيين، وفى سنة ٢٠٠٧م نظمت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى أيضا مؤتمراً فى واشنطن للتوعية بأخطار هذه الظاهرة، ونتيجة لهذه الأنشطة جميعها بدأ مرصد الإسلاموفوبيا عملاً مكثفاً لإعداد أول تقرير سنوى لمنظمة المؤتمر الإسلامى حول هذه الظاهرة سيتم إصداره قريبا.

الخطة العشرية

■■ نريد إلقاء الضوء على قمة مكة الاستثنائية وما تمخضت عنها من نتائج كانت فى غاية الأهمية بالنسبة للعالم الإسلامى؟

- قمة مكة الاستثنائية والتى دعا إليها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز سنة ٢٠٠٥م

قد شهدت إطلاق الخطة العشرية وهى خطة مبنية على أسس وأهداف، الألفية الانمائية وهى أول محاولة جادة من العالم الإسلامى لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين بأسلوب علمى بعيد عن الحماسة والشعارات التى لم تجدِ شيئا، ومن أهم بنود هذه الخطة: إصلاح مجمع الفقه الإسلامى وتطوير أهدافه حيث الغرض من إنشائه الرغبة فى تنشيط الفكر الإسلامى بطريقة جماعية، وإيجاد الأجوبة الإسلامية عن المشاكل التى يطرحها التقدم العصرى والتكنولوجى، بالإضافة إلى ذلك إنشاء وكالة أنباء إسلامية، وإقامة لجنة خاصة لحقوق الإنسان، وزيادة التبادل التجارى بين الدول الأعضاء إلى ٦٧، ١٦٪.

الميثاق الجديد

■■ ما أبرز ملامح الميثاق الجديد لمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى طرح على قمة داكار بالسنغال سنة ٢٠٠٨م؟

- الميثاق الجديد هو تعبير عن طموحات الأمة الإسلامية فى هذه المرحلة والتى تختلف عن طموحاتها فى أواخر الستينيات وبدايات السبعينيات، وفى الوقت نفسه يعبر الميثاق عن التطور الذى عاشه العالم الإسلامى وعاشته المنظمة، وأصبحت للمنظمة أجهزة عديدة ونشاطات واسعة، وهى أكبر منظمة بعد الأمم المتحدة بعدد أعضائها والمنظمات التابعة لها والمنبثقة منها.

إذن هذه منظومة كبيرة لابد أن يكون لها ميثاق جديد.

تطوير المنظمة

■■ لماذا أطلقتم الآن الدعوة لتصحيح وإعادة هيكلة وتطوير منظمة المؤتمر الإسلامى؟

- هناك ضرورة مُلحة لإعادة النظر فى دور منظمة المؤتمر الإسلامى بهدف تمكينها من أن تصبح جهة نشطة فى الساحة الدولية باعتبارها الممثل الوحيد للعالم الإسلامى، والمنظمة لم تتمكن حتى الآن من تحقيق الاستخدام الأمثل لقدراتها، كما أنها لم تتمكن من فرض نفسها باعتبارها كيانًا قويًا يمكنه إسماع صوته دوليا بشأن قضايا ذات اهتمام مشترك للدول الأعضاء، وأنا أرى أن الوقت قد حان لتعزيز دور ومكانة المنظمة وتنشيط دورها بما يتناسب مع القدرات الحقيقية للعالم الإسلامى.

ملامح محددة

■■ هل هناك ملامح محددة لخطة تطوير المنظمة؟

- المنظمة ماضية فى خطة تطوير أدائها وهى الخطة العشرية التى كانت قد أقرت منذ عامين، كما سنناقش تغيير اسم المنظمة بجانب السياسة المطروحة على الساحة الإسلامية.

آمال وطموحات

■■ لماذا سوف يتم تغيير اسم منظمة المؤتمر الإسلامى.. وهل هناك اسم جديد تم الاتفاق عليه؟

- منظمة المؤتمر الإسلامى هى ثانى أكبر منظمة دولية بعد الأمم المتحدة، وهى

للإسلام فضل السبق فى إرساء قواعد الحق والعدل وتطبيق المبادئ السامية

الحوار البناء يرتكز على مبادئ محددة من المثل والتقاليد التى تحقق أمن واستقرار الإنسان

كيان ثقافى وسسيولوجى تضم فى عضويتها «٥٧» دولة، «٥» دول بصفة مراقب وبات لها أفرع وهيئات تابعة لها اقتصادية وثقافية تنتشر فى أنحاء العالم الإسلامى، والاسم الحالى لها «منظمة المؤتمر الإسلامى» غير معبر عن آمال وطموحات شعوبها، ونحن نسعى نحو تحقيق برامج طموح فى العمل والتضامن، والاهتمام بقضايا المرأة، وتحقيق مكانة للمنظمة داخل العالم الإسلامى فى إطار الخطة العشرية التى تعمل على تحديث الأمانة العامة للمنظمة، وخدمة قضايا الأمة الإسلامية، وتحقيق تعاون أكبر بين دول المنظمة. كما كتبنا ميثاقًا جديدًا للمنظمة بمشاركة جميع الدول الأعضاء، والميثاق الجديد سيعطى زخمًا كبيرًا للمنظمة التى تعمل منذ أربعين عامًا، وتتضمن خطة التطوير تحديد أجندة الأولويات، والتحرك بديناميكية تجاه القضايا والأزمات التى تمر بالأمة الإسلامية وأبرزها قضايا المسلمين فى العراق وفلسطين والفلبين، وتوابع أزمة الرسوم الدانماركية.

مشكلة الفقر

■■ مشكلة الفقر من أخطر المشكلات التى تواجه عدداً كبيراً من الدول الإسلامية.. هل ثمة تحرك إسلامى جماعى باتجاه هذه المشكلة؟

- أهم خطوة تم اتخاذها عمليًا على هذا الصعيد تمثلت فى إطلاق صندوق للقضاء على الفقر، والمبلغ المستهدف له هو عشرة مليارات دولار بصيغة الوقف الذى يستغل ريعه فى تمويل المشروعات، وتم تحصيل مبلغ ٣,٦ مليار دولار حتى الآن، وقد بدأ هذا الصندوق العمل فعليا مع بدايات سنة ٢٠٠٨م، وقد ساهمت المملكة العربية السعودية بمليار دولار، وساهمت دولة الكويت بمبلغ ثلاثمائة مليون دولار، ولاشك أن بقية الدول الأعضاء مطالبة بإعلان مساهماتها بحيث يمكن للصندوق أن ينطلق فى نشاطه فى أفضل الظروف، كما عملت الأمانة العامة والمؤسسات التابعة لها على إطلاق مشاريع إقليمية منها إنشاء شبكة من المساحات الخضراء، والمساحات المحمية فى غرب أفريقيا. كما عقدت مؤتمرات فى كل من باكو عاصمة دولة أذربيجان والرياض واسطنبول لتطوير قطاع السياحة فى الدول الأعضاء بالمنظمة، وتم أيضا إعداد خطة عمل خماسية للدول الأعضاء فى المنظمة المنتجة للقطن لرفع إنتاجه.

الحوار البنّاء

■■ ناديت أكثر من مرة بإعطاء مساحة أكبر للحوار بين الإسلام والغرب.. فهل هناك شروط معينة لهذا الحوار؟

- مبدأ الحوار الذى يستهدف الوصول إلى الحقيقة لا يقبل الشروط لأن المبدأ فى هذا هو الإقناع والاقتناع بما يحقق مصلحة الطرفين، فالحوار البنّاء يرتكز على مبادئ محددة من المثل والتقاليد التى تحقق أمن واستقرار الإنسان حيثما كان لذلك فإننى لا يمكن أن أفرض شروطًا معينة على الطرف الآخر مادام يتحلى بنفس المبادئ والمثل الإنسانية.

زرعوا غرسهم فى أرض العطاء وارتوى بحبات العرق

النابهون من أبناء جامعة القاهرة يحصدون ثمار الجهد والنبوغ فى «يوم التفوق العلمى الأول»

متابعة وإعداد: مصطفى إبراهيم خيان

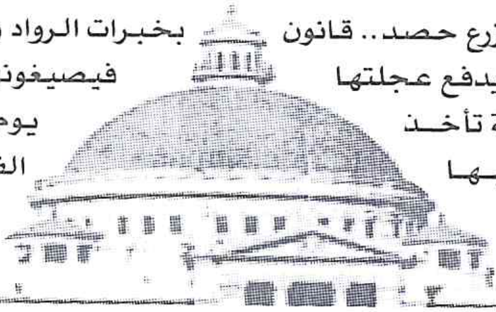

حقًا، من جدَّ وجد، ومن زرع حصد.. قانون أزلى ينظم دورة الحياة، ويدفع عجلتها قدمًا. وحكمة بالغة تأخذ بالألباب فتضيىء فيها مصابيح الهداية ومشاعل التنوير. وتشرق فى النفوس فتشعلها ببريق الأمل والرجاء، وتتدفق فى القلوب بدماء الحياة.. وكلمات مضيئة تكتب بأحرف من نور، وتوزن بماء الذهب نُقشت فى عقول النابهين الذين زرعوا النبت الطيب فى أحضان الجامعة الأم التى مهدت التربة الخصبة لغرس الأبناء، لتتلقفها سواعد أساتذة أفذاذ تعهدوه بالرعاية والجهد، وارتوى بحبات عرق جيل جديد يحمل جينات من التفوق توارثها الفائقون جيلاً بعد جيل.

إنهم أبناء النيل الذين قهروا الصعاب وركبوا التحديات فى رحلة البحث عن الذات وحين نادى المؤذن - حى على الفلاح أعدوا العدة وشمروا عن ساعد الجد وانتشروا فى دروبها ووقفوا فى معاملها يصهرون حضارة الماضى وعلوم الحاضر فى بوتقة التحدى ويصقلونها بخبرات الرواد ويصبغونها بروح العصر فيصيغونها آيات من الإبداع. وحان يوم الحصاد واصطف الفائقون كأنهم قافلة الأمل فى مواكب النور، وانتظموا فى مضمار الجامعة الأم كأنما الكواكب الساطعة فى مدار الشمس، أو كأنهم حبات لؤلؤ تطوق عنق الأم وترد الجميل.

وفى الاحتفالية الكبرى التى أقامتها جامعة القاهرة تكريمًا للنابغين من أبنائها فى يوم التفوق العلمى الأول خفقت قلوبهم وامتدت أيديهم لتقطف ثمار غرسهم بعد رحلة طويلة وحياة حافلة من العرق والكفاح والمثابرة وليطبعوا قبلة تقدير وعرفان على جبين الجامعة العريقة التى انتصرت للمثل العليا والتقاليد الراسخة وغيرت وجه الحياة فى كل ربوع مصر.

شارك فى الاحتفالية الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور هانى هلال وزير التعليم العالى والدكتور حسام كامل رئيس الجامعة ونواب رئيس الجامعة، وحضرها لفيف من الوزراء والمسئولين ورجال الإعلام والفكر والثقافة.

«الاحتفال بالموارد البشرية»

فى مستهل كلمته عن «رسالة الجامعة نحو مجتمع المعرفة» عبر الدكتور **أحمد فتحى سرور** - رئيس مجلس الشعب - عن سعادته العميقة بالمشاركة فى الاحتفال بتخريج جيل جديد من أبناء الجامعة ليبدأوا رسالتهم العملية فى معترك الحياة مسلحين بالعلم والمعرفة، ومهنئًا لأعضاء هيئة التدريس الذين يسعدون بغرس أيديهم يافعًا يسر الناظرين، ويرون فيهم الأمل الوضاء لتحقيق مستقبل زاهر لوطننا العزيز، مشيرًا إلى أن رسالة الجامعة كانت ولا تزال هى العلم والتنوير والإسهام فى بناء المجتمع وحاضره ومستقبله، تنطلق من بيئتها المحلية معززة معارفها، ثم تمتد بفكرها لتطال العالم أجمع، مؤكدًا أن احتفال جامعة القاهرة بوصفها الجامعة المصرية الأم، بتخريج نخبة من الشباب الفائقين، هو احتفال سنوى بالموارد البشرية المتجددة التى تغذى شرايين الوطن ويذكرنا بالاحتفال بوفاء النيل من حيث مد مصر بالماء كمورد للحياة. باعتبار هؤلاء الشباب رأس المال الفكرى الذى يستثمر من أجل تحقيق التنمية المستدامة.

«رأس المال الفكرى»

وأضاف إنه لا غرو أن تحتفل الجامعة سنويًا بغرة أبنائها من الخريجين؛ فهم المضارع المتجدد الذى يتدفق فعلاً وتفعيلاً عامًا بعد عام؛ ليعكس حيوية الجامعة وتجدد شبابها، ولكى يتحقق به رأس المال الفكرى الذى يسهم فى تطوير المجتمع، مشيرًا إلى أنهم أصبحوا امتدادًا طبيعيًا لذات الشعلة من الوطنية والأصالة والكرامة التى أشعلتها الجامعة وإنتاجًا جديدًا لذات النبع الذى ولد الموارد البشرية لمصر عبر الماضى والحاضر.

موضحًا أن توفير رأس المال الفكرى من أهم التحديات التى يفرضها القرن الجديد على رسالة الجامعة؛ فالمعرفة القائمة على العلم هى القاسم المشترك فى رسالة الجامعة، بل هى المحور الذى تقوم عليه رسالتها.

د. أحمد فتحى سرور:

دروس التاريخ تؤكد أن مجتمعات عديدة لم يكتب لها التطور لأنها جمدت المعرفة فى عقول أبنائها وقتلت الإبداع عند مواطنيها.

«قضية مصير»

وشدد الدكتور فتحى سرور على أن موضوع العلم والتواصل العلمى من أجل التطوير والتجديد ليس ترفًا فكريًا أو جدلاً نظريًا، بل هو ضرورة مُلحة وقضية مصير، من أجل اللحاق والاندماج والريادة للركب الحضارى الدولى، وتبوؤ المكانة التى تليق بنا شعبًا وحضارة. فبالعلم تغير التاريخ وبتواصل العلم تطورت الحضارات، وبالتطور العلمى وتجدد المعرفة تغير وجه الحياة على كوكبنا، منبهًا على أن دروس التاريخ قد علمتنا أن عديدًا من المجتمعات لم يكتب لها التطور؛ لأنها جمدت المعرفة فى عقول أبنائها وقتلت الإبداع عند مواطنيها؛ فسحقتها أمية العلم وتصحر المعرفة وأعتمتها ظلامية الفكر وأضل طريقها انغلاق العقل، وأن قوة الشعوب صارت تقاس بقدراتها العلمية أولاً.

«الأم الحقيقية للعولمة»

وقال إن العلم استطاع أن يغير مسار التاريخ، ليسلك تحت تأثيره منحنيات جديدة لم ينحها من قبل؛ فقد كان التاريخ يسير قرابة ست ألفيات ونصف على نمط يكاد يكون ثابتًا إلى أن جاءت الثورة الصناعية الأولى والثانية، فى القرنين الثامن والتاسع عشر مستندة على الثورة التجارية والتراكم الرأسمالى لتوجهنا إلى آفاق جديدة، فتغيرت حياة البشرية وخرجت عن النمط التقليدى السائد فى الألفيات السابقة، وقد غيرت هاتان الثورتان كل شىء، بما يجعلنا نؤكد أنهما الأم الحقيقية للعولمة.

ومؤكدًا أنه لا مجال لأن يحتكر العالم شعب دون آخر، أو أن يقتصر العالم على ثقافة دون أخرى، بل إن عظمة الإنسانية كانت وستظل فى سبل تناقلها وتواصلها مع المعرفة والعلم، وأن زيادة المعلومات ليست وحدها بالضرورة هى المعرفة المضافة؛ فلابد من إيجاد

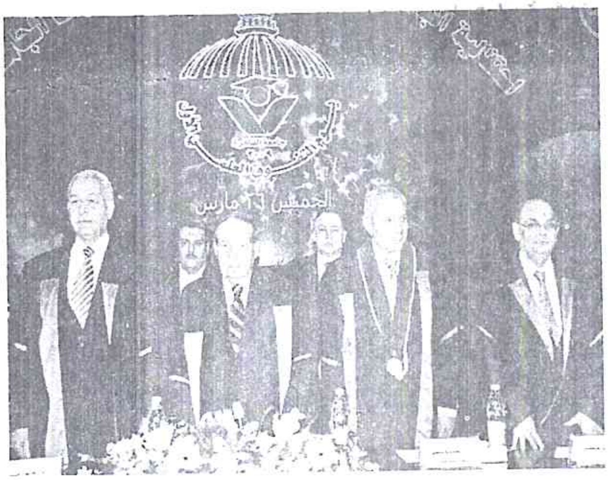

الأداة التى تتعامل مع هذه المعلومات من خلال التحقق من صحتها واستخلاص المفيد منها فكلما كانت شعوب العالم غير قادرة على التعامل مع هذه المعلومات بتحليلها والاستفادة منها، فسوف تبقى هذه المعلومات مجرد كتلة من البيانات المجهولة.

« اقتصاد المعرفة »

وأوضح أن المجتمع الذى يقوم على المعرفة هو المجتمع الذى تصبح فيه المعرفة هى القوة الخلاقة الكبرى؛ حيث تقاس درجة نجاح أى مجتمع على درجة الاعتماد على المعرفة بعد أن أصبحت أهم رأسمال فى العصر الحالى، وعلى هذا قام اقتصاد المعرفة الذى يتميز عن الاقتصاديات التقليدية فى اعتماده بصفة أساسية على استخدام الأفكار بدلاً من استخدام القدرات المادية والتركيز على تطبيق التكنولوجيا، ويعتبر فيه رأس المال الفكرى المكون الرئيسى فى قيمة السلع.

« امتحانات الواقع الحى »

وطالب الدكتور سرور الخريجين باستثمار كل المكتسبات التى وفرتها لهم الجامعة من معارف ومهارات أساسية وتوفير الاستعداد وقيمة التصور الفكرى والنفسى، وأن يواجهوا الواقع الحى بامتحاناته الأصيلة بالحرص على توافر المعايير التى تفرضها السوق العالمية فيهم، فى ظل عالم اختفت فيه الحدود الجغرافية بين الدول، وأصبح البقاء للأكفاء أو أصبحت المعرفة أهم أدوات التقدم للسيطرة عسكريًا أو سياسيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا.

« مهارات منتهية الصلاحية »

وأكد أن مصادر المعرفة التى يتطلبها عالم اليوم والغد تتضمن جميع القدرات العقلية والخبرات المكتسبة من العمل، بالإضافة إلى الاستعداد نحو التعليم واكتساب معرفة جديدة، وأن طبيعة العمل قد تغيرت عبر عقود عديدة، حتى إن كثيرًا من الأعمال أصبحت تتطلب من الناس القدرة على التفكير والتخطيط واتخاذ القرارات أكثر من مجرد الحركة والتجميع والبناء، حتى أصبح من الصعب تحديد أى نوع من المعرفة يحتاجها الإنسان فى المستقبل، وكل ذلك يتطلب عدم التوقف عند المعارف وأنواع المهارات القديمة التى انتهت صلاحيتها أو تلك التى أصبحت آيلة للسقوط. فالأمر يتطلب اكتساب مهارات عامة توليدية منتجة "Generic skills" مثل مهارات حل المشكلات وإدارة الوقت وحسن استثماره، والقدرة على مواجهة المخاطر وإدارة الأزمات والقدرة على اتخاذ القرار والقيام بمبادرات محسوبة.

« تجاوز حدود الزمان والمكان »

ودعا الدكتور **فتحى سرور** إلى مراجعة أداء الجامعة مراجعة واقعية صريحة لأن هذه المراجعة - كما يقول - من شأنها أن تكشف متطلبات مجتمع المعرفة بهدف التوصل إلى مجموعة من السياسات والخطط والبرامج التى تؤدى إلى إيجاد بيئة علمية قوية صلبة. خاصة وقد تضاعفت مسئولية الجامعةاليوم عن الأمس؛ لأن خريجيها يجب أن يكونوا قادرين على تجاوز حدود الزمان والمكان، وهو ما يتطلب توفير تعليم متميز للجميع يقوم على تكافؤ الفرص ولابد أن يتواكب محتوى التعليم بجميع عناصره مع عصر المعرفة وثورة الاتصالات وتقدم البحث العلمى، وهو ما يتطلب مرونة كبيرة فى التكيف مع احتياجات المجتمع المتطورة والقدرة على التنبؤ بها، مع توفير بنية أساسية صالحة للبحث العلمى.

«تصدع البنية الأساسية»

ونبه إلى معاناة الدول النامية بسبب محاولات نقل المعرفة إليها بالصورة التى توصلت إليها الدول المتقدمة دون تكييف أو تطويع، مما تسبب فى إنقاص جدوى استخدام هذه المعارف، أو إهدار موارد نادرة نسبيًا لدى الدول النامية. وموضحًا أن من أهم التحديات التى تواجه الجامعة فى الدول النامية، تصدع بنيتها الأساسية وتخلف أبحاثها العلمية وضعف مواردها التمويلية من الدولة وهجرة عقول أبنائها إلى الدول الغنية، ويتطلب الأمر مناقشة سبل توفير التمويل اللازم للبحث العلمى والمساهمة فى تذليل المصاعب التى تعترى هذا المجال.

وحذر الدكتور **فتحى سرور** من أن إعداد الأفراد القادرين على اكتساب المعرفة والتعامل معها، لا ينبغى أن يتم فى معزل عن القيم الثقافية حتى يُفسح المجال لتحقيق التنمية بكافة معانيها الاقتصادية والإنسانية والفكرية والأخلاقية، مشيرًا إلى أنه ليس علمًا أو تكنولوجيا ذلك الذى يُصنع ليكون أداة للتدمير أو القهر أو الإرهاب، وما فائدة المعرفة إذا كان العاملون فى المجتمع قد فقدوا روح التسامح والتضامن وتجردوا من الأخلاقيات؛ فلا ثقافة بغير قيمة إنسانية تكون أساسًا لأى معرفة تقود إلى تقدم إنسانى.

«خريجون جديرون بالاحتفال»

وقال الدكتور **سامح كامل** - رئيس جامعة القاهرة - إن هذا اليوم قد تأخر كثيرًا برغم مرور مائة عام على إنشاء الجامعة؛ فحتى هذه اللحظات لم يكن هناك عيد موحد لخريجى الجامعة وكان الأمر يقتصر على حفلات متناثرة للكليات.

وإن خريجى جامعة القاهرة جديرون بالاحتفال بهم، فهم أبناء أم الجامعات المصرية والعربية،

د. سامح كامل:

خريجو الجامعة أسهموا بشكل فاعل فى تشكيل مسار الأدب والسياسة والعلم على المستوى العالمى.

وقد أثبت خريجو الجامعة السابقون دومًا النبوغ فى ساحات العلم وميادين العمل؛ فهم يمثلون معظم المواقع المؤثرة؛ مواقع العلم والإدارة والإنتاج. يدركون روح العصر والعالم المتغير من حولنا، ويضعون حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الطريق الصحيح، بل ويسهمون فى تشكيل مسار الأدب والعلم والسياسة على المستوى العالمى؛ فخريجوها صاروا عبر السنين قادة دول فى السياسة والحكم والقانون والعلوم والآداب، وحصلوا على جوائز نوبل فى الأدب والسلام ويرأسون الحكومة المصرية والمجالس التشريعية كما يرأسون مؤسسات دولية كبرى فى الأمم المتحدة والجامعة العربية والوكالة الدولية للطاقة الذرية وغيرها.

«صناعة المستقبل»

وأشار إلى أن الرؤية التى تعمل الجامعة من خلالها مع اليوم الأول للمئوية الجديدة هى صنع مستقبل لامع للجامعة يزدهر فيه طلابها وأساتذتها وكلياتها وينتفع به مواطنو مصر والعالم فى ظل قوة ديناميكية تشرك هيئة التدريس والمجتمع فى إطار المنفعة المتبادلة وفى ظل التعاون والاحترام ومن خلال توسيع آفاق المعرفة وإثراء المجتمع والارتقاء به.

«حلقة وصل بين مئويتين»

وأوضح أنه فى ذات الوقت الذى تكرم فيه الجامعة صفوة الخريجين فإنها تأخذ عليهم العهد ببذل أقصى الجهد والتضامن من أجل خدمة الوطن والإنسانية، وبأن يحملوا الأمانة وأن يعوا طبيعة المسئولية الكبرى التى تقع على عاتقهم والتى لا تقل عن مسئولية الدفعة الأولى عند إنشاء الجامعة، أى مسئولية حلقة الوصل بين تحديات مئوية سابقة وتحديات مئوية تالية. تحديات انبعاث النهضة

د. عادل زايد:

استراتيجيتنا تقوم على توفير المناخ الأمثل لجودة العملية التعليمية.

والحركة الوطنية التى حملتها الجامعة فى مئويتها الأولى، وتحديات تحقيق الامتياز الأكاديمى والتنمية الشاملة التى تحملها المئوية الثانية.

«استراتيجية متكاملة»

وأكد الدكتور **عادل زايد** - نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب - أن يوم التفوق العلمى الأول يأتى تعبيرًا عن إيمان إدارة الجامعة بضرورة أن يكون هناك تكريم موحد على مستوى الجامعة لخريجيها المتميزين تأكيدًا على وحدة الجامعة وباعتبار أن هذه الجامعة هى جامعة عالمية لها تاريخ عريق فى إمداد الوطن العربى والعالم بخريجين يتمتعون بقدرات ومهارات متميزة.

وقال إن يوم التفوق يعد أحد معالم الاستراتيجية المتكاملة للنهوض بالجامعة مع المئوية الثانية، وإن من أهم ملامح هذه الاستراتيجية توفير المناخ الأمثل لجودة العملية التعليمية والعمل على ضمان معدلات نمو مرتفعة، ومتواصلة تدفع جامعتنا إلى الأمام عامًا بعد عام من خلال تطوير البرامج الدراسية لتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد والإمكانيات البشرية والمادية والمواءمة الكاملة بين التعليم الجامعى ومخرجاته ومتطلباته مع سوق العمل.

«كوادر فنية مدربة»

أما الدكتور **حسين خالد** - نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث - فقد أشار إلى أن الجامعة تُخرج مجموعة من الباحثين الأكفاء الذين يمثلون درة عطاء قطاع الدراسات العليا بجامعة القاهرة لمصرنا الحبيبة؛ وقد تم إعدادهم ليكونوا كوادر وطنية فنية مدربة من خلال استحداث مناهج جديدة قائمة على أسس البحث العلمى الخلاق والنمو فى تصميم المشاريع البحثية والتميز فى أداء الباحثين والطلاب والتطور فى النظام الإدارى والبحث فى قضايا الدولة المصرية والمجتمع العالمى، مطالبًا إياهم بأن يقدموا أبحاثًا ودراسات على مستوى عالمى راق تعتمد على التحليل والتفسير للواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والفكرى، وتدقيق النظر والفحص فى سبيل تحقيق التنمية المستدامة وتقديم الحل العلمى للمشكلات والقضايا الملحة فى كافة المجالات البحثية.

د.حسين خالد:

أدعو الباحثين لتقديم أبحاث ودراسات متعمقة على مستوى علمى راق تقوم على التحليل والتفسير لواقعنا الاجتماعى والسياسى والاقتصادى.

«بحوث فى خدمة المجتمع»

ودعت الدكتورة هبة نصار - نائب رئيس الجامعة لخدمة المجتمع وتنمية البيئة إلى أن يقوم الباحثون بإجراء البحوث المتصلة بمشكلات المجتمع من خلال المراكز البحثية المتميزة للجامعة فى مجالات الهندسة الوراثية والبيئة والتجارة والإدارة والاقتصاد والحقوق.

وإلى أن يتعاونوا مع المؤسسات التعليمية والثقافية والفنية، ومع الجمعيات الأهلية والمؤسسات الحكومية فى عمل دراسات وبحوث حول الظواهر الجديدة فى مجتمعنا الشرقى العربى.

وقالت إننا إذ نحتفل بالمتفوقين فإنما نسعى لترسيخ رسالة العلم التى تجعل العلم فى خدمة القيم النبيلة والتى تؤكد دور الخريجين فى بناء الوطن وهذه إحدى مهام الجامعة التى تسعى إلى غرس القيم الأصيلة فى نفوس الطلاب والباحثين؛ لأن العلم يقوم على صقل الفكر والعقل والوجدان وتهذيب مشاعر الإنسان وتأصيل القيم لما لها من أثر فعال فى النواحى الاجتماعية خاصة والإنسانية عامة.

د.هبة نصار:

يقوم العلم على صقل الفكر والعقل والوجدان وتهذيب مشاعر الإنسان وتأصيل القيم لديه

استراحة المنبر

إعداد : محمد سيد أحمد

من هدى القرآن الكريم

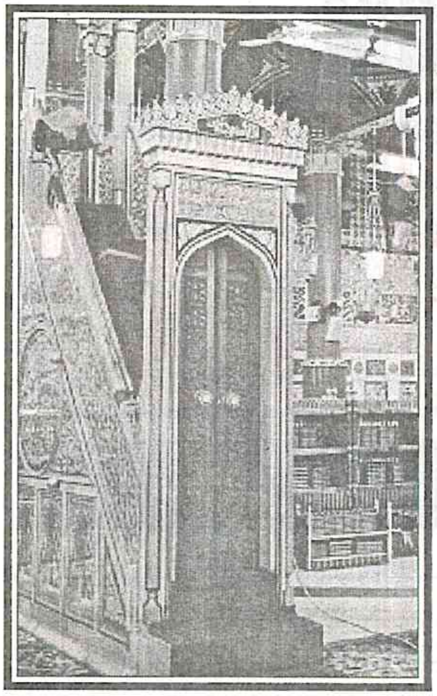

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * ﴾ سورة الشعراء الآيات : ٧٥ - ٨٥.

من أقوال الرسول الكريم ﷺ

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم - ابن محمد ﷺ - فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعو الله وصلوا حتى ينجلي»**، أخرجه الإمام البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحة أولهما كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس رقم ١٠٤٣ والثاني في باب الدعاء في الخسوف برقم ١٠٦٠ وثالثهما في كتاب الأدب باب من سمَّى بأسماء الأنبياء برقم ٦١٩٩، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الكسوف باب النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة برقم ٩١٥.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود، ما رأيته قط يفعله، وقال: **«هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره»**.

أخرجه البخاري في كتاب الكسوف باب الذكر في الكسوف برقم ١٠٥٩ كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الكسوف باب النداء بصلاة الكسوف برقم ٩١٢ كما أخرجه النسائي باب الأمر بالاستغفار في الكسوف برقم ١٥٠٤.

من أقوال الشافعي

قال يونس بن عبدالأعلى : سمعت من الشافعي كلمة لا تسمع إلا من مثله وهي: «رضاء الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه».

نفيسة العلم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت

السيدة نفيسة ابنة الحسن الأنور بن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.
كان لها عند المصريين مكانة ولهم فيها اعتقاد عظيم، ولما دخل الشافعى مصر، حضر إليها وسمع عليها الحديث، ولما مات أدخلت جنازته إليها وصلت عليه فى دارها.
ولما توفيت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق - رضى الله عنهما - على حملها إلى المدينة المنورة ليدفنها هناك.
فسأله المصريون بقاءها عندهم، فدفنت فى الموضع المعروف بها حتى الآن وكان دارًا لها.

من معانى سورة الصمدية

قال أبو على الدقاق: وجدنا الشرك على ثمانية أنواع على الكثرة والعدد، والتنقص، والتغلب، والعلة والمعلول، والأشكال والأضداد فنفى الله عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله « الله أحد».

ونفى التنقص والتغلب بقوله «الله الصمد»
ونفى العلة والمعلول بقوله « لم يلد ولم يولد»
ونفى الأشكال والأضداد بقوله « ولم يكن له كفوا أحد»

كلمات

قال الرازى:
الجبت: الصنم، والطاغوت: الشيطان
وقيل: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الشاعر وقال أهل اللغة: كل معبود سوى الله فهو جبت وطاغوت.

تجارة العطر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كنت تاجرًا ما اخترت غير العطر، إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه.

الناس طبقات

قال الإمام على رضي الله عنه الناس سبع طبقات:

الأولى: الفراعنة، يدعون الناس إلى عبادتهم.

الثانية: جبابرة، أكلهم الربا وبيعهم السحت «الحرام».

الثالثة: فساق، قد تشردوا من الدنيا كما يتشرد الشارد من الإبل.

الرابعة: أصحاب الرياء، ليس يعبدون إلا الدينار والدرهم.

الخامسة: قراء، مخادعون يطلبون الدنيا بزى الصالحين.

السادسة: فقراء إنما هَمُّ أحدهم أن يشبع شبعة من الطعام، لايبالى أحلالا أخذها أم حرامًا.

السابعة: الذين أثنى الله - عز وجل - عليهم فقال: **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾** وهم **﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾**.

الناس ثلاثة

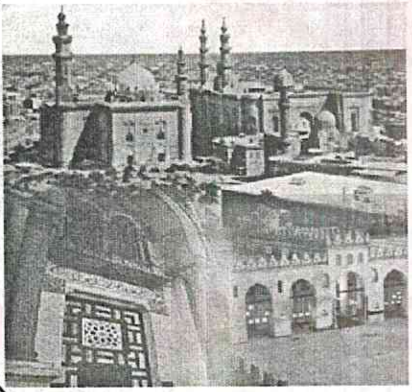

قال الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد: يا كميل، القلوب أوعية، وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق.

ثم بكى - رضي الله عنه - وقال: هكذا يموت العلم بموت حامله.

قالوا: مما يذكر للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى أنه منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً أو نهارًا، ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف لهن!

واستمر الأمر وشمل ولده الظاهر بالله أى مدة سبع سنوات.

تعظيم المال «الدينار والدرهم»

فى الحديث الشريف: «**إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع الله منها هيبة الإسلام**».

ومن كلام الإمام الشافعى رضي الله عنه فى هذا المعنى:

النار آخر دينار نطقت بـــه ... والهم آخر هذا الدرهم الجارى

والمرء بينهما ما لم يكن ورعًا ... مُعذب القلب بين الهم والنار

وليس المراد بذلك ذم المال، أو ذم الغنى، أو ذم الدنيا الموصلة إلى الآخرة، ولكن التحذير من التعظيم لهما لدرجة أن يقتل بعضهم بعضًا فى سبيل جمع المال، لينفقوه فى شهواتهم وملذاتهم، ولايؤدوا منه حق الله، وحق العباد.

الجار قبل الدار

كان رجل يسكن دارًا مجاورة للجنيد، فلما توفى وفرغ من دفنه أنشدا.

وا أسفاه من فراق قوم
هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواس
والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالى
حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب
وكل ماء لنا عيون

أول سيدة تشغل منصبًا فى الحكومة السعودية

السيدة نورة بنت عبد الله الفايز الحاصلة على درجة الماجستير فى التربية، تخصص تقنيات تعليم من جامعة يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية تم اختيارها لتكون نائبًا لوزير التربية والتعليم لشئون البنات وكانت قد تقلدت عدة مناصب مهمة من قبل فقد كانت عضوا فى عدد من اللجان والمجالس، كما قامت بالعديد من البحوث والدراسات بالإضافة إلى التأليف والترجمة فى مجالات الإدارة والتدريب وكانت ترأس الفرع النسائى لمعهد الإدارة. وعن طموحاتها المستقبلية النهوض لتحقيق الأهداف التعليمية العالية وخاصة فى تعليم البنات وذوى الاحتياجات الخاصة والتقدم المهنى.

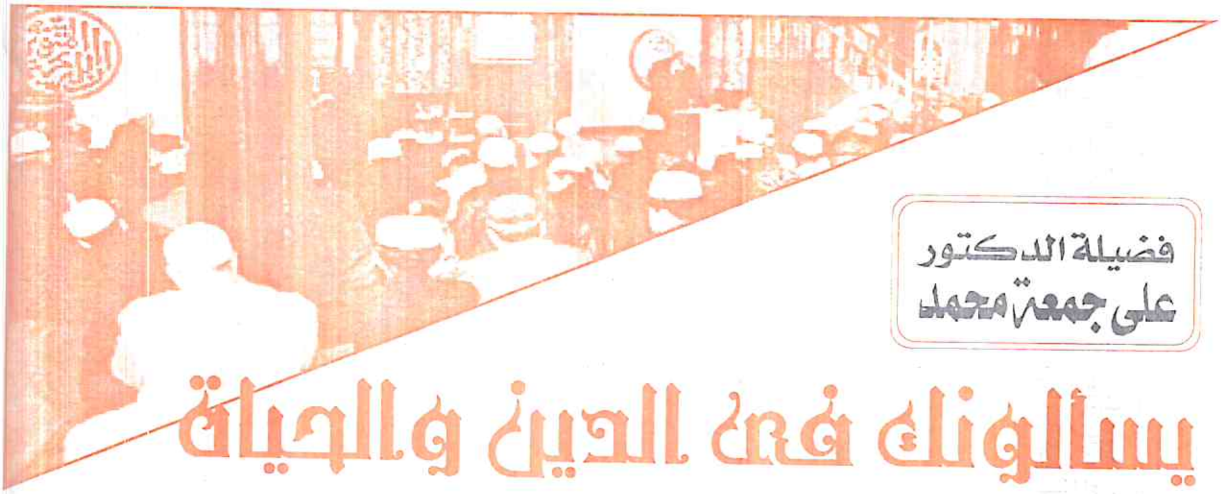

يسألونك فى الدين والحياة

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

حكم من وقع فى مشكلة ونذر أن يصوم شهراً فى حالة نجاته

السؤال من القارئ /عبد الكريم محمد على - البحيرة - إيتاى البارود يقول:

أنه كان قد وقع فى مشكلة ونذر لله تعالى إن هو نجّاه منها أن يصوم شهر رجب طوال عمره، وظل يصوم هذا الشهر لمدة تسع سنين متصلة، والآن قد تقدم به السن ويخشى ألاّ يستطيع الوفاء بنذره فيما بعد، فماذا يفعل؟

الجواب: الأصل أن نذر الطاعة منعقدٌ وأنه يجب الوفاء به على الوجه الذى أتى به صاحبه، وهو كل قُربة يوجبها المكلَّف على نفسه لا تكون واجبة ابتداءً؛ لقوله تعالى: ﴿وليُوفُوا نُذُورَهم﴾ (سورة الحج: آية ٢٩)، وقوله سبحانه : ﴿يُوفُونَ بالنَّذرِ﴾ (سورة الإنسان : آية ٧)، ولقول النبى ﷺ : «**مَن نَذَرَ أن يُطيعَ الله فليُطِعه، ومَن نَذَرَ أن يَعصيَه فلا يَعصِه**» رواه الإمام البخارى وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عَنها وأرضاها، هذا مع أن النذر فى الأصل مكروه كما هو مذهب أكثر الشافعية والمالكية والحنابلة؛ لحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : نَهى النبىُّ ﷺ عن النَّذرِ وقال «**إنَّه لا يَرُدُّ شَيئًا، وإنَّما يُستَخرَجُ به من البَخيلِ**» متفق عليه. إلا أنه يجب الوفاء به إذا كان نذر طاعة. قال الإمام الخطابى فى «**أعلام السُنَن**» : «هذا بابٌ من العلمِ غريبٌ؛ وهو أن يُنهى عن فعل شىء حتى إذا فُعِلَ كان واجبًا» اهـ.

والمحققون يحملون الكراهة فى الحديث على نذر «المجازاة»، وهو التزام قُربة فى مقابلة حصول نعمة أو اندفاع بلية؛ كأن يقول: لله علىَّ إن شُفىَ مريضى أن أتصدق بكذا، ووجه الكراهة - كما قال القرطبى فى «المُفهِم» - : (أنه لمّا أوقف فعل القُربة المذكورة على حصول الغرض المذكور ظهر أنه لم يتمَحَّض له نيةُ التقرب إلى الله تعالى بما صدر منه، بل سلك فيها مسلك المعاوضة، ويوضحه أنه لو لم يُشفَ مريضُه لم يتصدق بما علّقه على شفائه، وهذه حالة البخيل؛ فإنه لا يُخرِج من ماله شيئًا إلا بعوض عاجل يزيد على ما أخرجه غالبًا، وهذا المعنى هو المُشار إليه بقوله : «وإنما يُستَخرَجُ به من البَخيلِ» أهـ. وكذلك الحكم فيمن ظن أن للنذر تأثيرًا، كما أشار إليه الحديث، أو فيمن غلب على ظنه أنه لا يقوم بما التزمه.

أمّا نذر التبرُّر المطلق، أو «نذر الابتداء» فليس مكروهًا، بل هو قربة محضة؛ لأن للناذر فيه غرضًا صحيحًا كما قال القاضى حسين من الشافعية، وهو أن يُثاب عليه ثوابَ الواجب، وهو فوق ثواب التطوع. وقد أخرج الطبرى بسند صحيح - كما قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» - عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿**يُوفُونَ بالنَّذرِ**﴾ (سورة الإنسان : آية ٧)، قال : (كانوا يَنذُرونَ طاعةَ الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وما افتَرَضَ عليهم، فسَمّاهم الله أبرارًا)، قال الحافظ : (وهذا صريح فى أن الثناء وقع فى غير نذر المجازاة) اهـ.

وعند المالكية: أن نذر المكرَّر مكروهٌ، كمن نذر صوم كل يوم خميس أو كل شهر رجب؛ وذلك لِثقَله عند فعله وخوف التفريط فى وفائه.

● إذا تقرر ذلك فللفقهاء مسلكان فيمن نذر صوم وقت معيَّن؛ هل يتعين بتعيينه أم لا؟

فعند الحنفية: أنه لا يتعين بالتعيين، بل يُجزئه أن يصوم يومًا عن آخَر وشهرًا عن آخَر. قال العلاّمة الشرنبلالى الحنفى فى «مراقى الفلاح»: (وألغينا تعيينَ الزمانِ) وتعيين (المكان) وتعيين (الدرهم) وتعيين (الفقير)؛ لأن النذر إيجابُ الفعل فى الذمة من حيث هو قربة لا باعتبار وقوعه فى زمان ومكان وفقير، وتعيينُه للتقدير به أو التأجيل إليه، (فيجزئه صومُ) شهر (رجب عن نذره صومَ شعبان)؛ لوجود السبب، وهو النذر والقربة لقهر النفس، لا بوقوعه فى شهر بعينه، وفى تعجيله نفع له بتحصيل ثواب قد يفوت بموته أو طروء مانع قبل مجىء الوقت، وإن كان بإضافته قصد التخفيف حتى لو مات قبل مجىء ذلك الوقت لا يلزمه شىء فأعطيناه مقصوده] ا هـ.

والصحيح عند الشافعية: أنه يلزمه الوفاء بهذا النذر على الوجه الذى نذره أبداً؛ بناءً على أن الوقت المعين للصوم يتعين، ويقع الصوم متتابعًا؛ لتعيُّن أيام الشهر، وليس التتابع مستحَقًّا فى نفسه، فلو أفطر من هذا الشهر يومًا لا يلزمه الاستئناف، ولا يلزمه التتابع فى قضائه كما فى قضاء رمضان؛ بناءً على أن الواجب بالنذر لا يزيد على الواجب بالشرع.

وعند الحنابلة: أنه يتعين كذلك بالتعيين؛ فيلزمه صيامه كما نذره، لكنه إن أفطر قضى عندهم متتابعًا، فالقضاء عندهم كالأداء؛ كما وجب متتابعًا فإنه يُقضى متتابعًا.

● فإذا عجز عن أدائه عجزٌ لا يُرجى زوالُه لكِبَرٍ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤُه فقد اختلفوا : هل تجب عليه الفديةُ عن كل يوم يفطره، أو الكفارةُ ليَخرُجَ من النذر، أو أنه لا شىء عليه أصلاً؛ وذلك بناءً على أنه هل يُسلك بالنذر مَسلكَ واجب الشرع أم جائزه؟

فالجمهور من الحنفية والشافعية وهو المذهب عند الحنابلة يوجبون عليه الفدية (وهى إطعام مسكين عن كل يوم)، كما هو الحال فيمن عجز عن صيام شهر رمضان، ويزيد الحنابلة عليه كفارة يمين؛ مستدلين بقوله ﷺ : **(كَفَّارةُ النَّذرِ كَفَّارةُ اليَمِينِ)** رواه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وبحديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : **(مَن نَذَرَ نَذرًا لم يُسَمِّه فكَفَّارَتُه كَفَّارةُ يَمِينٍ، ومَن نَذَرَ نَذرًا فى مَعصيةٍ فكَفَّارَتُه كَفَّارةُ يَمِينٍ، ومَن نَذَرَ نَذرًا لا يُطِيقُه فكَفَّارَتُه كَفَّارةُ يَمِينٍ) رواه أبو داود، قال الحافظُ ابن حجر فى «بلوغ المرام» : (وإسناده صحيح؛ إلا أن الحُفَّاظ رَجَّحُوا وَقفَه)** اهـ. وعلى الرواية الأخرى عند الحنابلة لا يلزمه إلا الكفارة؛ لأن موجَبَ النذر موجَبُ اليمين. والشافعية لا يوجبون الكفارة إلا فى نذر اللَّجاج والغضب، ومِن العلماء مَن يجعل الكفارةَ فى النذر المطلَق أو نذر المعصية فقط.

أما المالكية فيُسقطون عنه وجوبَ أداء النذر عند العجز الذى لا يُرجى زوالُه، ولا يُلزِمونه بكفارة ولا فدية.

هذا، وقد حكى الإمام النووى فى «شرح مسلم» عند كلامه على حديث «كَفَّارةُ النَّذرِ كَفَّارةُ اليَمِينِ» مذاهب العلماءِ فى كفارة النذر فقال : (اختلَفَ العُلَماء فى المُراد به؛ فحَمَلَه جُمهُور أصحابنا على نَذر اللَّجاج، وهو أن يَقُول إنسانٌ يُريد الامتناع من كلام زيد مثلاً : إن كلمت زيدًا - مثلا - فلله علىَّ حَجَّة، أو غيرها، فيُكَلِّمه، فهو بالخيار بين كفارة يمين وبين ما التزمه، هذا هو الصحيح فى مذهبنا، وحمله مالك وكثيرون - أو الأكثرون - على النَّذر المطلق، كقوله : علىَّ نذر. وحمله أحمد وبعض أصحابنا على نذر المعصية، كمن نذر أن يشرب الخمر. وحمله جماعة من فقهاء أصحاب الحديث على جميع أنواع النذر، وقالوا : هو مُخَيَّر فى جميع النُّذُورات بين الوفاء بما التزم، وبين كفارة يمين) ا هـ.

وإن الناظر فى خلاف مجتهدى المذاهب فى هذا النوع الشاق من النذر ليلحظ الرحمة التى تقرر أنها تصحب اختلاف الفقهاء وتستبطن افتراق المجتهدين: فإنهم كرهوا هذا النوع من النذر أصلاً (من جهة تعليقه، ومن جهة تكراره كما سبق) لما فيه من المشقة على المكلف؛ فمنهم من خيّره بين الوفاء بما التزمه وبين كفارة يمين، وهم بعض فقهاء أصحاب الحديث، والجمهور أوجب عليه الوفاء بالنذر: ثم منهم من وسع عليه فى أدائه - وهم الحنفية - ، فأجازوا له أداءه فى غير وقته المعيَّن؛ بناءً على أنه لا يتعين بالتعيين، فإذا لم يَصُم وأراد القضاء فالشافعية ومن وافقهم يجيزون له التفريق فى قضاء ما أفطره كقضاء رمضان، فإن لم يستطع الصوم أداءً ولا قضاءً فالجمهور يوجبون عليه فديةً إطعامَ مسكينٍ عن كل يوم، والحنابلة فى رواية لا يُلزِمونه إلاَّ بالكفارة، والمالكية لا يوجبون عليه شيئًا لا فديةً ولا كفارةً.

وبناءً على ذلك وفى واقعة السؤال: فإذا لم تستطع الوفاء بنذرك ولو بالتفريق فى الأداء أو القضاء فعليك أن تُخرج فديةً إطعامَ مسكينٍ عن كل يوم تركت صومه إن كنت مُوسِرًا، فإن عَسُر عليك ذلك فيمكنك أن تخرج من نذرك هذا بكفارة يمين؛ أخذًا بإحدى الروايتين عند الحنابلة وبعض فقهاء أصحاب الحديث، فإن عَسُر عليك ذلك أيضًا فقلِّد المالكية ولا شىء عليك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

جواز ذبح الغزال واستخدام لحمه

السؤال من القارئ/ أحمد عبد اللطيف سيد - الدقهلية - طلخا

هل يجوز ذبح الغزال واستخدام لحمه للاستهلاك الآدمى؟

الجواب: يجوز ذبح الغزال واستخدام لحمه للاستهلاك الآدمى باتفاق علماء الأمة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم الذهب المقدم عند عقد الزواج إذا خلعت الزوجة نفسها

السؤال من القارئ / أحمد الطيب عبد الرحمن قليوبية - بنها يقول :

ما حكم الذهب المقدم عند عقد الزواج إذا خلعت الزوجة نفسها؟

الجواب: الذهب المقدم عند العقد إمّا هو ما تعارف عليه الناس أنه الشبكة، وإما أنه مهر الزوجة أو جزء من مهرها الذى يفرضه لها زوجها، وعلى كل فيجب على الزوجة أن تعيد هذا الذهب لزوجها عند اختلاعها منه. إلاّ أن يعفو هو عن ذلك.

ودليل ذلك أنه جرى العُرف على أن الشبكة التى يقدمها الخاطب لمخطوبته هى جزء من المهر؛ لأن الناس يتفقون عليها فى الزواج، وهذا يُخرجها عن دائرة الهدايا ويلحقها بالمهر، وقد جرى اعتبار العرف فى التشريع الإسلامى؛ لقوله تعالى : ﴿خُذِ العَفوَ وأمُر بالعُرف﴾ (الأعراف آية : ١٩٩)، وقد جاء فى الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه : «**ما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئٌ**» أخرجه أحمد والطيالسى فى مسنديهما، فالشبكة من المهر.

وفى الحديث الوارد فى شأن المختلعة الذى رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال النبى ﷺ لزوج المختلعة : «يا ثابتُ، اقبَلِ الحديقة وطلقها تطليقة»، والحديقة كانت مهرها المفروض لها من زوجها.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكم جواز إجبار الأب على الإنفاق على المحضون فى التعليم الخاص

السؤال من القارئ/ سعيد أحمد مرزوق - البحيرة - الدلنجات يقول :

هل يجوز إجبار الأب على الإنفاق على تعليم المحضون فى تعليم خاص؟ وهل له الحق فى اختيار نوع التعليم والمدرسة التى يتلقى فيها المحضون التعليم أم أن ذلك يسلب منه لصالح الحاضنة؟

الجواب: حضانة الأم لأولادها لا تَسلُب الأبَ الحقَّ فى تربية أولاده المحضونين وتوجيههم ورعايتهم والإشراف عليهم؛ بولايته الطبيعية والشرعية عليهم، وهو ملزم برعاية الله تعالى فيهم من باب كونه راعيا ومسئولاً عن رعيته، ولا يجب عليه الالتزام فى ظل ذلك بالإنفاق عليهم فى تعليم خاص خارج عن المدارس المعتادة، فإذا أرادت أمهم أو غيرها الإنفاق عليهم فى تعليم أرقى فلا بأس بذلك إذا وافق الأب عليه لما فى ذلك من تحقيق لمصالح المحضون التى هو منوط برعايتها، بغير أن يكون مُتَعَنِّتًا على حساب المحضون، فإذا بقى النزاع بين الأب والحاضنة قائما فالقاضى هو المُخَوَّل بالفصل بينهما للحفاظ على مصلحة المحضون.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم زواج رجل بحفيدة زوجته

السؤال من القارئ/ جمال عبد الله أحمد - الغربية - طنطا يقول :

هل يجوز أن يتزوج رجل بحفيدة زوجته التى دخل بها؛ بنت بنته من رجل آخر؟

الجواب: لا يجوز شرعًا للرجل أن يتزوج من حفيدة زوجته - التى دخل بها - من رجل آخر؛ لأنها تعد فرعا لزوجته، ولا يجوز شرعا أن يتزوج الشخص من فروع زوجته ولا من أصولها؛ فإن القاعدة أن الدخول بالأمهات يُحَرِّم البنات؛ أخذًا من قوله تعالى : **﴿وربائبُكم اللاتى فى حُجُورِكم مِن نِسائكم اللاتى دَخَلتُم بهنّ﴾** (النساء آية: ٢٣).

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم شرب الشيشة وتقديمها

السؤال من القارئ/علي حسن أحمد - أسوان - إدفو يقول:

ما حكم شرب الشيشة وتقديمها؟

الجواب: حرم الإسلام على الإنسان كل ما يضر بالبدن حسيا أو معنويا، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: **﴿ويُحِلُّ لهم الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عليهم الخَبائثَ﴾** (الأعراف الآية: ١٥٧) فالطيبات هي كل ما عاد على الإنسان بالنفع الحسي أو المعنوي، والخبائث هي كل ما ضَرّ الإنسان حسيا أو معنويا.

وقال تعالى: **﴿ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهلُكة﴾** (سورة البقرة الآية: ١٩٥). وروى أحمد وابن ماجه والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ضرر ولا ضرار»**، ورواه أيضا ابن ماجه والبيهقي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. ورواه أيضًا الطبراني وأبو نعيم عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي رضي الله عنه. وقد ثبت علميا أن التدخين بكل أنواعه من سجائر وشيشة وغيرهما مُضِرٌ بصحة وبدن الإنسان، وقد قررت ذلك منظمة الصحة العالمية وكذا المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وثبت كذلك أنه يسبب الأذى بالطريق المباشر، وهو التدخين، وبالطريق غير المباشر، وهو التدخين السلبي وتلويث البيئة، فيكون محرما، والمساعدة على الحرام حرام؛ لأن للوسائل حكم المقاصد، وقد قال عَزّ من قائل كريم: **﴿وتَعاوَنوا على البِرِّ والتَّقوى ولا تَعاوَنُوا على الإثمِ والعُدوانِ﴾** (سورة المائدة الآية: ٢).

وعليه يحرم التدخين بجميع صوره ومنها الشيشة، ويحرم تقديمها.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

ما حكم اللحية في الإسلام؟

السؤال من القارئ/ محمد حسين عبد الله - أسيوط - ديروط - النخيلة

ما حكم اللحية في الإسلام؟

الجواب: اللحية هي الشعر النابت على الخدين والذَّقَن.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تفيد مشروعية إطلاق اللحية منها: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ: **«خالِفُوا المُشرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحى وأحفُوا الشَّوارِبَ»**، رواه البخاري، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا للنبي ﷺ: **«جُزُّوا الشَّوارِبَ وأرخُوا اللِّحى: خالِفُوا المَجُوس»**، رواه مسلم، ومنها حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ **«عَشرٌ مِنَ الفِطرةِ...»** وعَدَّ منها: «إعفاء اللحية». قال ابن عابدين من الحنفية: «إعفاء اللحية تركها حتى تَكثّ وتكثر».

وذهب بعض العلماء - كالنووي الشافعي - إلى عدم الأخذ منها مطلقا، وأجاز بعض الحنفية والحنابلة الأخذ فيما يزيد على قبضة اليد، ومذاهب العلماء في حَلقها دائرة بين الحرمة والكراهة: يقول بالحرمة الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة ومتقدمي الشافعية، ويقول بالكراهة متأخرو الشافعية؛ حملاً للأمر على الندب؛ لتعلقه بالعادات كالأكل والشرب واللبس والجلوس والهيئة، ومثلوا ذلك بالأمر بالخِضاب والصلاة في النعلين ونحو ذلك.

ومن القواعد المقررة شرعا: أنه إنما يُنكَر فعل المتفق على تحريمه أو ترك المتفق على وجوبه، وأنه لا يُنكَر المختلف فيه، وأن الخروج من الخلاف مستحب، وأن مَن ابتُلِيَ بشيء من ذلك فله أن يقلد مَن أجاز فعله من أهل العلم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم الجمع بين المرأة وأرملة أبيها التي دخل بها

السؤال من القارئ/ عبد الحميد أحمد عبد الله - بني سويف - الواسطى

هل يجوز الجميع بين المرأة وأرملة أبيها التي دخل بها (أي أرملة حميه)؟

الجواب: لا يجوز؛ لأن الضابط في ذلك: (لا يجمع بين امرأتين لو فرض أيهما كان ذكرًا لم تَحِلّ للأخرى سواء أكانت الزوجية قائمة حقيقة أم حكمًا بأن كانت إحداهما أو كلتاهما في عدة، أو حتى بائنة عند الأحناف)، وإذا عقد عليهما مرتبين فالثاني منهما باطل، ويجب التفريق بينهما فورا، وإذا عقد عليهما معا فكلاهما باطل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم ممارسة مهنة الطب أثناء سنة الامتياز

السؤال من القارئ/ أحمد عبد الله حسين - الدقهلية - نبروه - الدروتين يقول :

هل يجوز لأطباء الامتياز ممارسة مهنة الطب بالأجر أثناء سنة الامتياز إن غلب على ظن طبيب الامتياز أنه لا يضر المرضى، وأنه وصل إلى الكفاءة المطلوبة فى الفرع الذى سيمارس المهنة عمليا فيه، علما بأن التدريب يكون مقسما إلى فروع: شهرين فى فرع من فروع الطب كالباطنة ثم شهرين أو أكثر فى فرع آخر.. وهكذا، فهل له أن يعمل فيما أتم التدريب فيه قبل إنهاء سنة الامتياز؟

الجواب: الممارسة المهنية للتطبيب تخضع فى ظل المجتمع الحاضر والأوضاع القائمة لضوابط وقواعد وقوانين الأصل فيها أنها محايدة، وما شُرِعَت ولا قُنِّنَت ضد شخص بعينه أو لصالح شخص بذاته، بل الذى يحكمها ويضبطها هو الصالح العام، والقاعدة الشرعية أنه عند تعارض المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة تقدم المصلحة العامة، والقاعدة الشرعية أيضا أن تصرفات الحاكم منوطة بالمصلحة، وقد يرى الشخص فى نفسه الكفاءة للتطبيب أو لممارسة الصيدلة أو بناء الأبنية أو غير ذلك من الممارسات التى تتعداه إلى غيره، ولكن رؤية الشخص لنفسه لا تصح أن تكون حاكمة على الآخرين. وأن يجعل الشخصُ الخلق وأرواحهم وأجسادهم محلاً لتَخَرُّصاته وتَكَهُّناته وآرائه الشخصية، فمن احترام المخلوقات جماداً أو حيوانا ناهيك عن الإنسان الذى قال الله تعالى فيه : **﴿ولقد كَرَّمنا بَنِى آدَمَ﴾** (سورة الإسراء الآية: ٧٠)، وقال عنه رسول الله ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» متفق عليه، وقال فيه فى حجة الوداع : «**كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم وغيره - من احترام المخلوقات الربانية ألاّ تكون حقل تجارب لظنون الواحد منّا وإن كانت غالبة عنده أو راجحة لديه، بل يجب الرجوع فى ذلك إلى الضوابط المهنية الحاكمة على الجميع لصالح الجميع، والتى الأصل فيها أنها تتحرى الوصول إلى أعلى قدر من المصلحة وارتكاب أقل قدر من المفسدة، ولكن الشيطان يعبث بصدر ابن آدم: فتكبُر فى عينه مصلحته الشخصية، وتتوارى وتتقازم لديه المصلحة العامة. ولو تُرك الأمر لتقديرات كلٍّ الشخصية وظنونه الغالبة لاستحلّ أقوامٌ دماءَ أقوامٍ وأموالهم **﴿وهم يَحسَبُون أنَّهم يُحسنُونَ صُنعًا﴾**. ومقياس حضارة الأمم ورُقِى المجتمعات يُقاس بانضباط الأفراد لصالح المجموع. وانهيار الدول وانتكاس العوامر يكون بتَفَلُّت الأفراد عن المنظومة الاجتماعية والقوانين الحاكمة.

وعليه فلا يجوز لطالب الطب ولا لغيره ممن قد يكون أكثر ثقافةً وخبرة وحنكةً فى علم الطب منه أن يمارس المهنة خارج الأُطُر القانونية والآداب النِّقابية.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم التعامل مع صناديق البورصة

السؤال من القارئ/ على جابر عبد الرشيد من محافظة دمياط - الزرقاء، يقول :

ادخرت مالا واشتريت به عددا من وثائق استثمار صندوق من صناديق البورصة من أحد البنوك المصرية الوطنية حيث يتغير سعر الوثيقة صعودا وهبوطا يوميا أو أسبوعيا حسب أسعار أسهم الشركات التى فى حوزة الصندوق والتى يتاجر بها. فما حكم ذلك؟

الجواب: البورصة ما هى إلا سوق للأوراق المالية والمعاملات التجارية، والتعامل فيها بشراء أسهم الشركات التى تتعامل فيما أَحلَّه الله تعالى أو بيعها جائزٌ شرعا بشرط أن يكون الشراء أو البيع بقصد المشاركة فى التجارة أو الصناعة أو النشاط الخدَمى الذى تقوم به المؤسسة مصدِرة الأسهم، أما إذا كان بقصد المضاربة على هذه الأسهم لإفساد الواقع المالى لهذه الأسهم والتدليس على جمهور المتعاملين فلا يجوز شرعا؛ لأن فيه نوعَ مقامرة، وإخلالا بالأسعار الواقعية لهذه المؤسسات المالية والتجارية، وتغريرا بالناس.

وعليه وفى واقعة السؤال فمتى ما كانت الأسهم التى يحتويها هذا الصندوق تخصّ مؤسسات مالية أو شركات أو مصانع أو نشاطات خدمية مباحة فالتعامل فى هذه الأسهم من خلال هذه الصناديق يكون جائزا شرعا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكم زواج المعــاق ذهنيــا

السؤال من القارئ /محمد أحمد عبد الله، من محافظة كفر الشيخ الحامول يقول: ما حكم زواج المعاق ذهنيا؟

الجواب: من حق المعاق ذهنيا أن يتزوج ما دامت أركان الزواج متوافرة، فإن كانت الشريعة قد أباحت زواج المجنون وأباحت الزواج من المجنونة، فالمعاق إعاقة عقلية بسيطة زواجه جائز من باب أولى، ولا حرج فيه، ما دام محاطا بالحرص على مصلحته محفوفا برعاية منافعه. وكتب الفقه تَعقِد مسائل وفصولا تتحدث فيها - فى كل المذاهب - عن زواج المجنون وولاية الإجبار عليه - كالولاية على الصغير - ويختلفون فى جعلها خاصة بالوالد والجد فقط أو تعديتها لبقية الأولياء، أو حتى للحاكم - أى القاضى - كل هذا لما فيه من مصلحة هذا الإنسان المركب فيه الشهوة والعاطفة، والمحتاج إلى سكن ونفقة ورعاية وعناية، شأنه شأن بقية بنى جنسه، مع زيادته عليهم باحتياج فى بعض النواحى التى مرجعها حالته الخاصة.

فنرى - مثلا - فى فقه الحنابلة فى كتاب (كشاف القناع) : «أمّا المجنونة فلجميع الأولياء تزويجها إذا ظهر منها الميل للرجال؛ لأن لها حاجة إلى النكاح؛ لدفع ضرر الشهوة عنها وصيانتها من الفجور وتحصيل المهر والنفقة والعفاف وصيانة العرض، فأبيح تزويجها،..... ويعرف ميلها إلى الرجال من كلامها وتتبع الرجال وميلها إليهم ونحوه من قرائن الأحوال، وكذا إن قال ثقة من أهل الطب - إن تعذر غيره - وإلا فاثنان: إنّ علتها تزول بتزويجها، فلكل ولى تزويجها؛ لأن ذلك من أعظم مصالحها، كالمداواة، ولو لم يكن للمجنونة ذات الشهوة ونحوها ولى إلا الحاكم زوّجها». أهـ

ومع الفارق بين المجنون وبين المعاق ذهنيًا إلاّ أن هناك جامعًا بينهما مؤثرًا فى قضية الزواج، وهو الحياة مع إنسان قابل للوطء منه أو فيه، مجبول على الحياة الاجتماعية، ومحتاج إلى الرعاية والكفالة والنفقة.

وغنى عن البيان أن المقصود من هيمنة الأولياء والأوصياء والكُفلاء هو محض المصلحة للمُولى عليه والموصى عليه والمكفول، لا أن يتحول الأمر إلى تجارة للرقيق الأبيض فى صورة استخدام هؤلاء المعاقين استخدامًا غير آدمى وغير أخلاقى.

وعليه فلا يُمنع المعاق ذهنيًا من الزواج؛ لأن الزواج شىء والإنجاب شىء آخر؛ فالزواج فيه أنس ورحمة ومودة وتعاون وإنفاق ومصاهرة ومعانٍ سامية كثيرة بالإضافة إلى الإنجاب، ولو كان الإنجاب ضروريًا لازمًا مرتبطا كليًا بالزواج لَمَا صح زواج الكبار الآيسين، أو العُقماء، أو الصغار، والتالى باطل، فانتفى المُقَدَّم وثَبَتَ نَقيضُه، وهو عدم اللزوم ولا الضرورة بين الزواج والإنجاب، وتمكن السيطرة بشكل أو بآخر - وهذا موضوع يُدلى فيه الخبراء وأهل الاختصاص بدلوهم - على عدم الإنجاب أو تأخيره أو تحديده بحسب المصلحة لكل حالة على حِدَتها.

والأصل أن القيّم والوالدين أو أحدهما تكون تصرفاته تجاه المعاق مقيدة بالمصلحة، دائرة معها؛ فإن كان فى مصلحته من الناحية النفسية أو الصحية أو حتى المادية الزواج فلا يجوز له الحيلولة بينه وبين ذلك، بل قد يمكن التأليف بين الحالات المتشابهة أو القريبة التشابه لإحداث الزواج بينها من خلال الجمعيات والروابط التى تنتظم أمثال هؤلاء المعاقين ذهنيًا، ويكون تأخير القائمين على هؤلاء فى جلب مصلحة لهم - حيث توافرت مقدماتها - فيه تقصير وإثم بقدر تحقق تخلفهم عن توصيل هذا الخير الذى يغلب على الظن حصوله للمعاقين.

والمُعَوَّل عليه فى تحديد المصالح البدنية : صحيةً ونفسيةً هم المتخصصون الحاذقون من أهل الطب. وعند الاختلاف والنزاع فى كون الزواج مصلحة للمعاق من عدمه فالرافع للنزاع حينئذ هو القاضى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة

نافذة على القراء

أحمد فاروق الهلباوى

دور الوقف

من القارئ/ أشرف فتحى محمود الجندى - تلا المنوفية:

لا شك أن الوقف ما زال يمثل مؤسسة كبرى تحيط العالم أجمع بسياج من المودة والرحمة لتقيل عثرة هذا العالم وتجعله عضواً فعالاً من أعضاء مؤسسة التنمية البشرية فى كافة مجالات الحياة. وللوقف دور على المستوى الفردى ودور على المستوى الجماعى، فالوقف يتسع بخيراته للجميع ويمكنه أن يتعدى الحدود والسدود وكافة القيود إذا تم تنفيذ نظامه وتوزيع عوائده على الموقوف عليهم فى داخل البلاد وخارجها.

إن الوقف الإسلامى يمكن من خلال عوائده الكبيرة فى شتى البلاد الإسلامية أن يتم تجميعه فى صندوق يضم دول العالم الإسلامى بأسرها، ويقوم بمد يد العون إلى كل أبناء الشعوب الإسلامية.

وإذا كانت القوى الكبرى قد جمعت صفوفها وخصصت بعض أموالها فى صناديق مثل صندوق النقد الدولى لإقراض الشعوب الفقيرة أو النامية بهدف الأخذ بيدها من العثرات الاقتصادية لرفع مستوى معيشتها ولضمها إلى الركب الحضارى. فإن رسالة الأوقاف تدعو إلى الخدمة فى المجالات الإنسانية، وينبغى على أغنياء الأمة الإسراع إلى الخير لأنه الحل لكثير من المشاكل الموجودة فى عالمنا الإسلامى حتى يعرفوا فضل الله عليهم ويقروا بنعمته ويتحدثوا بها لحماية الأمة الإسلامية من غوائل الأعداء وعضال الداء قبل فوات الأوان.

وبعد.. فإن النظام الإسلامى سبق كل الأنظمة السياسية بابتداع نظام الوقف لما له من ضرورات اجتماعية واقتصادية وغير ذلك من الضرورات، فما أحوجنا لإحياء نظام الوقف ليكون نبراسًا فى حياتنا بصفة عامة.

سلوكيات منحرفة

من القارئ /جمعة النجار - المنصورة - منية سندوب.

هناك أنواع من الانحراف يكون فيها المنحرف مجنيا عليه، وقد نظم شباب برج البرلس بمحافظة كفر الشيخ ندوة تحت عنوان «الوقاية خير من العلاج» كشف خلالها الخبراء عن إحصائيات خطيرة أبرزها: أن ٦٥٪ من المدمنين فى سن الشباب والطفولة، وأن السيجارة تضم ٢٣٠ مادة سامة، وأن ٩٠٪ من مرضى السرطان مدخنون للشيشة. وأكدت الأبحاث أن انتشار ظاهرة التدخين والإدمان ترجع إلى التفكك الأسرى وتدليل الأبناء وغياب القدوة وانتشار تجارة البانجو، ومن الضرورى التصدى لهذه الظاهرة واللجوء إلى ديمقراطية الحوار والمناقشة داخل الأسرة، والتوسع فى تنظيم الندوات التى تحذر من الإدمان والتدخين. وفى تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن فى مصر ٦ ملايين مدخن: طلاب الجامعة منهم حوالى ١٠٪، والمدرسون ٧٪، ومن أضرار التدخين المعروفة ومن قبيل التذكرة:

١ - تجعل الفرد مريضًا نفسيًا وجسديًا وفكريًا.

٢ - تؤدى إلى السقوط فى براثن الانحراف الشاذة.

٣ - ضعف الذاكرة والنمو العقلى والتعرض للتأخر الدراسى.

٤ - التغير فى السلوك الاجتماعى والاتجاهات العدوانية.

٥ - فقدان الشهية والخمول المسيطر على أجزاء الجسم.

٦ - اضمحلال الجسم نتيجة الأمراض المبكرة الناتجة عن التدخين.

وبعد.. فما أحوجنا إلى النصيحة عندما تكون من إنسان صدوق، وما أحوجنا إلى تعاليم الإسلام لنخرج من هذه الدنيا معافين فى الدين والبدن، فقد دعا الإسلام إلى إنفاق المال فيما ينفع ولا يضر، فما أحوجنا إلى العمل الصالح فى الدنيا ليكون مانعًا لنا من النار.

من آراء المستشرقين المنصفين
جون إسبيستو

من القارئ / عبد الحكيم عبد الحفيظ - الزيتون - محافظة القاهرة

مما لا شك فيه أن المرأة قد لعبت دورًا مهمًا فى المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى، وأيضًا فى حياة النبى ﷺ والدلائل التى تشير أن السيدة خديجة زوج الرسول ﷺ كانت أول من تعلمت، وعلاوة على ذلك أدارت تجارتها بنفسها ثم استعانت بالنبى ﷺ يباشر لها أعمالها ثم تقدمت لخطبة النبى ﷺ.

وهذه الواقعة دفعت الفقهاء إلى القول بأنه من الجائز أن تتقدم النساء لخطبة الرجال إذا أرادت هى ذلك.

وقد خاضت المرأة معارك وداوت الجرحى فى عصر النبى ﷺ، وكانت المرأة تستشار بمن أحق أن يتولى الخلافة بعد وفاة النبى ﷺ.

وقد شاركت المرأة أيضًا فى جمع القرآن، ولعبت دورًا مهمًا فى نقل أحاديث النبى ﷺ العديدة (الأحاديث النبوية).

وفى حقيقة الأمر أن صلاة المرأة مع الرجال فى المسجد هى دليل أيضًا على المساواة فى الحياة العامة فى العصور الأولى فى الإسلام.

إن المرأة فى عصور المجتمع الإسلامى كانت تقوم بعملية البيع والشراء، وكانت تشارك فى الصفقات التجارية، وكانت تشجع على تلقى العلم وطلبه، وإن كثيرًا من النساء قد تعلمن أمور دينهن فى بيت النبوة، وقد لعبت السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ وزوجة الإمام على وأم الحسن والحسين دورًا بارزًا مهمًا فى المجتمع الإسلامى، فكانت نموذج المرأة الفاضلة مثل ابنها الحسين، فكانت حياتها مثالاً للتراحم، وأيضًا السيدة عائشة زوج النبى ﷺ لعبت دورًا مهمًا فريدًا وكانت أحد رواة الحديث عن النبى ﷺ.

وفى الحياة السياسية قامت النساء بالبيعة إلى النبى ﷺ وذلك دون علم أو موافقة أفراد الأسرة من الذكور.

وفى كثير من الحالات قد تميزت المرأة باهتدائها إلى الإسلام قبل الرجال فى نفس الأسرة، والخليفة الثانى عمر ابن الخطاب قام بتنصيب المرأة كمراقبة فى أسواق المدينة، والمذهب الحنبلى يؤكد حق المرأة فى أن تتولى قاضية، والقرآن الحنيف يؤكد بالأمثلة زعامة ملكة سبأ كمثال حىّ على ذلك، والقرآن يبين ويقص قصة تلك الملكة ويصف قدراتها على الإيفاء بمتطلبات شعبها وإيمانها الصافى ومهاراتها السياسية واصفًا المرأة كقائدة سياسية نشطة.

مسابقة منبر الإسلام الدينية. جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ

(ألف العرب بعض الكلمات وبعض السلوكيات وبعض الأدعية والمسميات وبعض العلوم والفنون. وكل ما وافق الوحى، ولم تكن فيه مخالفة بقى على أصله، وما كانت فيه مخالفة كانت الدعوة إلى تغييره مع ذكر العلة حينًا وتركها أحيانًا أخرى).

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٩هـ حتى شعبان ١٤٣٠هـ

دخول الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة

ورد إلى بريد القراء رسالة مفادها ما يأتى :

عن استشكال ما جاء فى حديث : «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه **كلب ولا صورة**» مع الأحاديث التى ذكر فيها أن الملائكة تتكفل بمتابعة أطوار ومراحل خلق الطفل منذ التقاء أبيه بأمه فى العلاقة الجنسية، وكذلك الملائكة الحفظة للإنسان وغير ذلك.

ومجمل الجواب كما ذكره شراح الحديث أن المراد بالملائكة التى لا تدخل البيوت فى حالة وجود هذه الأشياء هم نوع خاص من الملائكة غير ملائكة الحفظ والمتابعة للمخلوقين، وهم ملائكة المهمات الخاصة؛ كالملائكة التى تحضر مجالس العلم أو المباركة لبعض أعمال الصالحين وغيرها.

وأيضا هذه الأحاديث فيها عموم مع وجود أحاديث أخرى مخصصة، وقد ذكر أبو داود فى سننه عقب حديث عدم دخول الملائكة المذكور - حديث أن جبريل عليه السلام أخبر الرسول ﷺ أن يجعل الستارة التى فيها الصورة فى وضع آخر وهو كسوة بعض الوسائد بها.

وذكر أيضًا حديثًا آخر بأن الرسول ﷺ أجاز إبقاء كلب الحراسة . ينظر : سنن أبى داود مع شرحه بذل المجهود للسهار نفورى - كتاب الطهارة حديث (٢٢٧)، وكتاب اللباس حديث ٤١٥٢ - ٤١٥٨ .

ردود سريعة:

القارئ/ فاضل محمد خالد خطاب - المتانيا - العياط

● إن ما ذكرته فى خطابك مشاعر طيبة نحو قضية العرب والمسلمين الأزلية التى لا بد وأن تحل مهما طال الزمن، وعليك بأوائل سورة الإسراء حتى تستريح، ولا يعنى ذلك أن نستكين، فعلينا أن نعد لهم ما نستطيع من كل أسباب القوة والمنعة حتى نكون مستعدين عند اللقاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

القارئ/ أشرف فتحى محمود الجندى -- ميت أبو الكوم - تلا - منوفية

● أشكرك كثيرًا جدًا على ما ترسله لنا من موضوعات، وقد لخصت موضوعك عن دور الوقف وأهميته فى بناء المستقبل. وأتمنى أن تكون الموضوعات المرسلة مركزة أكثر من هذا نظرًا لأن العبرة ليست بكثرة المكتوب ولكن العبرة بما قلّ ودلّ.

من القارئ/ طارق عزت الجمل - الحوامدية - جيزة

● أشكركم على ثنائكم على المجلة الموقرة، وأتمنى أن نكون عند حسن ظنكم، وأدعو الله أن نظل فى خدمة الإسلام والمسلمين ما حيينا.

ترقبوا

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أمهات كتب التراث الإسلامى

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والمفاهيم الإسلامية العامة وشتى مناحى الحياة

مع الإصدارات الشهرية من مجلة منبر الإسلام

وسلسلتى دراسات وقضايا إسلامية

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

اقلب الصفحة

بريد التعارف

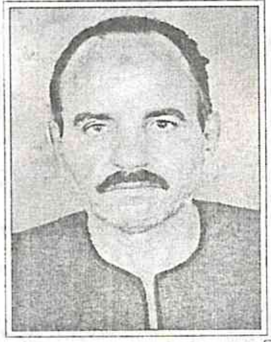

الاسم : عبد الرازق محمد السيد عثمان
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : طما شارع أحمد ماهر المخبز الآلى

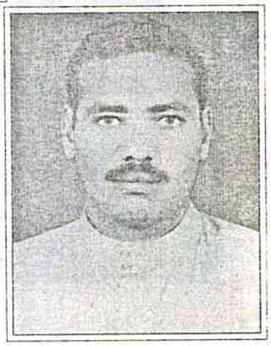

الاسم : حمادة محمد حسنين حسن
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان: المملكة العربية السعودية - جدة

الاسم : راضى محمد النوارجى
الهواية : كتابة الشعر وقراءة القرآن الكريم
العنوان : صان الحجر - شرقية

الاسم : أسامة زكريا مرزوق بدر
الهواية : قراءة القرآن الكريم والخطابة
العنوان : دمياط - شطا - خلف مطعم عزمى - بجوار المخبز الآلى

الاسم : شرف إبراهيم محمد عبد العال
الهواية : قراءة الكتب الدينية واستماع الأخبار
العنوان: قنا- مركز دشنا- أبو دياب شرق نجع منصور

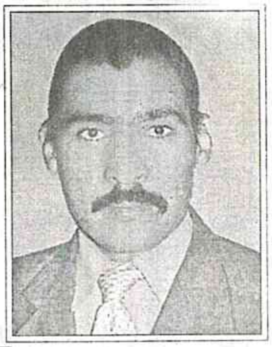

الاسم : الحسينى البدرى محمد أحمد
الهواية: قراءة القراءة الكريم
العنوان: طما - شارع الجمهورية

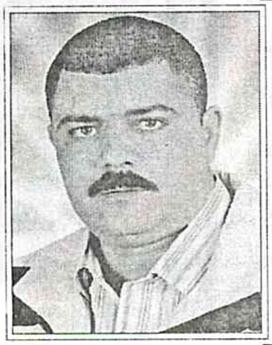

الاسم : محمود غزالى أحمد محمود
الهواية : القراءة والاطلاع فى شتى المجالات
العنوان : قنا - قوص

الاسم : عرفة محمد أحمد
الهواية : تلاوة القرآن الكريم والاطلاع الدينى
العنوان : جرجا - شارع الإمام الطبرى - سوهاج

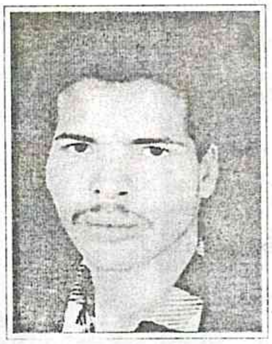

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم : جلال عومان

الهواية : قراءة القرآن الكريم

العنوان : القومية العربية إمبابة - جيزة

الاسم : يوسف عبد الكريم عبد الجليل

الهواية : حفظ القرآن الكريم والخطابة

العنوان: معهد أبو السحما الثانوى

الاسم : شعبان رجب متولى رجب

الهواية : قراءة الكتب الدينية - المراسلة

العنوان : قرية باها - مركز بنى سويف - محافظة بنى سويف

الاسم : عبد الجواد أحمد محمود على

الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم

العنوان : سوهاج - العزيزات

الاسم : محمد مصطفى إسماعيل

الهواية : قراءة الكتب الدينية واستماع الأخبار

العنوان: ميت حلفا - قليوبية

الاسم : محمد صلاح أحمد الحسينى

الهواية: القراءة - الرياضة

العنوان: المنصورة - مركز دكرنس - الدقهلية

الاسم : حسام نجاح عبد الحميد

الهواية : الاطلاع الدينى

العنوان : المطرية - القاهرة

الاسم : المصرى محمود أحمد

الهواية : قراءة القرآن الكريم والاطلاع الدينى

العنوان : المجابرة - جرجا - سوهاج

مجلة منبر الإسلام

تفتح آفاقها على العالم الإسلامى بكل جديد ومفيد

سارع باقتناء نسختك

مجلة الفردوس للطفل المسلم «هدية»

رسول الله أنت لنا حبيبُ

شعر الدكتور/ عبدالحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

رسـول الله أنت لنا حبيبُ ∴ رسول الله تفديك القلوبُ
نبى الله أنت لنا ضياءٌ ∴ يضىء الكونَ ذا كونٌ رَحيبُ
حبيب الله حبك فى فؤادى ∴ ودقات القلوب لكم تجيبُ
دعوت الله أن يحيا فؤادى ∴ بحبك والقلوب لها وجيبُ
ينير الكون دينك فى صفاءٍ ∴ وتشرق شمسه ولها لهيبُ
تحرق كل من يبغى فساداً ∴ لمحو الدين ذا أمرٌ عجيبُ
أنا والله لا أرجو احترامًا ∴ لأفاقٍ له عبثٌ قريبُ
وأطلب عزة للدين دومًا ∴ هو الإسلام والدين الحبيبُ
هو الدينُ المفضل عند ربِّى ∴ بل الدين المعظم والنجيبُ
وإن الدين عند الله ربِّى ∴ هو الإسلام والأفق الرَّحيبُ
هو الإسلام غاية كل ساعٍ ∴ إلى الخلق العظيم له مُجيبُ
فثبت يا إلهى كل عزمٍ ∴ لنصر الدين غاية من يصيبُ
وثبت من خطى الأقدام دومًا ∴ لسعى للمقاصد لايخيبُ
هو الإسلام فى عزٍّ ونصرٍ ∴ وقاصده له أملٍ حبيبُ
بنصر الله ينتصر من أرادوا ∴ نجاح القصد قصداً لايغيبُ
وحقق يا إلهى كل عزٍّ ∴ لهذا الدين حقًا لايريبُ
على المآذن يعلو الله أكبر ∴ يجلجل فى الفضاء هو الرتيبُ
وما الإسلام إلا خير دينٍ ∴ ينير القلب يعشقه اللبيبُ
هو الشرف المتوج فى علوٌ ∴ وناصره هو الله الحسيبُ
وتنشرح الصدور إذا قرأنا ∴ كتاب الله يدعونا نجيبُ

Pollution is one form of corruption, "fasad" in Arabic, mentioned in the Glorious Qur'ân eight times. Counting the derivations of the word "fasad" mentioned elsewhere in the Qur'ân raises the number to 49. "fasad" involves physical corruption like disrupting the environmental phenomena and the contents of the universe (water, soil, food) by foolish human interference in the natural balance created by Allâh the Almighty, Who did so wisely, perfectly and infallibly to fit the life of all creatures.

Water pollution in general means polluting water streams, wells, rivers, seas, rain and underground water in such a way that makes it unfit for man, animals, plants, or the sea and ocean creatures. Air pollution involves the discharge of gases, smoke and fumes (the soild, liquid and gaseous forms of matter) into the air surrounding living creatures, and the change of its natural composition. This leads ultimately to the unsuitability of the habitat, contrary to what Allâh willed for His creatures. Physiological, economic and biological damages are, in fact, devastating to man, animals, plants and other creatures.

It is highly portentous that pollution reached places hitherto unthinkable. The rate of lead in snow in Greenland was found to be higher than the rate some decades ago. This is a peculiar phenomenon as the island is almost deserted. It has no cars or factories. Finally, it was concluded that this high rate was attributed to the winds, which carried the vapor, smoke and gases from European factories to such remote territories.

Soil pollution is a form of corruption of the natural properties and compositions created by Allâh to serve vegetation and the preservation of pure rainwater. Air pollution can affect the water and soil also, since air, water and soil are systems that are closely interrelated.

Any form of reverting the straight-forwardness enjoined in the saying of Muhammad (PBUH): "Say believe in Allâh, then be straight forward," pollutes life in this world. The necessities of life are to be obtained honestly. Theft, bribery, embezzlement, and such things pollute what one does for a living. Islam defines the relationship between people and the society, and between them and the vast universe on the bases of love, amity, peace, cooperation, fraternity, and the rejection of grievances, envy, hatred and hard feelings. All forms of hatred, envy, spoiling the relationships between people, terrorizing the peaceful, usurping land and property, looting and all plundering, or involving the world in destructive wars are all pollution of the security and stability of life. Marriage is the proper form of satisfying the sexual activity. Adultery, fornication or homosexuality and such things are a pollution of the souls and the puirty of genealogies.

The moral environment is the mental state of an individual, a group, or a country, within which the international acts of the individuals occur. It may be so wide as to include several countries or continents if their populations belong to one moral code and live according to a comprehensive moral ground.

This environment may be good or evil. A good moral environmental encompasses the individuals of a society who live by certain morals like tolerance, patience, endurance, generosity, chivalry, courage, justice, chairty, humility, pride and high energy and others. An evil moral environment is one pervaded by low morals like treachery, lying, cheating, trickery, panic, roughness, permissiveness, spouse insolence, indecency, slander, hypocrisy, arrogance, despair, etc.

Islam commends kindness and calls for spreading virtues among people. It lays down, the foundations for a healthy moral environment. The Messenger of Allâh, Muhammad Ibn Abdullah (PBUH) is the epitome of this code. The Qur'ân describes him in many ways.

The Prophet (PBUH) was enjoined to observe good manners and behaviour. The order applies to all Muslim:

Repel (the evil) with one which is better (i.e. Allâh orders the faithful believers to be patient at the time of anger, and to excuse those who treat them badly), then verily he, between whom and you there was enmity, (will become) as though he was a close friend. (Fussilat: 34)

The Messenger of Allâh says that he has been sent to perfect the virtuous moals. This means that the previous heavenly messengers came to call for the worship of Allâh alone and then for the virtues. Muhammad (PBUH) came to complete the framework of virtues.

Calmness relaxes the nerves, noise irritates them: Concentration and deep contemplation need a calm atmosphere to allow the person to be creative. The noise from a wedding down the street to me has compelled me to stop at this point until the street is calm once again.

Generally, life in a big city like Cairo is full of noise. An intellectual can hardly be creative in such an atmoshpere. Like all major cities, the roaring of machines and the clinging of steel conceal the humming of bees and the twittering of birds. Chimneys and discharged toxic smokes replaces the gardens and parks that gave sweet smells. Noise also disturbs those sleeping, leading to musclar contractions, so that one wakes up feeling tired rather than fresh.

Now, in the Glorious Qur'ân , are the verses that call to avoid noise, such as the following:

"And offer your Salât (prayer) neither aloud nor in a low voice, but follow a way between". (Al-Isrâ': 110)

"O you who believe! Raise not your voices above the voise of the Prophet (PBUH), nor speak aloud to him in talk as you speak aloud to one another, lest your deeds should be rendered fruitless while you perceive not. Verily! Those who lower their voices in the presence of Allâh's Messenger (PBUH), they are the ones whose hearts Allâh has tested for piety. For them is forgiveness and a great reward". (Al-Hujurât: 2-3)

"And be moderate (or show no insolence) in your walking, and lower your voice. Verily, the harshest of all voices is the braying of the ass". (Luqmân: 19)

The Qur'ân and the Sunnah enjoin quietude and self-control as well as caring for the feelings of the others, and avoiding anything that can hurt them: even a loud voice. The first verse orders Muslims not to voice their prayer too loud, nor in an inaudible voice. They should seek a middle course in the "jahriyah" (in Arabic, articulated so as to be heard) prayer and not the "sirryah" (in Arabic, sub-vocalized). In the second verse, the Muslims are asked to lower their voices in the presence of Prophet Muhammad (PBUH). The injunction is both particular and general. Noise must generally be avoided particularly in solemn gatherings. The last verse carries Luqman's exhortations to his son, and approves of them. The exhortations of previous prophets and apostles that are mentioned in the Qur'ân are meant to be a source of advice to Muslims. In Luqman's exhortation, the son is advised to lower his voice, and avoid speaking unnecessarily loud. To instill this message, he uses the metaphor of the braying ass, which implies that any pollutant of the environment or anything that is conducive to public discomfort is just as unpleasant and hateful.

At the time of the Prophet (PBUH), his Companions were considering how to call for the five daily prayers at their appointed time. Suggestions included blowing a horn, drumming or ringing of bells, but all were turned down by Prophet Muhammad (PBUH). Allâh revealed to one of the Companions, in his dream, a procedure in calling the prayer. He proposed it to the Prophet (PBUH) who approved of it. But the Prophet chose Bilal to do so because of the sweetness of his voice. In conclusion, it should be noted that the noise pervading some so-called Islamic countries has nothing to do with Islam. Unless the teachings, principles and the code of behavior approved by Islam are adhered to, one can not pretend to be a real Muslim.

Pollution in the Natural Environment and Ethical Environment

Pollution is any quantitative or qualitative change in the animate of inanimate components that cannot be accommodated by the ecological systems without disturbing their balance. Before the industrial revolution there were no problems with pollution as the natural cycles of ecological systems could easily accommodate and recycle the waste of the different human activities.

Pollution as a quantitative change only rises as the rates increase of some natural components in the environment, such as the rise in carbon dioxide due to massive forest fires. Quantitative change may also occur as a result of a slight addition to a certain material in a sensitive area, such as oil spillages from tankers due to accidents or defects. It also occurs as a result of introducing lethal or toxic materials, even in their normal concentrations, such a mercury, carbon oxides and radioactive material.

Qualitative pollution results from the addition of synthetic or industrial compounds foreign to the natural ecological systems, which accumulate in water, air, food, or soil. Foremost among these are insecticides and herbicides. Pesticides containing chlorine, like DDT, have proven to be the most dangerous compound.

drum congests and may be pierced due to mechanical changes. It also involves the middle ear, as the parts may be torn and loose, then bleed and an aqueous fluid can subsequently appear in it.

Deafness means a weakening in the hearing. It may be temporary, partial or complete. The human ear endure sounds safely up to 60 dB, but may be injured by more intensive sounds that affect it constantly or temporairly. Deafness happens at the following stages:

1. Weakness in hearing for a short period that may disappear after some minutes or hours (with occasional loud noises in factories, workshops or crowded places).

2. Constant weakness, due to which one fails to hear a quiet talking (usually resulting from continuous daily exposure to high noise).

3. Complete permanent deafness (resulting from a continuous daily exposure to very high noise like explosions and bombs).

Records on workers in Sweden indicated that many are exposed to loud machinery noise daily. About 5000 suffered hearing loss in 1973 and the figure rose to 16,000 in 1977. An official report of the Environment Affairs Council in US issued in 1970 indicated that about 16 million industrial workers faced the risk of losing their jobs due to the weakness in their hearing abilities.

2. Non-Auditory Damage:

The Fetus: The fetus floats on fluids that protect it from jerking movements, but barely from noise. It can hear internal sounds (the mother's heart beat, the movement of the intestines, and the air in her lungs) as well as external sounds (the mother's voise and any surrounding sounds or voices). Studies indicate that the fetus experiences muscular spasms if the mother is exposed to excessive noise. It develops a response similar to the post-delivery- "Motor reflex action". The heartbeat of the fetus, after its sixth month, accelerates if the mother is exposed to extreme noise. Research conducted on animal fetuses, when human cases are difficult to study, reveal bone deformities in the fetuses whose mothers were exposed to noise that led to a hormone imbalance.

The Nervous System, the Circulatory System and the Endocrine Glands:

Extreme noise affects the nervous system, and creates electric pulses that travel through the fibers to the brain cortex, the highest functional region in the brain. The cells of the cortex are stimulated to identify incoming noise. Subcortex regions are also affected, particulary the reticular formation (a lump of cells at the base of the brain) which is directly related to the higher layers of the brain up to the meninges, as well as the spinal cord. Consequently, the autonomic nervous system, particularly the sympathetic system is stimulated. The latter controls the circulatory system (the heart and the blood vessels), the function of the endocrine glands and the digestive system- particularly the stomach. Disorders of varied intensity occur according to the intensity and duration of the noise, and are reflected in several physical disorders.

Medical studies also indicate that noise leads to higher rates of cholesterol and tri-glyceride in the blood, which blocks the blood vessels and leads to heart attacks and heart failure. Excessive production of the corticosteroid hormones is related to heart attacks, and is caused by the effect of noise on the adrenal gland.

3. Psychological and Social Damage:

Man- and animals- behave properly when in a stable, normal mental state, according to the observations of psycho-sociologist Charles Kort and some of his colleagues. The study showed 2567 cases of people who live in noisy areas and heavy traffic in Holland. Psychological studies on industrial workers indicate that those who are subject to high-density noise suffer from irritability, dizziness, headaches, moodiness and anxiety.

Children are naturally more affected by noise than adults. The mental capacities of school pupils are influenced by the surrounding noise, for example near airports where they feel distracted and frustrated. Children under 7 are the most sensitive to noise, as they become annoyed and often cry if they hear a sudden loud sound.

Soft music calms the nerves, whereas the loud music and jerky movements performed by young people in nightclubs leads to severe tension due to the effect of amplifiers, not to mention the auditory harms indicated earlier.

This is due to the following factors: noise is caused by a variety of sources everywhere. It is not easily targeted; the effect of noise disappears as it stops, without leaving a lasting trace on the environment, although continuous exposure to noise leads to certain disorders, as explained below; noise is a domestic or local environmental pollutant. Unlike water and air, its effects do not spread from one country to another.

What is the Definition of Noise?

According to the Encyclopedia Americana, it is the pressure that harms man and other animals. Sir. A. Wilson Committee of Noise Affairs defines it as the sound that is undersirable to the receiver. A recent definition of noise is that it is a form of environmental pollution that is not less dangerous than man-made toxins.

Noise is measured by "phon" and "decibel" (dB)- the former being the unit of sound pitch, the latter being the unit of its pressure or impact. At 1000 Hertz, phon= 100db, at 3500 Hertz: 100 phon=89 dB, and at 50 Hertz: 100 phon= 110dB. The decible is the minimum of the difference between two sounds detectable by the human ear. At zero, the sound is very low. It rises gradually until 130 dB at which degree it becomes painful. Scientists have determined the noise values of some sounds in nature and measured them in dB:

- Natural breathing- 10dB;
- Rush of tree leaves in breeze- 50dB;
- Traffic in a crowded street- 70dB;
- A large water fall- 90dB;
- A nearby machinegun- 130dB;
- Aircraft taking off- 140dB;
- A rocket in lift- off- 175dB;

Sound are divided into the following categories: very quiet, queit, audible medium, high, and noisy. The last category is painful at 130dB. There are several sources producing this noise:

- Some natural sources like thunder, storms, clashing waves, dogs barking, wind, waterfalls, avalanches, fires, etc.

- Man-made noise coming from agricultural and industrial equipment, transportation etc, and even household tools, machines and instruments.

In major cities, one kind of noise is known as the "ambient or background noise", which means everything one may hear at home, in the street and at work, created by planes- particulary jets- traffic, street vendors, children playing, radios and other audio sets, washing machines, factory manchinery, workshops, live bands, etc.

The Dangerous Effects Noise:

Noise has seriously bad effects on the human ear. But does it have physical, psychological or social effects?

1. The Auditory Damage:

The level of noise in major cities and urban centers has become so serious that it will be a danger to public health if it continues at the present rate. Although noise has existed around man for millions of years, its medical dangers have only been recognized since 1930, when homes were used in different kinds of vehicles running inside and between cities. One of the earliest studies on the biological effects of noise was that sponsored by US Naval research office under the supervision of the University of Chicago, and published in early December in 1953. It indicated that US marines who worked in noisy conditions suffered from excessive fatigue, occasional nausea, and loss of libido.

Reports filed by research committees in the following decades indicated that more than 20 million people were suffering from noise- induced hearing loss in the US alone, as noise was the most prominent of the environmental pollutants. A study concluded in 1968 by the Federal Council of Science and Technology (specific committee for the environment) warned that about 4.5 million workers might apply for compensation for loss of hearning.

Excessive noise damages thousands of cells in the ear leading to an immediate loss of hearing, which happens in explosions and wars. Constant exposure to noise may lead to a gardual damage of the cells and a gradual loss of hearing. Deafness may even result from a bullet fired or an explosion. In the former case, deafness results from auditory waves, whereas in the second it results from pressure waves. The pathological disorders in that case involve the outer ear, as the

man for survival and natural resources, man has designed deadly poison which he breathes in or drinks and eats through crops, meat and dairy produce.

The corrupters of the earth, whether those who deny God, practice injustice or go against the universal laws, are referred to by the following Qur'ân ic verses:

"And of mankind there is he whose speech may please you (O Muhammad PBUH), in this worldlly life, and he calls Allâh to witness as to that which is in his heart, yet he is the most quarrelsome of the opponents. And when he turns aways (from you "O Muhammad PBUH"), his effort in the land is to make mischief therein and to destroy the crops and the cattle, and Allâh likes not mischief." (Al-Baqarah: 204-205)

An incidence occurred prior to these verses being revealed. A man named Al-Akhnas Ibn Shuriq came to the Prophet Muhammad (PBUH) to embrace Islam, but as he turned to leave, he happened to pass by a pasture and grazing animals. He set it alight and killed the cattle. The verses were sent down as a sign of Divine disapproval.

This incident recure over history on a wider scale involving millions of people throughout the earth. The natural wealth deposited by Allâh for the benefit of mankind has been spoiled. Selfishness and aggression have overcome mankind, as they have become corrupters of earth, the surrounding atmosphere and neighboring outer space. Allâh the Almighty says:

"Evil (sins and disobedience of Allâh) has appeared on land and sea because of what the hands of men have earned (by oppresion and evil deeds), that (He) Allâh may make them taste a part of that which they have done, in order that they may return (by repenting to Allâh, and begging His Pardon)." (Ar-Rûm: 41)

Mischief on the land and sea is inflicted by man's unwary interference with the natural laws and environmental systems that are ultimately against his own interests. Environment pollution, which is tantamount to the disruption of natural balance, is the main form of corruption on earth.

As Allâh created man on earth, he decreed that man should preserve this habitat. He gave man the right to invest in it and benefit from it. He enjoined upon man not to cause mischief anywhere. He addresses whoever may think of disturbing the natural balance, the earthly equilibrium, or inflicting injustice.

"And seek not mischief in the land. Verily, Allâh likes not the Mufsidîn (those who commit great crimes and sins, oppressors, tyrants, mischief-makers, corrupters)." (Al-Qasas: 77)

Islam and its Ummah is moderate, where its people do not consider nature and cosmic objects as deities, but at the same time do not tamper with or spoil them.

The relationship between the Muslim and the universe is one of harmonious benefit and use. When Allâh takes an oath by some creatures, He draws attention to the fact that man should recognize their value and take care of them.

"By the sun and its brightness. By the moon as it follows it (the sun). By the day as it shows up (the sun's) brightness. By the night as it conceals it (the sun). By the heaven and Him Who built it. By the earth and Him Who spread it". (Ash-Shams: 1-6)

"By the night as it envelops. By the day as it appears in brightness. By Him Who created male and female". (Al-Lail: 1-3)

"So I swear by the setting of the stars. And verily, that is indeed a great oath, if you but know. That (this) is indeed an honourable recitation (the Noble Qur'ân). (Al-Wâqi'ah: 75-77)

With such an adjuration and call for revering other creatures and aspects of His creation, Allâh urges man to jettison bashfulness towards them because such an attitude does not yield progress or civilization. Removing the beauty of these creatures and failing to draw the benefit from them causes man to neither gain in morals nor lead him to progress or civilization.

Controlling Noise Pollution:

Noise leads to environmental, psychological disorders due to constant exposure to noise. Although noise has been considered harmful or at least unpleasant, noise pollution has been regarded as the worst negative effect of the industrial era, and a characteristic of industrially developed societies. Yet, little attention has been given to it, as pollutants of the air or the water have tended to take precedence.

The Qur'ân and the Environment

Prof. Karem S. Ghoneim

Faculty of Science,

Al-Azhar University, Cairo

Control of Pollution in the Environment:

According to scientists and philosophers man is considered as the major factor in disturbing the natural balance of the universe. Man interferes intentionally or unintentionally in the earth's ecosystems by impairing its perfect order and precise sequence. But it seems that man has cut off his nose to spite his face and he now is the victim. Grave dangers are manifested in pollution of the air, water, soil, outer space and others, as well as the irrational exploitation of the environment's resources, and inconsistent distribution of human settlements. All these factors have led to different problems, all of which are marked by a disturbance to the earth's natural balance.

Urban populations are concentrated in towns usually emerging close to one or more natural resources (water, oil, fuel, sea, etc.) that create a marked disturbance in the existing natural balance. This imbalance is mainly attributed to the increasing waste disposal (human or industrial), exploitation or resources and density in population. It must be admitted that man's claims on the environment have overstepped the mark in many cases, creating a disruption to the natural balance of various bio-and ecosystems all over the world. This irresponsible behavior had led to a depletion in the atmosphere and this poses the greatest threat worldwide.

There are countless examples of disturbances to the environment. Forests have been removed, deserts have been encroached upon, and many species of plants and animals have disappeared throughout the world. All these affect the marco-environment because it is an integrated whole.

The climate has changed and is in fact still changing due to unwise human activities. There are, however, natural and non-human induced reasons for the climate changes that should not be ignored, such as the pattern of the earth's rotation around the sun and volcanic explosions. The over-use of wood, excessive removal of pasture land, and deforestation which destroys and eradicates magnitudes of the earth's vegetation, all play a role in raising the earth's absorption of the sun. In addition, there is the high use of energy over and above man's need, which raises the temperature of the atmosphere and thus affecting climate.

The over-use of non-renewable resources- oil, coal and natural gas- leads to a continuous increase in carbon dioxide in the atmosphere, which, in turn, raises the temperature.

The ozone layer has been further exposed to destruction as a result of the exhausts of planes flying in the higher altitudes, as well as gases and fumes expelled from nitrogenous fertilizers and atmopsheric pollution from factories. The danger of the depletion of the ozone can only be imagined when we realize to what extent the earth will be exposed to more carcinogenic rays. As a result, the climate will altered worldwide, destroying the dense forests, reducing agricultural output and killing most living creatures except for insects which can withstand the ultraviolet rays.

Man's distruption to the natural balance of forests leads to various problems that are reflected on him as well as other creatures on earth. Soil is washed away, humus shrinks, rainwater runs in torrents, temperatures fluctuate, high and severe winds become more common and drought spreads globally.

In addition to toxin expelled into the air and waste pumped into the water by factories, nuclear explosions, radioactive pollution, there is the problem of man-made chemical pesticides used to control pests which are injurious to the agricultural or animal wealth. Pesticides and other toxins interfere with the ecosystems and have destructive consequences that appear in all layers of the atmosphere, water, soil, and outer space. In attempting to eradicate or control these creatures which compete with

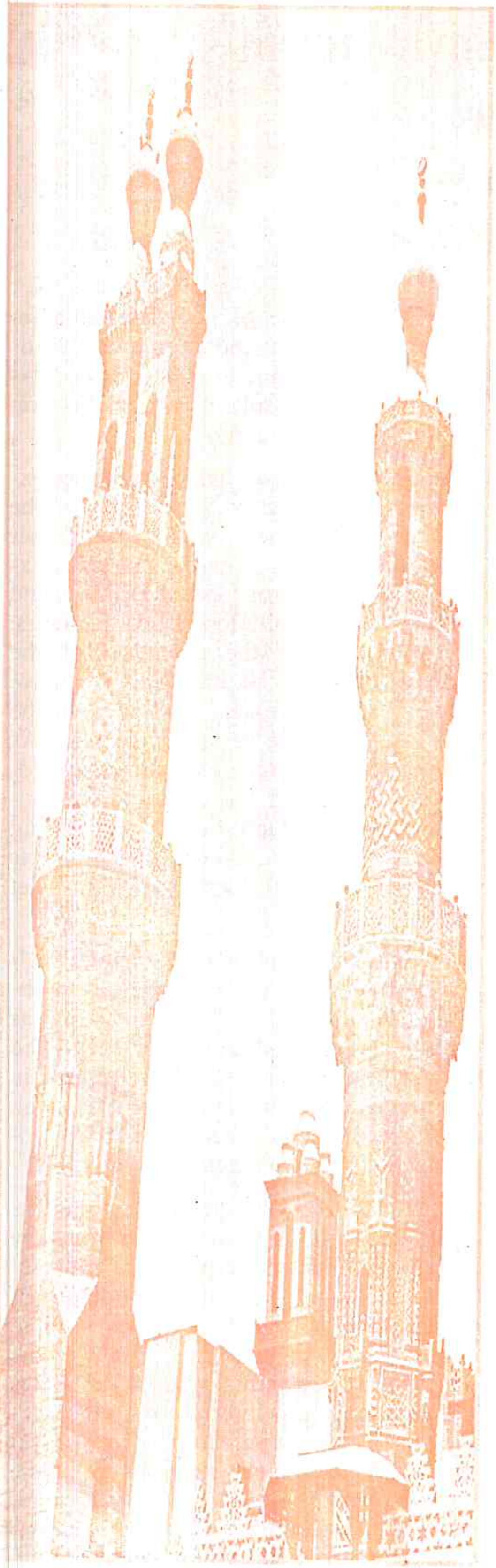

MINBAR AL-ISLAM

Issued by

Ministry of Al-Awqaf

The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman

Prof. Dr. Mahmoud Hamdi Zakzouk

Minister of Al-Awqaf & President of

The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr. Mohammad Al-Shahat Al-Gendy

Secretary-General of

The Supreme Council for Islamic Affairs

Board of Editors

Prof. Dr. Ahmed Kamal Abul Magd

Prof. Dr. Ahmed Mohammad At-Tayyeb

Sheikh / Mohammad Abdel Magid Zeidan

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

محتويات العدد / جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ

■ كلمة التحرير		١
■ حديث الشهر (ظاهرة الزواج العرفى)	أ. د. محمود حمدى زقزوق	٢
■ إسلام لكل العصور (تجديد الفكر الإسلامى فى واقع المسلمين)	أ. د. محمد الشحات الجندى	٤
■ على مائدة القرآن الكريم		٧
• نظرات فى كتاب الله (تفسير سورة العاديات)	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٨
• قضية الخلق فى القرآن الكريم	أ. د. زغلول راغب محمد النجار	١١
• نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٨)	أ. د. طه مصطفى أبو كريشة	١٧
• من مظاهر الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم	خليل محمد خليل	٢١
• بين «الشمس والقمر» و «الليل والنهار» فى الآيات القرآنية ...	د. كريم حسنين إسماعيل	٢٤
• الوصايا العشر فى القرآن الكريم	فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	٣٠
• الصحة منحة ممنوحة من منعم	عمر موسى موسى البرعى	٣٤
■ الفكر الإسلامى		٣٥
• أوهام المستشرقين (خطأ فى البديهات)	أ. د. محمد رجب البيومى	٣٦
• العقل والدين والمعجزة	فضيلة الشيخ محمد عبد المجيد زيدان	٣٩
• حداثة أم تجديد؟ (١) بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية ...	أ. د. محمد عمارة	٤٣
• علاقة الإسلام بالآخر (١)	أ. د. محمد شامة	٤٦
• الموروث الثقافى فى ميزان الإسلام (١)	أ. د. بكر زكى عوض	٥٢
■ الأسرة والتشريع الإسلامى		٥٧
• الإسلام وتعدد الزوجات	د. سالم عبد الجليل	٥٨
• الإسلام صنع قمما نسائية صاحبن رسول الله ﷺ	د. سامية منيسى	٦٤
■ الدعوة والخطاب الدينى		٦٧
• حق المساواة فى الإسلام	أ. د. أحمد عمر هاشم	٦٨
• وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة	فضيلة الشيخ شوقى عبد اللطيف أيوب	٧١
• فضيلة الحياء فى الإسلام	فضيلة الشيخ خالد الجندى	٧٨
• الغيبة والنميمة من الأمراض الخبيثة	فضيلة الشيخ أحمد عبد اللطيف الكلحى	٨٥
• دور الشعر فى المسيرة الإسلامية (٨)	محمد التهامى	٨٨
■ الدين والحياة		٩١
• أمراض الصداع بين الطب والدين	أ. د. عبد المعبود عمارة	٩٢
• علم البصريات فى الإسلام	د. أحمد عوف محمد عبد الرحمن	٩٤
■ القدس حاضرة الأديان فى رحاب الإسلام		٩٧
• مستقبل القدس فى المنظور القريب والبعيد	ندوة لجنة الفكر الإسلامى بالمجلس	٩٨
• تهويد القدس	د. ربيع خليفة عبد الصادق بيومى	١٠١
• أنباء وأخبار	إعداد : منير بيومى	١٠٦
• ندوة منبر الإسلام حول أطفال الشوارع	إعداد : أحمد فاروق الهلباوى	١١٠
• حوار مع أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى	محمد كامل شاهين	١١٣
• النابهون فى يوم التفوق العلمى	مصطفى إبراهيم خيان	١١٨
■ استراحة المنبر	محمد سيد أحمد على الدين	١٢٣
■ يسألونك فى الدين والحياة	فضيلة الدكتور/ على جمعة	١٢٦
■ نافذة على القراء		١٣٢
■ بريد التعارف		١٣٥
■ رسول الله أنت لنا حبيب (شعر)	د. عبد الحميد بركات أبو سعدة	١٣٧
■ القرآن والبيئة باللغة الإنجليزية	د. كارم السيد غنيم	١٣٨

ترقبوا

عدد جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ
من مجلتكم
منبر الإسلام

نواصل مسيرتنا المخلصة فى تقديم عدد جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ الذى يتضمن مقالات جديدة لكبار كتابنا ومفكرينا فى قضايا دينية وفكرية جديدة نتطرق إليها بغية تبصير القارئ بقضايا دينه ووطنه من خلال منهج المجلة الذى يتسم بالأسلوب الهادئ والفكر الراقى المستنير، وبالنهج الذى يلتزم بوسطية الإسلام وسماحته.

سارع باقتناء نسختك

مع الباعة
وفى الأكشاك
ومنافذ البيع

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

- سلسلة دراسات إسلامية: تصدر فى منتصف كل شهر عربى
- سلسلة قضايا إسلامية: تصدر فى غرة كل شهر عربى

بالإضافة إلى إصدارات المجلس المتنوعة من أمهات كتب التراث والموسوعات المتخصصة وترجمات معانى القرآن الكريم باللغات الأجنبية

أحدث إصدارات المجلس من الموسوعات المتخصصة
موسوعة التصوف الإسلامى

الاشتراكات: خاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عدداً)

أولا: داخل مصر: (٣٠ جنيها مصريا).

ثانيا: خارج مصر كالآتى: الدول العربية والأفريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولاراً أمريكياً)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولاراً أمريكياً)، أمريكا الجنوبية واستراليا: (٢٢ دولاراً أمريكياً).

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمود حمدى زقزوق

رئيس التحرير
أ.د. محمد الشحات الجندى